

THE SACRED KA'BA

AND ITS INFLUENCE ON ARABIC LITERATURE

Thesis submitted to the University of Calicut
for the award of the Degree of
DOCTOR OF PHILOSOPHY
IN
ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

By
KOYA KUTTY. T.V

Under the supervision of
Dr. T.P. MOHAMMED ABDUL RASHEED
Reader & Head
P.G. Teaching & Research Department of Arabic
Farook College – 673632, Calicut – Kerala
(A College with Potential for Excellence, identified by U.G.C, New Delhi.)



University of calicut

2008

الكعبة المعظمة وتأثيرها في الأدب العربي

أطروحة لدرجة الدكتوراه
قدمها
كويبا كوتي. ت. وي

تحت إشراف
الدكتور/ محمد عبد الرشيد. ت. بي.

الأستاذ المشارك
قسم الماجستير والبحوث للغة والآداب العربية
كلية فاروق ، كاليكوت - كيرالا
كلية ذات كفاءة للاعتماد معترفة لدى المجلس الأعلى للجامعات



جامعتكاليكوت
كيرالا- الهند
2008 م.

محتويات البحث

فهرس

1	مقدمة
6	الباب الأول: الكعبة المعظمة على هوامش العصور
7	I. الفصل الأول: الكعبة قبل وجود الإنسان في الأرض
7	1. مكة المكرمة
7	2. أسماء مكة المكرمة
8	3. المكانة الدينية
9	4. الكعبة
10	5. أول بيت وضع للناس
11	6. من بنى الكعبة أولاً؟
12	7. بناء آدم عليه السلام البيت
13	8. قبل وجود الإنسان في الأرض
	II. الفصل الثاني: منذ عصر آدم عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام
16	1. هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض وبنائه الكعبة
17	2. آدم عليه السلام يحج البيت
19	3. بعد آدم عليه السلام
20	4. الأنبياء في الحرم الشريف
	III. الفصل الثالث: من عصر إبراهيم عليه السلام إلى عهد صلعم
21	1. إبراهيم عليه السلام ومكة
22	2. بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام
23	3. البيت والمسجد - مناقشة
25	4. وقفة أمام الكعبة
27	5. مغادرة رحلة إبراهيم عليه السلام
28	6. بناء الكعبة بيد الخليل عليه السلام
29	7. الكعبة بعد الخليل عليه السلام
30	8. وصية اسماعيل لإسحاق عليهما السلام
31	9. يتحقق دعوة إبراهيم عليه السلام
31	10. يضع الحرب أوزارها
31	11. داود وسليمان عليهما السلام والبيت المقدس والكعبة
32	12. الكعبة وبنو إسرائيل
33	13. الأصنام في داخل الكعبة
34	14. تنازع أبناء إسماعيل عليه السلام
36	

مسير تُع لهدم الكعبة.....	15
37.....	
وقعة أصحاب الفيل.....	16
38.....	
هدم الكعبة وبنائها القريش.....	17
41.....	
IV. الفصل الرابع: من عصر محمد صلعم إلى نهاية القرن	
الأفاضل	44
1. الكعبة قبيل الإسلام.....	44
2. الموحدون في القريش وغيره.....	45
3. الكعبة مركز الدعوة الحنيفة.....	46
4. الرسول والكعبة.....	47
5. مساحة الكعبة زائدة وناقصة.....	50
6. جاء الحق وزهق الباطل.....	51
7. شعائر الله حول الكعبة.....	53
8. الدعوة إلى الله حول الكعبة.....	57
9. وداع الرسول من الكعبة مؤقة.....	58
10. الكعبة بعد فتح مكة.....	60
11. إرسول صلعم نحو الكعبة.....	61
12. أبوبكر والمسلمون إلى الكعبة.....	62
13. حجة الوداع.....	63
14. الكعبة في عهد الخلفاء الراشدين.....	65
15. توسعتهم في المسجد الحرام.....	67
16. بناء عبد الله بن الزبير الكعبة.....	68
17. الحجاج هدم الكعبة.....	71
18. تذهب الكعبة المعظمة.....	71
19. زيادة أبي جعفر المنصور المسجد.....	71
20. زيادة المهدي المسجد.....	72
21. زيادة دار الندوة.....	72
22. زيادة باب إبراهيم.....	73
V. الفصل الخامس: الكعبة في العصر الحاضر	74
1. الكعبة في عهد الفاطميين.....	74
2. في عهد الأيوبيين.....	74
3. في عهد المماليك الأتراك والشراكسة.....	75
4. في عهد الترك العثماني.....	77
5. الكعبة تحت عناية العثمانيين.....	79
.....	
6. الكعبة في عهد السعودي الأول.....	81
7. في العهد العثماني الثاني.....	83
8. توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي.....	84
9. توسعة الملك فهد بن عبد العزيز.....	85
الباب الثاني: الحماية المقدسة للكعبة المعظمة	88

I. الفصل الأول: الحماية في الجاهلية قبل الإسلام.....91

1. الكعبة في حماية الله.....91
2. حمايتها الملائكة.....92
3. حماية آدم عليه السلام.....93
4. حماية إبراهيم عليه السلام.....94
5. حماية العمالققة والجرهم والقصي.....95
6. حماية قريش الكعبة قبيل الإسلام.....97
7. كف الله أبرهة من كيدته.....100

II. الفصل الثاني: بقاؤها بعد انتهاكات العدوان.....103

1. الكعبة المشرفة والعدوان عليها.....103
1. تُبع وجنوده إلى الكعبة المعظمة.....103
2. جيش أبرهة الأشرم وموقعة الفيل.....104
3. هدم الكعبة أيام عبد الله بن الزبير.....105
4. تبديل الكعبة بيد الحجاج بن يوسف الثقفي.....106
5. أفعال القرامطة بالكعبة المعظمة.....107
6. سراق كنز الكعبة.....109
2. أخبار الرسول صلعم عن طغيان على الكعبة.....110

III. الفصل الثالث: كسوة الكعبة منذ أربعة آلاف سنة. .112

1. الكسوة قبل الإسلام.....112
2. كسوة الكعبة في الإسلام.....113
3. الكسوة عند الشعراء.....115
4. كسوة الكعبة في العهد السعودي.....115

IV. الفصل الرابع: سدانة الكعبة عبر التاريخ.....117

1. سدانة الكعبة المعظمة قبل الإسلام.....117
2. السدانة بعد بناء إبراهيم عليه السلام.....117
3. السدانة في الإسلام.....118
4. سدانة الكعبة في العصر الحاضر.....121

V. الفصل الخامس: الكعبة المشرفة - نظرة عامة.....122

1. الكعبة المعظمة ومعالم الأثرية حولها.....122
2. الأماكن المقدسة حول الكعبة المعظمة.....125

الباب الثالث: الكعبة المشرفة مركز العالم. .136

I. الفصل الأول: الكعبة بين الإسلام والعلم.....138

II. الفصل الثاني: الكعبة المشرفة والإرصاد الفلكية.....140

III. الفصل الثالث: الكعبة مركز الأرض.....142

IV. الفصل الرابع: مكة المكرمة والكعبة المشرفة

العالم جغرافياً.....149

1. مركزية مكة المكرمة للأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية.....149

الباب الرابع: وظيفة الكعبة المشرفة على تشكيل

والدين.....150

I. الفصل الأول: إبراهيم ودينه الحنيف والكعبة.....151

1. نداء إبراهيم الخالد.....153

2. إستقبال محمد ﷺ الدين الحنيف.....154

155	3. الأمن والسلامة حول الكعبة
156	4. مثابة للناس وأمنا
158	5. الكعبة عاصمة الثقافة
161	II. الفصل الثاني: الأديان والعقائد حول الكعبة
162	1. دين الكعبة المشرفة
163	2. دين لا عوج له
163	3. أديان فاسدة حول الكعبة
164	4. عقائد لا فائدة فيها
166	5. الأديان المشهورة في الجزيرة العربية
168	III. الفصل الثالث: الإسلام و محمد صلى الله عليه وسلم الكعبة
168	1. الكعبة وأم القرى ومحمد الأمين
169	2. أي الفريقين أهدى
170	3. مشاركة الأمين ببناء الكعبة
172	4. أم القرى والوحي المحمدي
175	IV. الفصل الرابع: الدين والثقافة حول الكعبة
175	1. تشهد الكعبة للثقافة
176	2. الدين ينتقل إلى الناس
179	3. مركز فشا منه الثقافة
180	4. براءة الكعبة من الصحيفة القاسية
181	5. الكعبة قبلة للعبادة
184	V. الفصل الخامس: مناسك الحج والعمرة وتأثيرها في الأمم
184	1. مقاصد الحج والعمرة
187	2. دليل الحاج والمعتمر
188	3. أركان الحج والعمرة وواجباتهما
190	4. تأثير الحج والعمرة في الأمة المسلمة
192	5. تأثير الحج في الأمم العالمية
195	6. لا لون ولا جنس إلا ألوان الحق
197	الباب الخامس: الكعبة المشرفة وتأثيرها في الأدب العربي
198	I. الفصل الأول: هبات الكعبة للأدب العالمي وتأثيرها
198	1. هدايا الكعبة وأثارها
200	2. هبات الكعبة للأدب العربي
202	3. تاريخ أدب الكعبة قبل الإسلام
205	4. أدب الكعبة بعد الإسلام
206	5. فكرة الحج قضاءً أدبياً
208	6. الحج في الأدب الرحلات
209	II. الفصل الثاني: تأثير الكعبة في تطورات الأدب العربي
209	1. خواطر الأدباء ترتقص عند الكعبة
210	2. الكعبة في الناحية الأدبية
211	3. شخصية مكة الشعرية
214	4. وحدة اللغة العربية والكعبة المعظمة
216	5. وحدة الأمة تحت ظل الكعبة

III. الفصل الثالث: الكعبة المشرفة في الشعر العربي 219

1. شعر الحنفي الحزين.....	221
2. قتالا على المياه في بلد الله.....	222
3. نعي على رؤوس الجبال.....	222
4. الذبيح إسماعيل لا إسحاق.....	223
5. في أسماء مكة المكرمة.....	223
6. تحديد الميقات للحرم المكي.....	224
7. داخل الكعبة في أمن الله.....	224
8. عوتب من غير دين الحنفية في الشعر.....	225
9. تجمع قريش يمدح بالكعبة.....	226
10. الخدمات للكعبة في الشعر.....	227
11. الرفادة والسقاية والسدانة.....	228
12. تنزيح الكعبة في الشعر.....	229
13. استحياء أهلها في الشعر.....	230
14. فوق كعبتها ينادي.....	231

1. الرجوع الأخير إلى الكعبة.....	232
2. الحج في الشعر العربي.....	235
3. بئر زمزم ومائه في الشعر.....	239
4. الحجر الأسود في عيون الشعراء.....	243
5. مقام إبراهيم في الأشعار.....	246
6. الكعبة قلب الكون.....	248

IV. الفصل الرابع: الأدباء والشعراء حول الكعبة بعد الإسلام 250

1. مكة المكرمة في نظر الشعراء المعاصرين.....	250
2. الحج في نظر الشعراء المعاصرين.....	257
3. بين الصفي والمروة.....	261
4. من وحي الحج.....	263
5. الصديقان في الحرم المكي.....	266
V. الفصل الخامس: المعلقات وتأثيرها في الكعبة المشرفة.....	268
1. علاقة الكعبة بالمعلقات.....	268
2. آراء مختلفة في المعلقات.....	269
3. لماذا علقت المعلقات؟.....	271
4. فحول المعلقات الشعرية.....	272
5. الكعبة عند أصحاب المعلقات العشر.....	274

الباي السادس: إعراف القرآن بالكعبة المعظمة 284

I. الفصل الأول: الكعبة في القرآن العظيم.....	285
1. بيت الله الحرام في كلام الله الكريم.....	286

288	2. المسجد الحرام في محكم تنزيله
290	3. الكعبة المعظمة في الكلام النبوي
293	4. الكعبة في ديوان العرب
295	II. الفصل الثاني : القرآن يدور حول الكعبة
296	1. أدب القرآن - روافده واثاره بالكعبة
298	2. أثر قران العظيم في لغة العرب
299	3. تأثير النثر نحو الكعبة
300	4. خطبات بليغة ترتج بها الكعبة
304	III. الفصل الثالث : خليل الله ومحمد الأمين في رحاب الكعبة
304	1. خليل الله ومحمد الأمين في رحاب الكعبة
304	2. خليل الله في القرآن
307	3. حجرة إبراهيم إلى الأرض المقدسة
310	4. من كان إبراهيم عليه السلام
311	5. صفة إبراهيم بلسان رسول الله
313	IV. الفصل الرابع : الرسالة المحمدية حول الكعبة
313	1. محمد رسول الله من أصلاب مطهرة
314	2. مولد النبي وحياته قبل النبوة
317	3. الرسالة المحمدية حول الكعبة
320	4. دعوة من رضي الله عنهم ورضوا عنه
322	5. يودعون كعبتهم
326	V. الفصل الخامس : تكي الكعبة بانقطاع محبيها
326	1. الحصن العظيم ينقض
328	2. إنتقال الإسلام إلى الحرقه
332	3. تكي الكعبة بانقطاع محبيها
333	4. القريش أد عنفا ضد الإسلام
	الباب السابع: الحركات الأدبية المتعلقة
336	المعظمة
338	I. الفصل الأول: في العصر الجاهلي
338	1. الأدب العربي والجزيرة العربية
340	2. الأدب قبل الإسلام والكعبة ومكة المكرمة
342	3. واد غير ذي زرع، ولكن
344	4. الكعبة في الشعر العربي القديم
346	5. العرب والملاحم شعرية بالكعبة
348	6. الكعبة المعظمة والكعبات الجاهلية
349	7. الكعبة والنثر الجاهلي
351	II. الفصل الثاني: في العصر الإسلامي
351	1. نواحي الدينية والاجتماعية والعلمية
352	2. عهد الخلفاء الراشدين
354	3. حسان يرثي محبوبه
356	III. الفصل الثالث: في العصر الأموي
356	1. الخلفاء بني أمية
357	2. من هو الذي تعرفه الكعبة
360	3. جامعة ابن عباس في الحرم الشريف

361	IV. الفصل الرابع: في العصر العباسي
361.....	1. لغتهم لغة القرآن والكعبة
362.....	2. مساجدهم دائرة الأدب العربي
364.....	3. مكة والكعبة والحج في أشعار العباسيين
366.....	4. شعراء العصر العباسي الثاني والكعبة
370	V. الفصل الخامس: في العصر الحاضر
370.....	1. عهود و عصور مختلفة
372.....	2. مساهمة الكعبة بالأدب الحاضر
373.....	3. الكعبة تفخر بلغتها
376.....	4. ذكراة الحج في لوحة أدبية
376.....	1. الحج في أدب الرحلات
380.....	2. ضيوف الرحمن في منظور الشاعر
384.....	5. مرايا الحج في منظور النبلاء
387	خاتمة الكتاب
389	قائمة المصادر والمراجع

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدا دائما أبدا، الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين . وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم القيامة، أما بعد،

لا شك أن الكعبة المعظمة قد نالت من الشرف العظيم والتكريم العميم ما لم تنله أي عمارة من عمائر الأرض . وإن نازعتها المباني العامرة بالتفاخر والتناظر، ذلك بأن الله تعالى فضلها وكرمها وجعلها قبلة للعالمين ومهابة وتكريما وبراً وأمناً وهداية ومثابة .

فشرفها بالحجر الأسود ومقام إبراهيم وسائر شعائر الله حولها، وعظمها في قلوب العباد بأن تهفو إليها، فحنت القلوب مشتاقة في كل لحظة تحلم بالطواف حولها، تقع في بقعة مطهرة من بقاع الأرض في البلد الأمين - أم القرى - مكة المباركة . ولأن مكة المكرمة عظمها الله، تتمتع بهذه المنزلة المختارة أبدا دائما في نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

إخترت هذا الموضوع للبحث بعد حوار طويل مع أساتذتي وزملائي الأعرء الذين يحبونني في الله ، ملتحقا بقسم الماجستير والبحوث للغة

والآداب العربية بكلية فاروق، المنتسبة إلى جامعة كاليكوت، كيرالا، الهند .
تحت إشراف الشيخ الفاضل الدكتور محمد عبد الرشيد ت. بي. لأن الكعبة
المشرفة بيت الله الحرام الوحيد في الأرض . وسبب آخر لإختياري هذا
الموضوع حينما كنت متفرغا بالدعوة في المملكة العربية السعودية تحت
رئاسة شعبة الجاليات بالرياض من عام 1985م إلى 1995م، قد حان لي
فرص طيبة للرحلات الحج والعمرة مع مجموعة الجاليات، فأثرت الكعبة
المشرفة في ذهني تأثيرا بالغا . ورحلات الحج فرص نفيسة تتاح لكل
مسلم . وأدب الرحلات هي من أهم فنون الأدب العربي، ولست بأديب بل
أحب الأدب والأدباء، بعد رجوعي إلى بلدي قصدت أن ألتحق بالجامعة لأخذ
الدكتوراه ففتشت عن موضوع البحث وشاورت مع مشرفي الدكتور محمد
عبد الرشيد فأوصاني بهذا الموضوع .

ولما بحثت هل تخصص أحد في موضوع 'الكعبة المعظمة وتأثيرها
في الأدب العربي' ما عثرت على أحد تخصصها وما وجدت إبان طلبي كتابا
كاملا في هذا الموضوع الفذ، إلا بعض الرسائل والمقالات من أجلاء الأدباء.
بحثي هذا جزء من فلسفة السيرة بالكعبة المعظمة، وحاولت أن أوضح بها
تأثيرها في اللغة العربية وآدابها وعلاقة الأدب العربي وأنواعه بالبيت
العتيق . ولا أشك أن هذا الموضوع الذي قمت فيه البحث يشجع الطلبة
والأدباء والشعراء والنقاد ورجال الدين من جملة العرب والعجم على

الدراسة ولبحث عن الكعبة والآداب المتعلقة بها. قسمت موضوعي إلى
سبعة أبواب كالتالي:

الباب الأول: الكعبة على هوامش العصور؛ الباب الثاني: الحماية
المقدسة للكعبة المعظمة؛ الباب الثالث: الكعبة المشرفة مركز العالم؛
الباب الرابع: وظيفة الكعبة المشرفة على تشكيل الثقافة والدين؛ الباب
الخامس: الكعبة المشرفة وتأثيرها في الأدب العربي؛ الباب السادس:
إعتراف القرآن بالكعبة المعظمة؛ الباب السابع: الحركات الأدبية المتعلقة
بالكعبة المعظمة.

يحتوي كل من أبوابها على عدة فصول، تشتمل على تواريخ موجزة
عن الكعبة و مناسك الحج والعمرة وأحكامهما، وعلاقة الكعبة بالأدب
العربي وتطوراتها قوية منذ يوم وجودها في الأرض ولا تزال الحالة حتى يومنا
هذا.

وأنتهز هذه الفرصة لتقديم الشكر الجزيل إلى الدكتور محمد عبد
الرشيد ت. بي. - رئيس قسم الماجستير والبحوث للغة والآداب العربية
بكلية فاروق - الذي يتشرف بالإرشاد إلى هذه الأطروحة، وأنا مدين له جدا
في تشجيعه الخالص لإتمام هدفي القيم، فلا أجد في معجم الشكر كلمة لائقة
نحوه إلى التشفع إلى الرحيم المنان أن يوفق في عمره بمزيد من الصحة
والعافية والغبطة، ثم أخص بالشكر الجليل لشخصين عظيمين الدكتور إي. ك.

أحمد كتي - رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت سابقا - ، والأستاذ
الفاضل برفسور محمد كوتاشيري المولوي - العميد السابق لكلية روضة
العلوم العربية بفاروق - هما اللذان حثاني بتشجيع بالغ لتقديم رسالتي
بأسرع وقت ممكن، وأشكر للدكتور حسين أبوبكر كويا المدوور - عميد كلية
روضة العلوم - الذي أتاح لي جميع التسهيلات المادية والمعنوية
والتجهيزات والإرشادات القيمة، ولا أنسي أن أعبر الشكر للأخ الفاضل عبد
الرحمن مانغاد - معلم مدرسة الحكومية بكاكوو - الذي أمدني وأهداني
بجمة من المجلات النفيسة مثل مجلة 'الحج والعمرة'، و'العربي'،
و'جندي المسلم' و'المنهل' وغيرها من الدوريات الغربية القديمة والحديثة
والكتب المختصة النادرة . ومن الإرشادات والنصح اللازمة لترتيب
الموضوعات وغيرها.

وأخص الشكر بالشخصيات البارزين الموظفين والقائمين بمركز الملك
فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض الذين أعدوا لي وأرسلوا إلي
من الصور الفوتوغرافية للرسائل والمجلات وقوائم الكتب المسجلة لديهم
عدة مرات حسب طلبي لبحث هذا الموضوع . وأذكر الشخصيات من
الشيوخ والعلماء في المملكة العربية السعودية - ولا أذكر أسماءهم بدقة -
هم قائمون بالمكتبات الداخلية في الحرمين الشريفين بمكة المكرمة

والمدينة المنورة خلال زيارتي للعمرة ولجمع الكتب لهذا البحث. وأجزلهم
الله الجميع جزيل الشكر وخير الجزاء.

وقد بدلت جهودا كبيرة في إعداد هذه الرسالة، وقابلت أفرادا من
العلماء للمراجعة وسافرت إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وجده .
وتجولت هنا في المكتبات المتعددة وارتحلت في ولاية كيرالا طولا وعرضا
لجمعها . وبذلت مبالغ رهيبية - بالنسبة إلي - لجمع الكتب من البلاد
العربية مثل لبنان ومصر والكويت وغيرها، واستطعت على مقابلي كثير من
العلماء والشيوخ العرب ومحبي الدين والأدب العربي ومن لهم شغف نحو
هذا الموضوع، وقال بعضهم إن هذا جهد غريب من خارج الدول العربية
وموضوع نادر مختار سيكون دخرا ثميننا للدين والأدب معا. حتى أحد منهم
الشيخ الفاضل عبد الرحمن ابن آل حماد - من أحد علماء مكة - سأقوم
بطباعة هذه الرسالة بعد إتمامها ثم أوزعها أوساط علماء الأرض إن شاء الله،
وهذه الكلمة الطيبة صارت تشجيعا عظيما لي . وأخص الشكر بزميلي
وحبيبي السيد الفاضل الأستاذ عبد الرحمن المآدرشيري - مدرس كلية روضة
العلوم - بأنه كان يشجعني وساعدني بأوقات طويلة لطلب الكتب من
المكتبة الكلية وغيرها.

وأخيرا أفضي إلى القارئ والباحث تأملاتي حول الكعبة و تأثيرها في
مجالات حياة البشر جميعا، ولا سيما في الأدب العربي، فأقدم إلى حضرتكم

أطروحتي لنيل درجة الدكتوراه، للنظر والبحث والنقد آملا من الرحمن
الودود التوفيق والسداد لما يحب ويرضى وبدعاء ربي وتقبل مني إنك أنت
السميع العليم.

المقدم/ كويا كوتي تي. وي.

الباب الأول

الكعبة المعظمة على هوامش العصور

الفصل الأول:

الكعبة قبل وجود الإنسان في الأرض

الفصل الثاني:

منذ عصر آدم عليه السلام إلى إبراهيم

الخليل عليه السلام

الفصل الثالث:

من إبراهيم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه

وسلم

الفصل الرابع:

من عصر محمد صلى الله عليه وسلم إلى نهاية القرون

الأفاضل

الفصل الخامس:

الكعبة المشرفة في العصر الحاضر

الباب الأول

الكعبة المعظمة على هوامش العصور

الفصل الأول

الكعبة قبل وجود الإنسان في الأرض

1. مكة المكرمة:

فهي الأرض التي إختار الباري تعالى وفضلها علي غيرها من البقاع. وهي الأرض التي دعا لها إبراهيم عليه السلام " وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً" (ابراهيم35). وهي الأرض التي أنجبت أشرف الخلق وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم. والكعبة المشرفة تقوم فيها، وكانت مهدياً للأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم. وقد كانت من قديم العصور والآباد حرماً مقدساً، قام فيها أول بيت عبد فيه الله على الأرض، واحترمها الأديان، والعقائد التي كانت البشرية تعتنقها قبل الإسلام.

2. أسماء مكة المكرمة:

للبلد الشريف، والحرم المنيف له أسماء كثيرة قاربت الخمسين.¹ فقد سمى الله عز وجل مكة بخمسة أسماء: مكة وبكة، والبلد الأمين،

¹ - الحافظ أبي الطيب الفاسي، شفاء الغرام، ج: 1، ص: 149 - معجم البلدان، 5/181

والقرية، وأم القرى. كما ذكرها القرآن الكريم فهي كالتالي:

1. مكة: " وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة " (الفتح:

(24

2. بكة: " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين "

(آل عمران: 96)

3. البلد الأمين: " والتين والزيتون وطور سينين، وهذا البلد الأمين " (التين:

(3

4. القرية: " وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة " (النحل: 112)

5. أم القرى: " ولتنذر أم القرى ومن حولها " (الأنعام: 92)

ولمكة المكرمة أسماء أخرى واردة مشهورة في النقول مثل: النساسة،

والحاطمة، والحرم، وصلاح، والباسة، ومعاد، والرأس، وكوثي وغيرها كثيرة.²

3. المكانة الدينية:

هي قبلة المسلمين ومقر حجهم وعمرتهم، حرمها الله بقاها تعظيماً

وإجلالاً يوم خلق السماوات والأرض، وهي أحب بلاد الله إلى الله وأحبها إلى

رسول الله، بها الكعبة المعظمة أول بيت وضع لعبادة الله على الأرض؛

ومثابة للناس وأمناء وحرماً آمناً حتى شمل ما فيه من الشجر والنبات فلا

يقطع، وما فيه من الطير فلا ينقر؛ والصلاة فيها يثاب بمائة ألف درجة،

والكعبة المشرفة تقوم في وسط مكة فما حولها من البقاع حرم من شعار

رب العالمين، " ومن دخله كان آمناً " ولما أخرج رسول الله صلى الله عليه

² - الشيخ صفى الرحمن المباركفوري، تاريخ مكة المكرمة، ص: 15

وسلم من هذه البلدة الطيبة وهاجر إلى المدينة المنورة حينما يسير. فقال مستقبلاً إليه بقوله الأنين: " والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك لما خرجت"³ فعظمها كافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. فاختار الله تعالى هذه البلدة الطيبة من البلاد فأحب البلاد في الأرض إلى الله البلد الحرام ببكة المباركة تسمى بمكة المكرمة.

إن مكة حرام منذ خلق الله السموات والأرض بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أوضح في يوم الفتح: إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي وإنها أحلت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد بعدي، فلا ينفر صيدها ولا يختلي شوكلها ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين، إمل أن يفدي وإمل أن يقتل؛ فقال العباس: إلا الإذخر. يا رسول الله؛ فإننا نجعله في قبورنا وبيوتنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الإذخر"⁴

4. الكعبة المعظمة: تعريفها وبنائها:

قال الله تعالى: " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس"

(المائدة: 97)

الكعبة وجه تسميتها لأنها مكعبة - أي مربعة - على خلق الكعب

³- رواه أحمد، الدارمي، الترمذي، ابن ماجه، والأباني
⁴- البخاري: 2434، والمسلم: 1355

فسميت لكونها مربعة.⁵ ويقال برد مكعب إذا طوي مربعا. وقيل: سميت الكعبة لعلوها وتنتها.

وإذا بحثنا عن بنيان هذا البيت العتيق، فمن الذي بناه أول مرة في الأرض؟ ومتى بناه؟ وكيف بناه؟ وهل كانت الكعبة قبل وجود الإنسان في الأرض أم لا؟ وسنفرد ذلك بحثنا في هذا الباب ونذكر فيه تاريخ الكعبة الشريفة ثم منذ عصر أبي البشر آدم عليه السلام، وكيف جرى التاريخ معها بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) حتى إلى عصرنا هذا. وسنسوق الأخبار خلال الأحداث إن شاء الله.

بنيت الكعبة أكثر من مرة والمشهور من عدد بنائها خمس⁶

بناء الملائكة

بناء آدم عليه السلام

بناء إبراهيم عليه السلام

بناء قريش في الجاهلية

بناء ابن الزبير

5. أول بيت وضع للناس:

قال تعالى: " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى

للعالمين " (آل عمران: 96)

كان الله فأوجد مخلوقاته من القلم والعرش والكرسي والسماوات

⁵- أبو الوليد الأزرقى، تاريخ مكة
⁶- المباركفوري، تاريخ مكة، ص: 21

السبع والأرض وخلق الملائكة والجان وأعد الأرض لسكنى الإنسان ثم هبط عليها الإنسان. وقد انتهى إلى اختياره سبحانه وتعالى تلك البقعة المباركة أفضل مكان فيها وسماها 'مكة المكرمة' - أو 'بكة المباركة' التي بنى فيها أول بيت الله وضع لعبادته ووحده للناس جميعا كما ثبت في الروايات. "عن يحيى بن سعيد عن مجاهد قال: لقد خلق الله عز وجل موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفي سنة وإن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى"⁷

فكانت الكعبة أول قطب الرحا للعبادة للناس في الأرض كما جعل رب تعالى فوق سماء السابعة 'البيت المعمورة' هو بيت الله الذي تحج إليه الملائكة. هذا ما وجدنا في نصوص الأحاديث النبوية من واقعة الإسراء والمعراج وشاهده الرسول صلى الله عليه وسلم إبان حجه في العالم الأرواح بعينه اليقين، مشاهدة فيتضح لنا حكمة وضع البيت المعمور في السابعة من السماء للتطابق أيضا مع وضعه في السابعة من الأرض، وحملت العرش من الملائكة المقربين تطوف حول الرب جل وعلا ثم الذين حول العرش من الملائكة يحفون به وهم المقربون ومنهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وغيرهم.

6. من بنى الكعبة أولا؟

نتحير أمام هذا السؤال لأننا نجد أدلة قاطعة إذ بنيت قبل وجود

⁷- أبو الوليد الأزرقى، تاريخ مكة، ص: 43

البشر في الأرض بأن لا حاجة بيتا لأحد في الأرض ليس فيها إنسان ليعبدوا الله بالطواف والإعتكاف والصلاة وغيرها قبل إهباط آدم عليه السلام من جنة المأوى إلى الأرض، يقال لها 'دحنى' وقيل اسمها 'دجنى' وهي أرض خلق منها آدم من طينة الأرض من نفس المكان وهذه الأرض بين مكة والطائف.⁸

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: أهبط آدم بالصفى وحواء في المروة (رواه ابن أبي حاتم) والله أعلم. وكذلك كانت لعرفة وما حولها من المكان عظمت ومكانة رافعة وفي الحديث الذي رواه أحمد وصحيح مسلم. قال حدثنا جرير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام ب'نعمان' - جبل بقرب عرفة - ويقال 'النعمان' السحاب الذي ركد فوقه لعلوه يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا فقال: "أستببر بركم؟" قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون" (الأعراف: 172) وقد أخذ الله الميثاق على الذرية بالوحدانية.⁹

7. بناء آدم عليه السلام البيت:

فواضح أن مكة أيضا لها نصيب شريف في أخذ الميثاق وقد استمر هذا الشرف من يومها على جبل عرفة حتى يومنا هذا، والناس يرحلون إلى هناك

⁸- فؤاد علي رضا، أم القرى، ص: 30
⁹- فؤاد علي رضا، أم القرى، ص: 30

في كل عام للحج وتقف معلنة عن ميثاقها وتمسكها بعهد الله والوفاء به،
فالله تعالى أراد أن يكون في الأرض بيتا له للانسان. فعزم أن يكون مكانه
في هذه البقعة المباركة ويدل على ذلك رواية ابن جرير الطبري في تفسيره
عن ابن عباس قال: إن الله تعالى قال: "يا آدم إن لي حرما بحيال عرشي"
وأرسل الله له ملكا فعرفه مكانه وعلمه المناسك، وذكر أن موضع كل خطوة
خطاها آدم صارت قرية بعد ذلك. فنفهم من هذه الكلمات على أن آدم عليه
السلام هو الذي بنى لربه مسجدا في مكة عند الصفا والمروة أي قريب
عرفة التي جمع آدم وحواء فيها بعد هبوطهما من الجنة إلى الأرض فصاحب
بناء الكعبة الأولى آدم وحواء عليهما السلام.

ومن القول المرجح أن المسجد الحرام أي الكعبة المشرفة بنيت في
مكان اللقاء البشريين الأولين في الأرض آدم وحواء عليهما السلام عند مكة
وفي مكانه المعروف الآن وفيه عبد الله إلى يومنا هذا.¹⁰

وقد ذكر في بعض الأحاديث " بأن الملائكة هم الذين بنوا الكعبة بأمر
من الله قبل خلق آدم عليه السلام ليطوف الإنسان في الأرض كما تطوف
الملائكة حول بيت المعمور في السماء". هذه الروايات كلها إما ضعيفة أو
موضوعة ما التفت إليها أحد من المحدثين الثقات، والله أعلم.

8. قبل وجود الإنسان في الأرض:

هل كانت الكعبة قبل وجود الإنسان في الأرض؟ فالجواب الكامل

¹⁰ - نفس المرجع، ص: 31

الأولى " والله أعلم " بأنه عدم العلة الساطعة لها. وما قال الله تعالى عنها شيئاً في كلامه صريحاً وما أخبرها النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً عنها في الأخبار الصحيحة، ما عدل أقوال بعض المؤرخين القدماء فقط. فمرفوض بدلائل واضحة نقول ما تحت:

1. إن بيت العتيق وجد قبل إبراهيم بكثير. بأن الله أخبرنا بكلامه: "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين" (آل عمران: 96) هذه الآية تدل بأن بيت الله الحرام هو أول بيت وضع للناس لعبادة الله وحده قبل أن تكون مكة غير مسكونة خاوية حيث كان الإنسان يحج إليه من فج عميق، لأن كلمة مكة 'القرية' كانت مقصودة الناس قبل إبراهيم للحج إليها ففيها الموضع والآية يفهم منها أن الله لا بد من أن يكون قد عرفها لمن سبق إبراهيم من الأقبام وعرف البيت لأحبابه كما نقده الشيخ فؤاد علي رضا في كتابه 'أم القرى' - مكة المكرمة - في صفحة 80 بقوله: فمكة بلا جدال لم تكن صاحبة ذكر قبل إبراهيم ولم تكن من القرى ذات المجد الأول رغم أن الله قد كفاها مجداً باختيارها مكاناً لبيته الكريم ثم لاستقبال الحبيب المصطفى وكتابه، وأغلب الظن عندي هو التأكيد في قلبي أن الله قد غيب مجدها السابق لما ينتظرها من مجد لاحق عند بعث رسول الهداية، وأن اختصت بعد محمد صلى الله عليه وسلم لكل الرعاية والعناية فزاد الله من محبة عباده لها فصارت تهفو إليها القلوب والأفئدة وتتمنى

على الله أن يكتب لها زيارتها والصلاة في مسجدتها الشريف.¹¹

2. لما وصل الخليل عليه السلام في أرض الحرم مع هاجر وولده اسماعيل عليه السلام وأسكنهما في البقعة المباركة وهم بالرجوع إلى الشام وترك لهم جزءا من الزاد والماء. استقبل بوجهه البيت العتيق فدعا ربه نداء حنيئا بقلب حنيف متواضع. "ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم... الخ" (ابراهيم: 37) هذه الآية دليل واضح على أن الخليل عليه السلام علم بمكان البيت وستكون هناك أمة من نسل إسماعيل حول البيت فسوف يأتي الله بأمة يقيمون الصلاة وستكون أفئدة الناس تهوى إليهم وتزدهر هذه البلدة الطيبة جيلا بعد جيل بجميع الأزدهارات الشامخة حتى تكون هذه البلدة 'أم القرى' في الأرض.

3. وقال تعالى: "وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا... الخ" (الحج: 26) تدل هذه الآية واضحا بأن قد هيأ الله تعالى موقع القاء حجر البيت على قواعد العتيق قبل بناء بيد الخليل عليه السلام. فمكان البيت محدود في الأرض قبل مجيء إبراهيم عليه السلام إلى هذه البقعة المباركة فكان البيت قبله.

وقال تعالى: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم" (البقرة: 127) فإبراهيم عليه السلام بنى

¹¹11- فؤاد علي رضا، أم القرى، مكة المكرمة، ص: 80

البيت الذي وضع للناس كافة وأراه الله مكانه فأرشدته إليه ودل عليه موقعه
فأمره أن يأتي إليه فرفع من أصوله الأولى من البيت العتيق من قواعده
المخرقة قبله دهور- قبل بعثة إياه إلى عمارة الكعبة المشرفة. فهو مكان
حرم يوم خلقت السماوات والأرض فهو يحرمه الله إلى يوم القيامة.

الفصل الثاني

منذ عصر آدم عليه السلام إلى إبراهيم

الخليل عليه السلام

1. هبوط آدم إلى الأرض وبناء الكعبة:

خلق الله آدم عليه السلام وزوجته حواء في الجنة يعيشان في بهار غدا كما يشاءان إلا هذه الشجرة لكن الشيطان أزلهما فأخرجهما من الجنة وأهبطهما إلى الأرض فكانا من الظالمين فاشتد بكأؤهم وكثر حزنهم على ما أصيب به. فتوجه إلى ربه تضرعاً وخشوعاً يسأل الرحمة والتوبة. فقبل الله منه دعاءه وتاب الله عليه فأمره أن يسير إلى بقعة مباركة. فطوى له الأرض وقبض له المفاز (الصحراء) حتى وصل إلى مكة المكرمة فعزاه الله بخيمة من خيام الجنة، الله ووضعها له بمكة في موضع الكعبة. فلم تنزل هذه الخيمة آدم عليه السلام في مكانها حتى قبض ورفعها الله تعالى وبين بنو آدم من بعده في مكان الخيمة بيتاً بالطين والحجارة. فلم يزل معموراً يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان نوح عليه السلام فنسفه الغرق واختفى مكانه.¹²

وفي رواية أخرى: لما وصل آدم إلى مكة جاءه جبريل ف ضرب بجناحه الأرض فكشف له عن أساس ثابت على الأرض السفلى، فقدفت الملائكة من الصخر ما لا يطاق حمله حمل الصخرة الواحدة منها ثلاثون رجلاً وأنه بناه

¹²12- يوسف عبد الكريم عساني، مكة المكرمة عبر التاريخ، مختصر من باب هبوط آدم إلى الأرض وبناء الكعبة، ص: 8

آدم عليه السلام من جبال مكة وما يحيط بها حتى استوى على وجه الأرض.
فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم عليه السلام حتى بعث
الله الطوفان فنسفه ومحى آثاره ومعالمه إلى زمن إبراهيم عليه السلام.¹³
ذكر أبو الوليد الأزرقى في أخبار مكة بسند إلى ابن إسحاق ما يدل على بناء
آدم الكعبة في أثناء خبر بناء الخليل عليه السلام للكعبة واختلف هل بناه
الملائكة قبل بناء آدم أو بناه آدم قبل الملائكة؟! وذكر الأزرقى ما يشهد
للقولين.¹⁴

2. آدم عليه السلام يحج البيت:

وقال أبو هريرة رضي الله عنه حج آدم فقضى المناسك فلما انتهى
قال " يا رب لكل عامل أجر وإن لي أجراً؟ فقال الله تعالى: أما أنت آدم
فقد غفرت لك وأما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فباء بذنبه غفرت له.¹⁵
عن ابن عباس رضي الله عنه قال: حج آدم عليه السلام وطاف
بالبيت سبعة فلقيته الملائكة في الطواف فقالوا: برحمتك يا آدم، أما أنقاد
حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام. قال: فما كنتم تقولون في الطواف؟
قالوا: كنا نقول: " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " قال آدم
عليه السلام: فزيدوا فيها " ولا حول ولا قوة إلا بالله " قال. فزادت الملائكة.¹⁶
وكان طواف آدم سبعة أسابيع (سبع سبعات) بالليل وخمسة بالنهار. قال

¹³ نفس المرجع ص: 8-9

¹⁴ الحافظ أبي الطيب الفاسي، شفاء الغرام، ج: 1، ص: 149

¹⁵ علي محمد مطاوع، الكعبة والعلم الحديث، ص: 32

¹⁶ الأزرقى، شفاء الغرام مكة المكرمة عبر التاريخ

نافع: كان ابن عمر يفعل ذلك.¹⁷

قال ابن عباس: ثم حج إبراهيم بعد بنيانه البيت فلقيته الملائكة في الطواف فسلموا عليه فقال لهم إبراهيم: ماذا كنتم تقولون في طوافكم؟ قالوا كنا نقول قبل أبيكم آدم: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فأعلمناه ذلك فقال آدم عليه السلام: زيدوا فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله فقال إبراهيم: زيدوا فيها العلي العظيم ففعلت الملائكة كذلك.

فكان الطواف حول البيت سنة منذ طاف آدم عليه السلام حوله.¹⁸

هذه الروايات والأخبار تدل على أن الكعبة المشرفة كانت قائمة مدة من الزمان من عصر آدم عليه السلام وبنائها وحج بها آدم أبو البشر. وفي كتاب 'أخبار مكة' يذكر الأزرقى رواية عن عبد الله بن أبي زياد أنه قال: لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة قال: يا آدم ابن لي بيتا بحذاء بيتي الذي في السماء تتعبد فيه أنت وولدك كما تتعبد ملائكتي حول عرشي.¹⁹

وذكر النووي في 'تهذيب الأسماء واللغات' (ج: 2، ص: 124) بناء الملائكة للكعبة وعد ذلك أول بنائها. ولم يذكر بناء آدم للكعبة. وذلك عجيب منه لأن بناء آدم في الشهرة كبناء الملائكة أو أشهر. وإن كانا غير ثابتين وكلا البنائين على تقدير صحتها تأسيس. والله أعلم.²⁰

فأمل بناء آدم عليه السلام روي فيه خبر مرفوع في كتاب 'دلائل

¹⁷17- الكعبة والعلم الحديث، ص: 32

¹⁸18- نفس المراجع

¹⁹19- د/حسين محسن، الكعبة المشرفة والعدوان عليها، ص: 16

²⁰20- شفاء الغرام، ص: 148

النبوة، للبيهقي ولفظه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما. ابني لبي بيتا فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى أجابه الماء فنودي من تحته: حسبك يا آدم فلما بناه الله إليه أن تطوف به وقيل له: أنت أول الناس وهذا أول بيت، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح عليه السلام ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه.²¹

3. بعد آدم عليه السلام:

لما توفي آدم عليه السلام فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتا بالطين والحجارة فلم يزل البيت قائما حتى زمان نوح عليه السلام فنسف الطوفان وغير مكانه حتى بؤى لإبراهيم عليه السلام.

وقيل: إن النبي شيث عليه السلام بن آدم هو الذي بناه بعد موت آدم في مكانه الأول بسبب وصيته إياه أبوه آدم عليه السلام. والله أعلم.

أما بناء الخليل عليه السلام فهو ثابت صريح بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية كما ذكرناه من قبل، وهو أول من بنى البيت على ما ذكر الفاكهي عن علي بن أبي طالب وجزم به الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره وقال: لم يجيء خبر عن معصوم إذ البيت كان مبنيا قبل الخليل.²²

يذكر في كتاب 'مكة المكرمة عبر التاريخ' بقلم الشيخ يوسف عبد الكريم عسائي: "وبهذا الطوفان الذي عم الأرض فقد خفي مكان الكعبة

²¹ - البيهقي عن ابن عبد الله الحافظ مرفوعا
²² - شفاء الغرام، ص: 150

ودرس أثرها وأتى الطم والتراب على معالمها فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام. ولما أراد الله تعالى لبيته أن يظهر من جديد لعمارتها بالعبادة والطواف وإظهار دينه وشرائعه بأه لإبراهيم عليه السلام، فلم يزل هذا البيت منذ أن كان معظم محرماً تتناقل تعظيمه وحرمة الأمم والأجيال أمة بعد أمة وملة بعد ملة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها"²³

4. الأنبياء في الحرم الشريف:

عصر قوم ثمود:

روي عن جابر رضي الله عنه قال: لما مر رسول الله بالحجر قال: لا تسألوا الآيات فقد سأله قوم صالح. فكانت - يعني الناقة - ترد من هذا الفج (طريق بين جبلين) وتصدر من هذا الفج. فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وقد كانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً. فعقروها فأخذتهم صيحة أهدم الله بهل من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله، فقالوا من هو يا رسول الله؟ قال: "هو أبو رغال (زيد بن مخلف وكان عبداً لصالح) فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب القوم"

وفيه ذكر الحرم الشريف والبيت العتيق.²⁴ وقد ورد عن السلف بأن النبي صالحاً عليه السلام انتقل إلى حرم الله فأقام به حتى مات.

عصر هود وصالح:

روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطمها الليف، أزرقهم العباء وأرديتهم النمار، ولقد ذكرنا حديث وادي عساف هذا عن رواية الطبراني وفيه نوح وهود وإبراهيم عليهم السلام. فأشارت هذه كلها

²³23- مكة المكرمة عبر التاريخ، ص: 16
²⁴24- فؤاد علي رضا، أم القرى، ص: 77

محتمل قبل بناء مكة على الغالب من زمن إبراهيم عليه السلام. فقد علمنا مما سبق ارتباط الأنبياء جميعا بالبيت العتيق وأنه لم يكن بعد قد عُرف ببيت الله غير الذي ببكة مباركا وهدى للعالمين.²⁵

²⁵25- فؤاد علي رضا، أم القرى، ص: 77

الفصل الثالث من عصر إبراهيم عليه السلام إلى عهد

محمد صلعم

1. إبراهيم عليه السلام ومكة:

هي الأرض دخلها عدد لا يحصى من بني آدم وبجموعهم عمرت القرى والأمصار وتقدمت الحياة بعلومها وفنونها وازدهرت الأعمال. ولمكة المكرمة علاقة بمن كانوا فيها من عمروها للبشرية. فاجتمع بمكة وحولها الأخيار. لأنها قرية اختيرت وفضلها الله تبارك وتعالى. ما زالت مكة تنتظر لرسول مبشر وشرعي مقرر عالمي هو خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام الذي بعثه الله إلى الأنام من ذي العزم من الأنبياء وما برحت مكة إلى يومنا هذا وستظل مركز أشعة فكرية وروحية وخلقيتها كبيرة ينير ظلام الإنسانية رغم تواتر الزمان والعصور. فتكون المركز الأدبي الزاهر للغة الجميع والأمم كبرا عن كابر.

وإن شخصية مكة لا تنفصل أبدا عن قضية التوحيد والهداية وأنه لا يجوز لنا أن نذكر مكة دون ذكر من عمرت بهم وكتبوا تاريخها من الأنبياء الصالحين عندما تركزت الأضواء عند المسجد الأقصى وحول القدس والخليل ومرابع إبراهيم عليه السلام وبنيه.

وإن إبراهيم لم يولد بمكة ولم يكن مرسلا لأهلها بل إن مكة قرية بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأهلهما حيث أمرهما الله بذلك.

وأنها لم تكن موجودة على زمانهم وأن هناك خلطا عن قرى أخرى كانت بجوار مكة هي مضرب الخيام للعرب الذين خلفوا قوم ثمود في أرض الجزيرة. إن أصول أمتهم ترجع إلى أبي البشر آدم عليه السلام من ثلاث طوائف معروفة لدى المؤرخين من البائدة والعاربة والمستعمرة.

2. بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام:

فأله جل وعلا يقول: "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين" (آل عمران: 96)

فهو أول بيت لله في الأرض وضعه للناس التماسا للهدى من الله، فخشي بعض العلماء من مفسري كتاب الله أن يكون هناك بيت قبله فاحترزوا في تفسير الآية بقولهم: "إن أول بيت وضع للناس لعبادة الله عبادة صحيحة بيت مكة".

وجاءت أقوال في هذه الأولية منها في تفسير الطبري قالوا: وليس هو أول بيت وضع في الأرض لأنه قد كانت قبله بيوت كثيرة.²⁶

"وفيه قول نسبه خالد بن عرعة إلى الإمام علي رضي الله عنه قال: سمعت عليا. وقيل له: إن أول بيت وضع للناس بكه هو أول بيت كان في الأرض؟ قال لا قال: فأين كان قوم نوح؟ وأين كان قوم هود؟ قال: ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى" (تفسير الطبري)

ومن المعاصرين محمد عبده ومحمد رشيد رضا ذهب الأول كما جاء

²⁶ - تفسير الطبري، ج: 2

في تفسير 'المنار' أول بيت وضع معبدا للناس بناه إبراهيم وولده إسماعيل
لأجل العبادة خاصة. (تفسير المنار)

وقال رشيد رضا أيضا: والمتبادر- أنها أولية الزمان بالنسبة إلى بيوت
العبادة الصحيحة التي بناها الأنبياء فليس في الأرض بناء بناه الأنبياء أقدم
منه فيمل يعرف من تاريخهم وما يؤثر عنهم، وهذا يستلزم الأولية في الشرف
(تفسير المنار)

وهذا البيت أول قبلة للناس يتوجهون للعبادة لله وحده فلا يمكن أن
يكون له بيت بعده ولا قبله.

وطبيعي أن رسل الله الكرام الذين سبقوا إبراهيم منذ أبي البشر آدم
عليه السلام كانوا يعبدون الله ويصلون. فطبيعي أن تكون لهم ولأممهم أو
أتباعهم معابد خاصة بهم ولكن لا يسمى أي معبد منها بيت الله إلا معبد
مكة وحده. فهو بيت الله الوحيد الذي لا ثاني له للأمن قبل ولا من بعد، ولأن
تسمية الله مل بناه إبراهيم وإسماعيل بأيادهم بأمر الله ووحيه منه كانت
لأسباب نفتقدها في جميع معابد الأرض دون استثناء.

3. البيت والمسجد - مناقشة:

فمعبد مكة هو وحده بيت الله. أما غيره فمعابد أو مساجد وإذا
سميت بيوت الله فليست هذه التسمية على الحقيقة الثابتة التي سمى
بسبها معبد مكة 'بيت الله' بدلائل معدودة منها:

1. إن الله سمى معبده مكة بيته ونسبه إلى نفسه وحده بقوله: 'طهر

بيتي، و'عند بيتك المحرم'، و'رب هذا البيت'.

فليس معبد المدينة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الله وإن كان ثاني حرم في الأرض ومكانته جد عظيمة والصلاة فيه بألف صلاة إلا المسجد الحرام. فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة. فإذا كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيت الله فإن كل معابد الرسل ليست بحرم وليس أحد منها بيت الله. فلا يقال بيت الله على الإطلاق والتعميم إلا لمعبد مكة وحده. وليس في الأرض بيت الله على التحقيق سواه، أما غيره من المعابد فمساجد، فإذا أطلق عليها بيوت الله فعلى التشبيه. فأما قوله تعالى: " في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال"²⁷ فهذه الآية لم تصرح بأن هذه البيوت بيوت الله وإنما أريد بهذه البيوت 'المساجد' وكل مساجد الأرض ما عدا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست حرما.

2. إنه حرم بيت مكة منذ خلق السماوات والأرض. وعندما رفعه إبراهيم قواعد بيت الله عرف أنه حرم مقدس ولم يذكر أن في الأرض قطعة منها محرمة غير مكة التي وضع بها بيته المحرم.

3. جعله قبلة العالم كله وليس في الأرض مسجد أمر المسلمون باتخاذها قبلة إلى يوم القيامة سواه، ولا تقبل صلاة امرئ لا يوجه وجهه إلى

²⁷27- النور، آية: 36

بيت الله.

4. ليس في الأرض كلها بيت الله يطاف به غير بيته الحرام بمكة وإذا

ضاهى أحد مسجداً أعده للطواف فعمله الخروج عن دين الله.

5. ليس في الأرض بيت الله أمر الناس بحجه واعتماؤه إلا ببلده الحرام.

6. حينما يحج- أو يعتمر- المسلمون- أمروا- أن- يخلعوا- ملابس- دنياهم

ويرتدوا- ملابس- الإحرام- وأن- يكونوا- حاسري- الرؤوس- . ليس- هذا- إلا

لبيت الله الحرام.

7. ليس في الأرض مسجد أو بيت لله بناه أبو الأنبياء آدم عليه السلام

وأبو خير- الأنبياء إبراهيم وإسماعيل- عليهما السلام- بأمر- رب- السماء

ثم شارك في بنائه خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه

وسلم.

8. ليس في الأرض بيت غير بيت الله بمكة للسعي بين الصفا والمروة

بسبعة أشواط غير الطواف.

ولهذه الأسباب وغيرها تفرد بيت الله إلى يوم الدين بيت الله الأول

الوحيد ببدايته والآخر- بنهايته بنى- بأمر- الله عز وجل- وهو الذي حدد بقعته

ومساحته وحدوده وشعائره معروفة بالتواتر وهذا بوحى من الله.²⁸

4. وقفة أمام الكعبة:

هكذا على أقوال من يعتبر- الآية تفسيراً- ويزعمون- معنى- "إن أول

²⁸28- فايز بدر، وقفة أمام الكعبة، ص: 17

بيت وضع للناس... الخ". ولكن بعض النقاد والمفسرين يقولون " أول بيت بنى لعبادة الواحد الأحد - ليس مهما أن نعرف أول من بناه سواء أكانت الملائكة أم آدم عليه السلام أو العمالقة... أو... أو... ولا يهمنا أن نعرف كم مرة أعيد بناؤه... قلنا هذا لا يهمنا! إنها الكعبة... وكفى...! (كما قال فايز بدر في مقاله وقفة أمام الكعبة، ص: 17)

نجيب بقوله لئن إن هذا الكلام لغو وفخر لأن الكعبة المشرفة لها مزية عظيمة في الأرض وبين الإنسان كله. فنحن المسلمون في أمس الحاجة إلى أن نؤكد تاريخها من البداية حتى يوم القيامة. لأن عرفان هذه السيرة العظيمة من تقوى القلوب". ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" وليست الكعبة مبنية عادية كعمائر مهجورة معمورة في ركن من أطراف العالم ولكنها بنيت على كل قلب مؤمن مسلم حنيف مخلص لله يتعلق بهل قلوبهم إلى الرحمن الرحيم. وترتبط أفئدة المؤمنين صلة مباشرة إلى السماء بخمسة أوقات يوميا بواسطتها فتحقيق تاريخها شأن عظيم. وهلا نرى في العالم مباني عظيمة مشهورة يوضح تاريخها كبيرا كان أو حقيرا خفيا كان أو جهيرا يسيرا كان أو عظيما في حواشي التاريخ حتى البنائين الذين عمروها والنجارين الذين رسموا عليها والدهانين الذين صبغوها والألوان التي رقوموا فيها والنقاط التي تخططوا عليها وغيرها من البيانات والسير كلها مكتوبة ومرقومة ومسجولة كتاجمحل في نيودلهي أو منارة شيكاغو في باريس أو الأهرام في مصر أو غيرها - العمائر والبنيان من

عجائب الدنيا العالمية مرسومة تواريخها صغيرها وكبيرها طوال الأزمنة
والأمكنة والأحوال والبيئات والتطورات والتغييرات حتى دونت فيها الشئون
الخفية كالساعات والدقائق والثواني واللحظات. فنعجب بالعجب الرهيب
بقول فايز بدر. " ليس مهمل أن نعرف أول من بناه... سواء... ولا يهمنا أن
نعرف كم مرة أعيد بنائه... الخ. هذه كلمات خطيرة وفضية وبعيدة من
الحقائق والتقوى والإيمان والله يهدينا إلى سواء السبيل.

ولقد بين الشيخ الأزرق في 'أخبار مكة' أن الكعبة بنيت عشر مرات
في طول الأزمنة منذ عرف الانسان تاريخ الكعبة المعظمة كالتالي: 1- بناية
الملائكة، 2- بناية آدم، 3- بناية شيث، 4- بناية إبراهيم، 5- بناية العمالقة،
6- بناية جرهم، 7- بناية قصي، 8- بناية قريش، 9- بناية ابن الزبير، 10-
بناية حجاج بن يوسف الثقفي.²⁹ وقد تقدم لنا الروايات والدلائل على حدة
وليس هناك دلائل لإنكارها إلا الإهمال والكبر والمفاخر فقط. والله أعلم
بالصواب.

5. مغادرة رحلة إبراهيم عليه السلام:

كانت صورة الإنسان قبل مبعث إبراهيم وقد تعددت الأصنام حتى
قال بعضهم:

" لم تكن في الأرض فرد يعبد الله أبدا حتى كان إبراهيم " كما ورد عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال فيه: "لما ألقى إبراهيم في النار قال: اللهم إنك في

²⁹29- شفاء الغرام، ص: 147، (وانظر الروض الأنف 1/221: وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، ج: 2، ص: 124

السماء واحد، وإبراهيم في الأرض واحد يعبدك.³⁰

والأرض كلها في ضلال وظلام، هنا مملكة الكلدانيين تحكم في بابل
ربع الكون، وهم يعبدون الأصنام وتقام الأوثان في كل مكان بعدما مضى نوح
عليه السلام وطوفان، وههنا الكنعانيون في فلسطين وما جاورها. عباد
الأصنام، وهناك المجوس يعبدون النار والفرعانة وجنوده وقومه في مملكتهم
يعبد أصنامهم فاستذل الشيطان الإنسان بعزته وغويه حتى امتلئت الأرض
كلها بطواغيت. والنمرود في بلدة 'أور' التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام
وقومه له عابدون، وأبو إبراهيم 'آزر' يصنع لهم آلهة لكن إبراهيم يحفل منه
دوما منفردا وقومه ويعبد ربه وحيدا كما قرر تعالى في محكم تنزيله عنه:
"ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين"³¹

بعدما عزم إبراهيم عليه السلام على ترك بلده ووالده ومليكه
ومملكته خرج مع زوجته 'سارة' من ديار نمرود إلى أرض أخرى في الشمال
أرض الكنعانيين ثم وقع فيها ما وقع ثم نزل بمدينة سدوم ثم أمره العلي
الكبير ليغادر إلى مكة المباركة. فوضع قدميه لأول مرة في المكان المقدس
في الأرض.

6. بناء الكعبة بيد الخليل عليه السلام:

عندما ولد إسماعيل لهاجرة اشتدت غيرة سارة منها وطلبت من
الخليل عليه السلام أن يغيب وجهها عنها فأوحى ربه إلى إبراهيم أن

³⁰- ابن عساكر
³¹- الأنبياء، آية: 51

يخرجها وابنها إلى مكة المشرفة. فغادر إبراهيم وبولدهما فسار بهما حتى
وضعهما حيث تقع مكة اليوم.

وكان إبراهيم بعد أن ترك هاجر وابنها يزورهما ويتفقد أحوالهما. وفي
إحدى زيارته وجد إسماعيل عليه السلام يبكي نبالاً له تحت دوحه قريبا
من زمزم. فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم
قال: يا بني إسماعيل إن الله أمرني بأمر. فقال: فاصنع ما أمرك به ربك،
قال: وتعينني؟ قال: وأعينك إن شاء الله. قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا
بيتا لله وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها.

فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت وجعل إسماعيل يأتي بالحجارة
وكانت هاجر تقوم بإعداد الطعام وإبراهيم عليه السلام يبني حتى إذا ارتفع
البناء جاء بهذا الحجر (المقام) فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل
عليهما السلام يناوله الحجارة وهما يقولان: "ربنا تقبل منا إنك أنت السميع
العليم" (البقرة: 127) وعندما أتم البناء كان إبراهيم عليه السلام كثير
الدعاء يرفع يديه إلى السماء دائما داعيا إلى الله حنيفا مسلما "ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا؛ رب اجعل
هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات؛ رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني
وبني أن نعبد الأصنام؛ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك... الخ"
فأوحى الله إلى إبراهيم: "ألا تشرك بي شيئا: وطهر بيتي للطائفين
والعاكفين والركع السجود؛ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل

ضامر- يأتين- من- كل- فج- عميق" فصعد إبراهيم على سطح الكعبة يدعو الناس إلى الحج إلى بيت الله الحرام، ثم أخذ يطوف بالكعبة مع زوجته وابنه اسماعيل والذين آمنوا بدعوته من أبناء القبائل العربية...

7. الكعبة بعد الخليل عليه السلام:

وعاد إبراهيم إلى الشام... وأخبر زوجته سارة ببناء الكعبة... وفي الستين من العمر ماتت هاجر ودفنت بجوار الكعبة... ومن المعروف أن إبراهيم عليه السلام عاش عيشة موحد داعية إلى الله-175 عام ودفن بمدينة الخليل-(حبرون) بجوار سارة وعاش إسماعيل عليه السلام-137 سنة وقد أنجبت زوجته السيدة بنت مضا- ابن عمرو الجرهمي- اثني عشر ابنًا، هم أبناء إسماعيل يمضون قافلة السنين.

وكان من بعد إبراهيم عليه السلام أمر لوط وقوم لوط وما نزل عليهم من عذاب. قبل نزول العذاب عليهم ذهب النبي لوط عليه السلام ومن آمن معهم إلى 'غورغز' تتابع التاريخ بقصة أهل مدينة قوم شعيب عليه السلام. وهم أصحاب الأيكة. وكان أهل مدين كفارًا يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون الأيكة. وكانوا من أسوأ الناس معاملة. فبعث الله فيهم شعيبا ودعاهم إلى الله ونهاهم عن تعاطي المنكر. وبخس الناس أشياءهم وألا يخسروا في الميزان. فتولوا فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. وإن شعيبا مات بمكة هو ومن معه من المؤمنين. وقبورهم في غرب الكعبة بين دار الندوة ودار بني سهم. وإن شعيبا ذهب بالصالحين قبل نزول العذاب

على كفار- مدين- إلى مكة المكرمة ليكون- مع قوم- جرهم- وأبناء إسماعيل عليه السلام لأن الدين في هذا الوقت كان واحدا لم يتجزأ ملة أبيهم إبراهيم الذين هم سماهم الله المسلمين من قبل.

8. وصية إسماعيل لإسحاق عليهما السلام:

وقد ورد في الأخبار- الصحيحة " أن- إسماعيل- أول- من- فتق- لسانه بالعربية البينة وهو ابن- عشر- سنين- وتزوج امرأة من- العمالقة وأمره أبوه إبراهيم عليه السلام فطلقها. ثم تزوج من بنت مضا- الجرهمي وأمه نائلة فولدت له اثني عشر- ولدا ذكرا. وكان إسماعيل- عليه السلام- نبيا إلى قوم العماليق- وجرهم- والعرب- وأهل- اليمن؛ ولما- حضرته- الوفاة أوصى- أخاه إسحاق- عليه السلام- بزيارة مكة للحج وبيعة الخلافة من- بعد أخيه وزوج ابنته وابنه 'الغيض'.... ودفن إسماعيل عليه السلام بجوار قبر أمه هاجر.

9. يتحقق دعوة إبراهيم عليه السلام:

كانت الأرض- الجديدة التي سكنها رهط إسماعيل- عليه السلام- أرض خيرة وبركة. فيها علامات النور- وتأثر في قلوبهم ' أم القرى '. إذ عرفوا مسير الأنبياء- والتفد الناس- حولهم- وأجيبت دعوات إبراهيم عليه السلام- فيهم. فأصبح البيت مقصدا للناس- مطهرا وأصبحوا بالوافدين- أشد فرح. ولقد ملأت آذانهم نداء أبيهم إبراهيم عليه السلام- بإعلانه " فأذن بالناس- إلخ " فتوافد الناس- إلى مكة من- كل- فج عميق. فأصبحت جرهم بخدمتها للبيت العتيق ووصلتها إبراهيم عليه السلام- فكانت لها التجارة والقوافل- والنصيب الوفير

من الخير ومن النذور إلى الرحمن الكريم.³²

قد أخذ جرهم والقحطانيون أم القرى والكعبة المشرفة مع تشريف ومهابة، وكانت جرهم أربعة إخوة فهي طسم؛ وجديس؛ وأميم؛ والعماليق. كما كانت القحطانيين كذلك أربعة إخوة فهي قحطان؛ وقاحط؛ ومقحط؛ وفالغ.³³

10. يضع الحرب أوزارها:

وبعد إسماعيل عليه السلام لم يحفظ الجرهميون كلماته الوصية. فأصبحوا جميعاً يتمسكون بخدمة البيت، ولا يتمسكون بديانة إبراهيم الحنفية، والناس بطبيعتهم شعوب ثم القبائل، ومنها خزاعة التي تفرقت من سبيل حين أرسل الله عليهم سيل العرم، لأن خزاعة هبت تحارب جرهم على ما في يدها ولقد كان منهم التبابعة في أرض اليمن يعني 'قوم تبع' وكانوا على الهداية من دين إبراهيم وطريق الرشاد. فلما بدّلوا نعمة الله لكفرا أنزل الله عليهم العذاب. وكانوا عباد الشمس من دون الله؛ وكان ذلك في زمان سابق لملكتهم بلقيس. فجاءهم عذاب الله بسيل العرم ثم تتابع الحرب والقتال بين جرهم وخزاعة. وعندما تضع الحرب أوزارها سوف تسارع كل قبيلة اشتركت في قتال جرهم في طلب إمتيازات لها، وحقوق في مكة وتفوقهم بالتجارة، وسوف تتنازع القبائل للخير والتجارة وسقاية الحج. وقد تدور الحرب بين هذه القبائل لدفع دماء أبنائها ثمنها لها في حرب جرهم حتى أخرجوا من اليمن. فاستعلى عليهم خزاعة واكتسحت جيوش

³² - سيرة ابن هشام، البداية والنهاية

³³ - البداية والنهاية

عمرو بن عامر من قبيلة تبع الجديد على جرهم المترفة حتى أصبح الأمر كله في سلطنة خزاعة فأصبحوا أصحاب أم القرى حكامها ومالكي خيراتها والمسيطرين على طرف قوافل الشام والحبشة وجوارهما.

11. داود وسليمان عليهما السلام والبيت المقدس والكعبة:

إن بيت المقدس الذي بناه سليمان عليه السلام كبيت للصلاة اجتمعت فيه في زمان ملكيته قلوب المؤمنين الربانيين من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام من أتباعه وداود وسليمان عليهما السلام. ولم يكن حائلا للناس من الذهاب إلى مكة للطواف بالبيت العتيق رغم وجود الأصنام فيه، كأن الله أعد مكة لأمر عظيم آخر هو البعث المحمدي. فلذا نجد في مراجعنا عن — ذهاب — داود — أو — سليمان — عليهما السلام

إلى مكة أو زيارة البيت العتيق. والله أعلم.

ومضى الزمان ومكة في الأوثان يتوارثها الأعراب من نسل عدنان والنور قد سلط على بيت المقدس مبعث أنبياء الله وكان الأمر من بعد سليمان عليه السلام إلى أبنائه فنشأت المدن وتفرقت عنهم الممالك وعاد بعضها إلى تدنس الأوثان والأصنام. وكان في بابل من يعبد النار وقد ضلت أهل سبأ من دين سليمان عليه السلام من بعده وعبدوا الأصنام حتى بنى إسرائيل، قد قهقروا من دين الحنفية إلى دين الوثنية والعصيان.

12. الكعبة وبنو إسرائيل:

ومضت العصور وأرسل الله الأنبياء تترى ومنهم النبي أشعيا وأرميا
ودانيال من صلب يعقوب كلهم من بني إسرائيل ثم خرج عليهم ملك بابل
'بختنصر' القوي، ودخل بيت المقدس وبطش على الناس وهدم بيت
المقدس وحرق الهياكل بما فيها من كتب التوراة وأذاقهم العذاب المهين،
ومن ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل في البلاد فنزلت طائفة منهم الحجاز
وطائفة بيثرب وطائفة بوادي القرى.

فلما هلك بختنصر وجنده وأتباعه بيد نبي الله أرميا نادى في بني
إسرائيل أن يعودوا إلى بيت المقدس على قواعد بناء البيت وعمارة
المسجد ومدينة القدس، وولى عليهم رجلا من نسل داود عليه السلام،
وعادوا إلى هناك. فأقام بنو إسرائيل بها وعملوا صالحا ورد الله عليهم أمرهم
ردًا جميلا. ثم أيقظ الله عبده أرميا. فوجدتها عامرة حتى عادت إليهم
الضلالة وابتعدوا عن الحق فسلط الله عليهم دولة الروم. وبعد ذلك لم يعد
لهم جماعة أو دولة أو سلطانا حتى يومنا الحاضر، كما امتثل الله تعالى هذه
القصة في سورة البقرة بقوله: "أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على
عروشها" الخ (البقرة: 159)³⁴

³⁴34- فؤاد علي رضا، أم القرى، ص: 130-133

ضاقت مكة المكرمة ببني إسماعيل وجرهم بعد ازديادهم وتكاثر أعدادهم فانتشروا في البلاد المجاورة طلبا للمعاش وابتغاءا للرزق، فكان كثير منهم لا يرتحل من مكة، إلا حمل حجرا من حجارة الحرم تعظيما له ومحبة بمكة وتعلقا بالكعبة. وحيثما حلّوا وأقاموا وضعوا الحجر فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى أدى بهم الأمر إلى عبادة ما استحسّنوه من حجارة الحرم خاصة.

13. الأصنام في داخل الكعبة:

إن جرهم لم تكن قد دنست الكعبة بالأوثان. فأصبح أبناء إسماعيل تخاضعوا سياسة جرهم لكن أسفا على خزاعة قد استقدمت من أرض اليمن ألقتها ولم تدخلها الكعبة، فلما ضاعت الحنفية من قبائل جرهم أصبح كل يأتي إلى البيت ومعه صنمه بل سولت الشيطان لنفس عمرو بن عامر أن يدخل كل هذه الأصنام من خارج البيت إلى داخله. وقد تزخر جزيرة العرب والشام والحبشة ونجران بالأصنام المتعددة. فأرسل عمرو رسله إلى كل قبيلة يسألونها أصنامها لكي تملأ الكعبة المعظمة بالأوثان والأصنام والتمائيل لنيل شرفها للبيت العتيق. ولما اعترضه أبناء إسماعيل حمل عليهم وهددهم بإخراجهم من مكة فخافوا أن تخرجوا منها مدحورين، ومع أن قلوبهم مليئة بحب البيت ودين إبراهيم عليه السلام.

فلما هلك عمرو ورجع ملك اليمن كله إلى حسان بن ثُبَع وتوالى
الملوك من تبع ملك وراء ملك وكلهم ينتهي إلى سبأ بن قحطان، فبعض
الملوك أغاروا على بيت الله أحياناً، ويقال إنهم كثير فإن الله أهلكتهم
بعقاب من عنده ومنهم من طاف بالبيت وعظمه وكرمه وحلق رأسه عنده
وهو من عباد الأصنام، ومنهم من أرادوا اختلال البيت واختلصوا وكان البيت
المملوء بالذهب والفضة واللؤلؤ والدخائر. ولكن الله منعوهم برحمته، وكان
ملك تُبَع أسعد الحميري. فدخل أم القرى وأقام بها ستة أيام ينحر للناس
ويطعم أهلها ويسقيهم العسل. وكسا الكعبة بثوب غليظ من الخوض والليف
ثم عاد فنزعه ووضع مكانه المعافر ثم عاد فنزعه وكساها بحرير من الملاء
والموصل، فكان أول من كسا البيت في القديم من الزمان. ونهى الناس عن
البغي وإرتكاب الفواحش عند البيت. وجعل له باباً ومفتاحاً لأن لا يدخل
داخل البيت إلا بإذن المسؤولين وأن لا يسرق أحد كنز الكعبة وكان في بئر
في جوفها.

وتوالت السنون وخلفت الأجيال بعضها بعضا. فنسوا ما كانوا عليه من عبادة حقة، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليه السلام دينا غيره، وعقيدة باطلة. فعبدوا الأصنام وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم من الضلالات، وبقي فيهم بقية يعبدون الله على دين الحنيفة يعظمون البيت ويطوفون به في حجهم وعمرتهم مع إدخالهم أشياء مما ليس منه. وكان أول من غير دين إبراهيم ونصب الأصنام حول الكعبة وسيب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحام عمرو بن لحي.

فكان هُبل من أعظم أصنام قريش عند الكعبة فاستقسموا بالأزلام ونصبوا صنم 'إساف' و'نائلة' في الصفا والمروة، ونصب عمرو بن لحي على ساحل البحر الأحمر بين ينبع ورايح وثن 'مناة' ونصبوا صخرة 'اللات' في الطائف، وكانت العزى صنما لخزاعة فيطوفون بها بعد حجهم وطوافهم بالكعبة، ولكفار قريش قريب مكة شجرة عظيمة خضراء يقال لها 'ذات أنواط' يأتونها كل سنة مرة يعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون عندها يوما. وكان لهذيل وبني لحيان في ضواحي مكة قريب من مر الظهران صنم 'سواع'. هكذا دخلت الأصنام في الكعبة المعظمة.

14. تنازع أبناء إسماعيل عليه السلام:

وخزاعة تنازع أبناء إسماعيل مع كنانة. وقبيلة بني بكر أبعد عن الخزاعة من جهة، وكذلك قبيلة فهر بن مالك والكنانة تفرقا بأسباب شتى. وقضاعة كانت حول مكة بعيدا عن الخزاعة وأوثانها فأجلاهم عن البيت واستقل خزاعة بولاية البيت. فلما عظم شأن قُصي رأى أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة. فطلب إلى بني بكر مناصرة أهله من قريش لإخراج خزاعة من مكة فأجابوه بمساعدته فكان قُصي سيدا مطاعا فنصبه قريش ملكا على مكة، فوصل إليه أمر حماية البيت وسقايته ورفادته وندوته ولوائه، فحاز شرف مكة. فخاضت القبائل كلهم لهم. فكذلك عاد البيت إلى أبناء إسماعيل وتسلموا بيتهم العتيق.

فلما مات قصى تنازع أبنائه فرقتين وسُمي حلف بني عبد مناف حلف المطيبيه لأنهم غمسوا أيديهم في جفنة بها طيب ثم مسحوها في الكعبة ثم اصطلحوا واتفقوا على أن تكون الرفادة والسقاية لبني عبد مناف وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عبد الدار.

جدير بالذكر، أن الكعبة عندما تهدمت بنت بناءها عمالقة جرهم ثم بنته قريش قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقيل بخمس عشرة سنة. فكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ الحلم وقد آل الأمر من بعد ذلك إلى هاشم فكان عنده الفضل كله.³⁵

15. مسير تبع لهم الكعبة:

³⁵35- فؤاد علي رضا، أم القرى، ص: 144

ثلاثة من التبابعة سارت إلى مكة لهدم الكعبة قبل واقعة الفيل،
قدم تبع الأول مكة زمن خزاعة، فقامت دونه وصدته عن قصده وقاتلته قتالا
مريرا حتى رده إلى بلده خائبا دون تحقيق الهدف الذي يريد، وكذلك
فعلت خزاعة بتبع الثاني. أما تبع الثالث فكان مسيره إلى مكة يريده هدم
البيت أول زمان قريش.

وكان سبب مسيره إلى مكة أن جماعة من هذيل من بني لحيان
جاؤوا إليه فقالوا: إن بمكة بيتا تعظمه العرب جميعا وتغدو إليه وتنحدر عنده
وتحجه وتعتمره، وقد حازت قريش بولايتها الشرف كل الشرف ونالت علو
المنزلة والذكر الرفيع، وأنت أيها الملك العظيم أولى أن تكون ذلك البيت
وشرفه وذكره لك. فلو سرت إليه وخربته وبنيت عندك بيتا ثم صرفت
الحجاج من العرب وغيرهم إلى ذلك البيت الذي تبنيه، كنت أحق
بالشرف والذكر منهم. فأجمع تبع على المسير إلى مكة. وجهز لذلك جيشه
وسار حتى إذا كان بالذف من جمدان بين أمج وعسفان وقفت بهم ركوبهم
وأظلمت الأرض عليهم، وأتت عليهم ريح شديدة، فلما أصيب بذلك دعا تبع
أخبارا كانوا معه من أهل الكتاب وسألهم عن سبب ذلك. فقالوا: هل أردت
بهذا البيت شرا؟ فأخبرهم بقصده. فقالت له الأخبار: والله ما أرادوا إلا
هلاكك وهلاك قومك إن هذا بيت الله الحرام ولم يرده أحد قط بشر إلا هلك.
فقال تبع، فما العمل؟ وبم النصح؟ قالوا: تنوي له الخير بأن تعظمه وتكسوه
وتنحدر عنده وتحسن إلى أهله. ففعل ذلك فانجلت الظلمة وسكنت الريح
وانطلقت بهم دوابهم. فأمر تبع بالهذيليين، فضربت أعناقهم ثم صلبهم.

ثم سار تبع حتى وصل مكة فأقام بها ينحر في كل يوم مائة من الإبل لا يمسه هو ولا أحد من جنده، وتركوها للناس يأخذون منها حاجتهم، وتهوي الطير إليها فتأكل، ثم تأخذ السباع منها إذا كان المساء، ولا يصد عنها إنسان ولا طائر ولا سبع. يفعل ذلك طيلة مدة إقامته في مكة، ثم كسا الكعبة كسوة كاملة وجعل لها بابا يُغلق وانصرف عائدا إلى بلاده".³⁶

16. وقعة أصحاب الفيل:

في عهد عبد المطلب أن أبرهة حاكم اليمن بنى له كنيسة سماها 'القليس' وأراد أن يصرف إليها حج العرب من الكعبة فغضب العرب لذلك، فأتى رجل من بني مالك بن كنانة فتلوثها، فلما علم أبرهة غضب وأقسم ليسيرن إل البيت فيهدمه، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار ومعه الفيل.

فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم. وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم عن مقصده، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم بقتاله فتركوا ذلك.

³⁶36- يوسف عبد الكريم عسائي، مكة المكرمة عبر التاريخ، ص: 55

وبعث أبرهة حُناطة الحميري إلى مكة وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم يرد حربي فأتني به.

فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له: عبد المطلب بن هاشم، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب: "والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة أنا رب الإبل فأطالب بها. وإن للبيت ربا يحميه، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندما دفع عنه" فقال له حناطة: فانطلق معي إليه فإنه أمرني أن آتية بك. وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم. فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يُجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه. فنزل أبرهة عن سيره فجلس على بساطة وأجلسه معه عليه إلى جنبه ثم قال لترجمانه قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان فقال: حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بغير أصابها لي. فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني. أتكلمني في مائتي بغير أصابتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه!؟

قال: ما كان ليمنتع مني. قال: أنت وذاك. رد أبرهة على عبد
المطلب إبله، وانصرف عبد المطلب إلى قريش وأمرهم بالخروج من مكة
والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرفة الجيش.
ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من
قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب:
لا هم أن العبد يمنع رحله فامنع حلاك

لا يغلبن صليبيهم ومحالهم غدوا محالك"

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهياً فيله وعبى جيشه وكان اسم
الفيل محمودا وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصارف إلى اليمن.
فلما وجهوا الفيل إلى مكة برك الفيل فضربوه ليقوم فأبى. فوجهوه
راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوا إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى
المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك، فأرسل الله تعالى عليهم
طيورا من البحر، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره
وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك،
فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل، وأصيب أبرهة في
جسده، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملة أنملة حتى قدموا به صنعا
وهو مثل فرح الطير فمات هناك.

وقد كان لحادثة الفيل أثر كبير جدا على قريش ومكانتها بين قبائل العرب، فلما رد الله الحبشة عن مكة وأصابهم ما أصابهم من النقمة عظمت العرب قريشا وقالوا: أهل الله، قاتل الله عنهم فكفاهم مؤنة عدوهم.

كما أن هذا الحدث رفع من مكانة عبد المطلب ورفع ذكره وعظم شأنه بين العرب جميعا. فقد تصرف بذكاء وحسن تدبير وجنب قومه من أخطارِ جسام³⁷

ونقرأ كلام رب العالمين في قرآنه:

”ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول“³⁸

17. هدم الكعبة وبنائها القريش:

³⁷37- الشيخ صفى الرحمن المباركفوري، تاريخ مكة المكرمة، ص: 32-35
³⁸38- سورة الفيل، آية: 1-5

يُروي أن امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت من مجمرتها شرارة فأحترقت كسوتها فتوهنت الجدران من كل جانب ثم جاء بعد ذلك سيل عظيم فتصدعت، وقد قام نفر بسرقة كنز الكعبة الذي كان في بئر في جوفها، فتشاور زعماء قريش فأجمعوا لهدمها كاملاً ثم يرفعها وتسقيفها، وكان البحر قد رمى بسفينته إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، ثم إن الناس هابوا هدمها. فقال لهم الوليد بن المغيرة: يا قوم أستم تريدون إصلاح بيت الله بعد هدمها؟ قالوا: بلى فقال: فإن الله لا يهلك عمل المصلحين. ولكن لا تدخلوا في عمارة بيت ربكم إلا من طيب أموالكم. ففعلوا وبدأ الوليد بن المغيرة بالهدم فلما لم يصبه شيء هدم الناس معه.

فلما رأوا قلة مالهم لبنائها فأجمعوا أن يقصروا عن قواعد البيت وتركوا بقية في الحجر عليه جدار مدار يطوف الناس من وراءه، وبنوا في داخل الكعبة أساساً يبنون عليه من طرف الحجر، وتركوا وراء هذا الحائط ما مقداره ستة أذرع وشبر فتعاونوا ببنائها وشارك معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل الحجارة على رقبتة وهو يومئذ غلام.

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاخصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تحاوزوا وتخالفوا، وأعدوا للقتال، فمكثت قريش على ذلك أربع ليالٍ أو خمسا، ثم اجتمعوا في المسجد. وتشاوروا وتناصفوا، فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان عامئذ أسن قريش كلها. قال: يا معشر قريش: اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا. فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال: هلمّ إلي ثوبا، فأتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده. ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده، ثم بنى عليه.³⁹

³⁹ - سيرة ابن هشام، ج: 1، ص: 233، 234

وكانت قريش تعظم بيت الله ببالغ اجلاله ومهابته وإكرامه وكما كانت تكرم وتقدر حجاجه وزواره كأنهم جيران الله، وأهل بيته خصهم الله إياهم. "فكان أهل كل بيت من بيوت قريش يساهم ولو بالشيء اليسير من الطعام أو غيره رغبة في ذلك، فيقبل منهم لما يرجى لهم من المنفعة والفضل. فجرى هذا الأمر وتلك الطريقة في الجاهلية وهي الرفادة حتى جاء الإسلام. وما زال هذا الأمر قائما سنة وهو الطعام الذي يصنعه السلطان بمكة ومُنَى للناس حتى ينتهي وقت الحج ولا يزال هذا الأمر قائما إلى يومنا هذا يقوم به المطوفون والأغنياء من أهل مكة إكراما منهم لضيوف الرحمن وحجاج بيته وزواره.⁴⁰"

⁴⁰40- يوسف عبد الكريم عسائي، مكة المكرمة عبر التاريخ، ص: 80

الفصل الرابع

من عصر محمد صلى الله عليه وسلم إلى

نهاية القرن الأفاضل

1. الكعبة قبيل الإسلام:

ضعفت الوثنية العربية قبيل ظهور الإسلام عندما تقارن بالنسبة إلى قوتها السالفة بأسباب فوائد مادية وكانت موسم الحج موسم التجارة أيضا. فتصبح مكة مركزا تجاريا عظيما. فأصبحت طبعية الوثنية بالنسبة لهم مسألة اقتصادية مادية.

قد يذكر المؤرخ الهندي 'خودابخش' في كتابه الذي نقله إلى العربية الدكتور حسين مؤنس بعنوان 'الحضارة الإسلامية' عن ضعف الوثنية في أواخر عصر الجاهلية فقال: "كان العرب يقدسون آلهتهم، فيحجون إلى أماكنها المقدسة ويقدمون الأضحيات في معابدها، ويخضبون بدماء هذه الأضحيات الهياكل المصنوعة من الأحجار أو الخشب، ويستجيرون بكهنتها في وقت الشدة ويسألونها عما يخبته المستقبل. ولكن كان هذا كل تظاهرا وتصنعا، فلم يكن هناك شعور بإيمان حقيقي، ولكن كان العربي يبدي غضبه، لأقل شيء على الآلهة، ويخاطبهم وكأنهم يعرف حقيقتهم فيسخر منهم. (الحضارة الإسلامية، ص: 117).

توضح هذه السطور- أن العرب ما قبل الإسلام كانوا في حالة قلق

ديني قبل ظهور الإسلام فقد كانوا غير راضين عن نظامهم الديني وعاجزين عن الوصول إلى الحق ومع اختلافهم الدينية عن عبادة الأصنام ورغم بعضهم يعمهون في طغيانهم ويتداومون على عبادة الأصنام والأوثان، ولكن بعضهم سخطوا على الوثنية وأملوا في دين أسمى من أديان وطنهم، كما روى ابن هشام⁴¹ في سيرته، وابن قتيبة⁴² في المعارف وغيرهم.⁴³

2. الموحدون من القریش وغيره:

نستطيع أن نقرأ في المصادر القديمة عن أبي أنس قيس بن صرماح: وقد نادى بنبذ الأوثان. كما نقرأ أيضاً عن الوليد بن المغيرة. وعثمان بن مدهون الذين نهيا عن شرب الخمر زمن الجاهلية. قد استعرض المسعودي في كتاب 'بروج الذهب' عن أديان العرب في العصر الجاهلي فقال: "كانت العرب في جاهليتها فرقا: منهم الموحد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور. موقفا بأن الله يثيب المطيع ويعاقب العاصي؛ وقد تقدم ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من كتبنا عن دعا إلى الله عز وجل ونبه أقوامه على آياته في الفترة كقس بن ساعدة الأيادي، ورئاب الشنى، وبُحير الراهب، وكان من عبد القيس.... وكان من العرب من أقر بالخالق، وأثبت حدوث العالم وأقر بالبعث والإعادة وأنكر الرسل، وعلق على عبادة الأصنام. ومنهم من أقر بالخلق، وكذب بالرسل والبعث، وما إلى قول أهل الدهر....، ومنهم

⁴¹ ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج: 1، ص: 37

⁴² ابن قتيبة، المعارف، ص: 27-29

⁴³ الدكتور حسين مؤنس، الكعبة المشرفة والعدوان عليها

من مال إلى اليهودية والنصرانية ومنهم المار على عنجھية الراكب لهجمته.
وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون أنها بنات الله فكانوا
يعبدونها لتشفع لهم إلى الله... الخ⁴⁴

أفرد ابن قتيبة فصلاً في كتابه 'المعارف' جعل عنوانه 'قصة من كان
على دين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم' فذكر فيه عدة أسماء
كزيد بن عمرو بن نفيل، وأمّية بن أبي الصلت، وأسعد أبو كرب الحميري،
وقس بن ساعدة الإيادي، وأبو قيس صرمة بن أبي أنس، وخالد بن سنان بن
غيث وغيرهم، أولئك أناس في بلاد العرب قبيل بعثة النبي صلى الله عليه
وسلم كانوا ساخطين على الديانة القائمة بينهم ويلتمسون الهداية من نور
إلهي.⁴⁵

3. الكعبة مركز الدعوة الحنيفية:

قبيل ظهور الإسلام ظهرت حركة إصلاحية تهدف إلى العودة إلى دين
إبراهيم الحنيف وتخليص الكعبة من الأوثان وإصلاح أحوال العرب، وكان
كعب بن لؤي بن غالب أحد أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم من
الحنفاء. فكان يجمع قريشاً ويطلب منهم التفكير في خلق السماوات والأرض
واختلاف الليل والنهار، ويذكرهم بالموت والجزاء ويبشرهم بظهور نبي وهو
من احتفظ بدين إبراهيم من الجاهليين، فلم يشركوا بربهم أحداً. ولم يعتنق
اليهودية أو النصرانية وكما نبذوا الوثنية.

⁴⁴ المسعودي، مروج الذهب، ج: 3، ص: 217
⁴⁵ جوزيف هل (المؤرخ الألماني)، الحضارة العربية، ص: 19، ويتلف نيلسن، تاريخ العربي القديم.

ولم ينتظم الحنفاء في طائفة ولم يرتبطوا برباط واحد ولم يشتركو في عباداة واحدة معينة ولكنهم حنفاء على ملة إبراهيم إن كانوا قليلون، نظروا الحياة أكثر- سموا- ولكن- لم يكن- لهم- قوة- مادية- وسلطنة- سياسية- وما استطاعوا أن يصارعوا على الوثنية والخرافات والعادات القديمة والطقوس الدينية والشعائر المقدسة التي كانت قد تشابكت مع حياة العرب، كافح الحنفاء من أجل القضاء على الوثنية ورتائل الجاهلية ولكن جهودهم لم تنجح في التخلص من الماضي، وكان محمد صلى الله عليه وسلم قبل ظهور الإسلام من الحنفاء حتى إذا بلغ الأربعين من عمره نزل عليه الوحي وأصبح رسول الله. وكان في غار حراء يعبد الله وحده متحنفا متحنثا. والشعراء المفكرون منهم صورها في شعرهم.

هذه الحركات الإصلاحية الحنفية والتفكير الإلهي دار حول الكعبة أول بيت وضع للناس لعبادة رب العالمين، فقد أثرت قلوب من وفقهم هذا البيت الحرام بتمسك دين الحنيفة السمحة من صلب نور إبراهيم عليه السلام والمناسك التي سنها إبراهيم عليه السلام.

4. الرسول والكعبة:

قد بنت القريش الكعبة المشرفة حينما كان الرسول في الخامسة والثلاثين من عمره، فاشترك في بنائها معهم من قبل في نقل الأحجار، وكانوا يعرفونه 'بالأمين' لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والأدناس فحكموه فيما تنازعوا في وضع حجر الأسود بموضعه وناقذوا إلى

قضائه باتفاقهم إياه فهكذا نجح محمد صلى الله عليه وسلم في حسم الخلاف والنزاع وجنب القرشيين القتال. فقال قائل من القرش: "واعجبا لقوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا إلى أصغرهم سنا وأقلهم مالا، فجعلوه عليهم رئيسا وحاكما. أمل واللاتي والعزى ليفوقنهم سبقاء وليقسمن بينهم حظوظا وجدودا، وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونباً عظيم.⁴⁶

لما استمع هذه الكلمات عم الرسول صلى الله عليه وسلم أبوطالب فأنشد مفاخرا به فقال:

إن لنا أوله وآخره في الحكم العدل الذي لا تُنكر
وقد جهدنا جهدا ليغمز وقد عهدنا أوله وآخره
فإن يكن حقا ففينا أكثره

وأعدت قریش الصور والأصنام كما كانت على جدران الكعبة وجوفها. فقال المسعودي: "كان في حيطانها صور كثيرة بأنواع من الأصباغ عجيبة. منها صورة إبراهيم الخليل في يده الأزام، ويقابلها صورة إسماعيل ابنه على فرس يجيز الناس مفيضا، والفاروق قائم على وفد الناس يقسم فيهم، وبعد هذه الصور صور كثيرة من أولادهم إلى قصي بن كلاب وغيرهم في نحو من ستين صورة. مع كل واحد من تلك الصور إله: وصاحبها كيفية عبادته وما اشتهر من فعله"⁴⁷

⁴⁶ - المسعودي، مروج الذهب، ج: 2، ص: 279
⁴⁷ - المسعودي، مروج الذهب، ج: 2، ص: 278

اختلف في سن محمد صلى الله عليه وسلم حين بناء الكعبة وحين حكمه بين قريش في أمر حجر الأسود فقبله كان ابن 25 (خمسة وعشرين)، وقال ابن اسحاق كان ابن 35، وسواء أصحت الأولى أم الأخرى من هاتين الروايتين. فإن إسراع قريش إلى الرضا بحكمه أول ما دخل من باب الصفا، وتصرفه هو في أخذ الحجر ووضع على الثوب وأخذه من الثوب لوضعه مكانه من جدار الكعبة، يدل على ما كان له من مكانة سامية في نفوس أهل مكة، ومن تقديرهم لما عرف عنه من سمو النفس ونزاهة القصد.⁴⁸

وثبت في كتب التاريخ والسير والحديث أن الكعبة المشرفة كانت بعد سيول مكة عاتية عارمة وبيت الله ملطم هذه السيول. فاجتمع رأي قريش على هدمها وبنائها وقرروا على ذلك وجددوها وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم في البناء وشارك فيه ووضع الحجر في مكانه وعلم بما ترك من الكعبة لم تشمله مساحة ما بنى منه. فقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها "يا عائشة لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فادخلت فيه ما أخرج منه"⁴⁹

فما تزال الكعبة على بناء قريش حتى الآن وجاء عهد الخلفاء الراشدين فلم يتم إكمال النقص من الكعبة إكتفاءً بسلامة البناء القائم بسبب أنهم لم يصلوا إليهم قول عائشة ولو وصل إليهم لأهتموا بذلك النقص فبقيت الكعبة على حالها لم تتغير مساحتها إلا فترة قليلة من 65 هجري إلى 74

⁴⁸ - محمد هيكل، حياة محمد، ص: 124

⁴⁹ - مسند أحمد، 6/179

هـ. في ولاية عهد عبد الله بن الزبير إذ بناها كما رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في إكمال نقصانه حتى كملت لها مساحتها كما بناها إبراهيم عليه السلام فلما قتل ابن الزبير سنة 73 هـ وصار الحكم لعبد الملك بن مروان أزالها بأمره وردّها كما كانت على بناء تريش في جاهليتها.

لما أراد الخليفة هارون الرشيد (وقيل: أبوه - أوجده) أن يعيد إلى الكعبة ما نقص من مساحتها فناشده الإمام مالك أن يترك ذلك لئلا تكون الكعبة ملعبة للملوك فتركها فالكعبة ناقصة عن مساحتها الحقيقية وإكمال النقص من أمنية محمد صلى الله عليه وسلم باق حتى الآن.

5. مساحة الكعبة زائدة وناقصة:

مساحة الكعبة قد حدد من وحي من الله معروفة بالتواتر من عهد إبراهيم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم وانتقلت إلينا نحن أبناء هذا الزمان معرفة هذه المساحة بالتواتر من رسول الله الذي حددها لأمته تحديدا دقيقا، وإن مساحة البيت شرقا وغربا وشمالا وجنوبا أمر توقيفي لا مجال للرأي ما دام النص موجودا في هذه المساحة هي التي يطاف بها. فإذا لم يكن الطواف بمحيط البيت كله فإن الطواف غير صحيح وغير مجزئ.

ولما بنت القرية الكعبة ولم تستوعب مساحتها الكاملة لقصور في نفقات البناء وتركت مساحة تقدير بحوالي سبعة أذرع وضعت عليها علامة تدل على أن هذه المساحة من البيت حتى يكون الطواف شاملا هذه

المساحة والبناء القائم.

والتاريخ يقول إن البيت لم يبق على بناء إبراهيم عليه السلام فقد جدد من جأول بعده، جدد العمالقة ثم جدد جرهم ثم جدد قصي بن كلاب ثم جدد قريش - ومحمد صلى الله عليه وسلم ابن خمس وعشرين سنة - وبناء هؤلاء وغيرهم ممن لم يذكرهم التاريخ كان يشغل كل مساحة البيت. وإن قصي بن كلاب بناه بناء حسنام بين مثله أحد ممن بناها قبله. وكان بناء الكعبة بعد إبراهيم عليه السلام إلى قصي على قواعد إبراهيم عليه السلام.⁵⁰

وفي سنة 1039 هجري تهدمت الكعبة من جراء سيل جارفة وذلك في عهد السلطان مراد الثاني العثماني (1018-1049 هـ) فأمر ببنائها الذي انتهى سنة 1040. وكان بناء الكعبة من قبل السلطان مراد علي بمساحة قريش لأن أحدا لم ينبهه إلى ما كان يرغب فيه النبي صلى الله عليه وسلم. وفي سنة 1377 هـ في العهد السعودي الحاضر رمت الكعبة واستبدل سقفاها القديم المتصدع بسقف جديد.

6. جاء الحق وزهق الباطل

لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة يوم الفتح خرج على ناقته حتى أتى البيت. فطاف سبعا على راحته يستلم الحجر، كلما مر عليه بمجن في يده. وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما مثبتة

⁵⁰ - الشيخ زبير بن بكار، كتاب النسب، ص: 173

بالرصاص- فجعل يطعنهما ويقول: " جاء الحق وزهق الباطل- إن الباطل كان زهوقاً"⁵¹ والأصنام تتساقط على وجهها.

وفي حديث جابر رضي الله عنه دخلنا مع رسول الله مكة وكان في البيت- أو حول البيت- ثلاثمائة وستون صنمًا تعبد من دون الله فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكبت كلها لوجهها. ثم قال: جاء الحق.... وفي البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " لما قدم أبي أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت فأخرجوا إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قاتلهم الله أملوا الله لقد علموا أنهم لم يستقسموا قط. فدخل البيت فكبر في نواحيه ولم يصل فيه.⁵² والصحيح أنه صلى فيه كما جاء في حديث ابن عمر⁵³

بعد صلاته دار حول البيت وكبر في نواحيه ووجد الله وفتح الباب، وقريش قد ملأت المسجد صفوفًا ينتظرون ماذا يصنع؟ فأخذ بعضادتي الباب وهم تحته فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو مال أو دم يدعي به فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد: السوط والعصل ففيه دية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس

⁵¹الإسراء، آية: 81

⁵²البخاري، رقم: 1601

⁵³البخاري، رقم: 1599

من آدم وآدم من تراب ثم تلا قوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم. إن الله عليم خبير".⁵⁴ ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا خيراً. أخ كريم وابن أخ كريم قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم" اذهبوا فأنتم الطلقاء. ثم رد رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة وكان قد أمره بإحضاره.⁵⁵

⁵⁴54- صورة الحجرات: 13
⁵⁵55- الشيخ المباركفوري، تاريخ مكة المكرمة، ص: 73-75

7. شعائر الله حول الكعبة:

- 1- **مقام إبراهيم:** هو الحجر الذي وقف عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة، ولما كان هذا الأمر من أحب الأعمال إلى الله جعل أثر قدميه عليه ذكرى للمؤمنين ومن شعائر الله من ذريته وعبرة لهم ولغيرهم امتثالاً بقوله تعالى: "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى"⁵⁶ وكان المقام من عهد إبراهيم لثق البيت إلى أن أخره عمر رضي الله عنه إلى المكان الذي هو فيه الآن. "إن المقام كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي زمن أبي بكر ملتصقاً بالبيت ثم أخره عمر، ولم تنكر الصحابة فعل عمر ولا من جاء بعدهم فصار إجماعاً"⁵⁷ "وكان عمر رأى أن إبقائه يلزم منه التضيق على الطائفين أو على المصلين فوضعه في مكان يرتفع به الحرج. وتهيأ له ذلك لأنه الذي كان أشار باتخاذ مصلى"⁵⁸.

⁵⁶ البقرة، آية: 125

⁵⁷ عبد الرزاق والبيهقي، المصنف

⁵⁸ فتح الباري في شرح الحديث، رقم: 4483

2- **حجر إسماعيل:** هو المكان الذي أسكن فيه إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر وابنه اسماعيل عند ما قدم بهما إلى مكة، وأمر هاجر أن تتخذ فيه عريشا. إن الحجر من البيت، وقد أدخلت قريش جزءا من الكعبة في الحجر لقصر النفقة التي أعدوها لعمارتها. وذكر في بعض الروايات الضعيفة والمنكرة: إلى أن اسماعيل وأمه هاجر قد دفنا في الحجر، هذه لا يصح منها شيء، والله أعلم.

يقال هذا الموضع بالميزاب أيضا. وفي كثير من حديث "أن من دخل الحجر كأنما دخل البيت"، برواية عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: ألا أدخل البيت؟ قال: أدخلني الحجر فإنه من البيت.⁵⁹ يفضل الصلاة في الحجر.

3- **حجر الأسود:** يدل كثير من الأحاديث الصحيحة والواردة عن الحجر الأسود وفضيلته والحض على استلامه وتقبيله في الطواف ويكفيه فضلا أن مسته يد النبي صلى الله عليه وسلم وقبله فمه الشريف. ففي الصحيحين: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الحجر الأسود وقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتُك.⁶⁰

⁵⁹ رواه النسائي، حديث رقم: 2914
⁶⁰ صحيح البخاري: 1597، مسلم: 1270

وقد يقال: أن الحجر الأسود نزل من الجنة.⁶¹ وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما. ولولا أن الله طمس نورهما لأضأتا ما بين المشرق والمغرب."⁶²

وبنى إبراهيم عليه السلام الكعبة وبقي حجر، فذهب الغلام يبغي شيئاً فقال إبراهيم: ابغني حجراً كما أمرت. فانطلق الغلام يلتمس له حجراً، فأثاه به فوجده قد ركب الحجر الأسود في مكانه فقال: يا أبا: من أتاك بهذا الحجر؟ فقال: أتاني به من لم يتكل على بنائك، جاء به جبريل من السماء.⁶³

⁶¹61- الترمذي: 877

⁶²62- تفسير ابن كثير: 1/258، تفسير الطبري: 143

⁶³63- تفسير ابن كثير: 1/258، تفسير الطبري: 143

بئر زمزم وماؤه: قصة حفرها وتدفعها خيرا وبركة للناس- معروفة مشهورة. كما ورد بها أحاديث صحيحة.⁶⁴ لما جاء إبراهيم وزوجته هاجر وإسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند شجرة كبيرة فوق زمزم، وليس بمكة زرع لأحد وليس بها ماء ثم اندثر الله ماء زمزم لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيننا معينا. فشربت وأرضعت ولدها ثم تناولت الأيام. فلم يبق لزمزم أثر يعرف بأن جرهم الذين دفنوها حينما تركوا مكة وذهبوا عنها حتى أتى عبد المطلب كما رأى في منامه موضعه فحفرها فانفجر زمزم وأسمائها كثيرة منها 'الشباعة'؛ برة؛ طيبة؛ بشرى؛ عونه؛ صافية؛ شراب الأبرار؛ ومصنونة وغيرها.

جاء كثير من الأحاديث والآثار التي تؤكد أفضليتها ومما يؤكد هذا أن جبريل عندما شق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل قلبه بماء زمزم: وقال صلى الله عليه وسلم: "خير ما على وجه الأرض ماء زمزم، وفيه طعام من الطعم وشفاء من السقم"⁶⁵

ماؤها يتبرأ من النفاق بقول النبي صلى الله عليه وسلم: آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتزلعون من ماء زمزم.⁶⁶ إن النبي صلى الله عليه وسلم رمل ثلاثة أطواف من الحجر إلى الحجر وصلّى ركعتين ثم عاد إلى الحجر ثم ذهب إلى زمزم فشرب منها وصب على رأسه،⁶⁷

⁶⁴ فتح الباري لشرح البخاري، حديث رقم: 3364

⁶⁵ الطبراني في الكبير، ج/ر: 11167

⁶⁶ -الدارقطني: ج/ر: 2/288، والبيهقي: 5/147

⁶⁷ -أحمد، 3/394

فيها شفاء بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ماء زمزم لما شرب به"⁶⁸
وهي طعام بقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي ذر رضي الله
عنه قال: "إنها مباركة إنها طعام طعم"⁶⁹

قد توفرت القصص والشهادات عن شفاء مرضى بماء زمزم من أمراض
يئس من علاجها الأطباء وقد أودعها الله فيها من أسرار ومن أعجب
العجاب بأن ماء زمزم لا يجف أبداً رغم أنها في وسط الصحراء ملين
الجبال الجافة المجاورة وأن سيلانها تسقى ملايين للناس ليلاً ونهاراً
في كل يوم، ولله الحمد.

5- الملتزم: والملتزم يقع بين ركن الحجر الأسود وباب الكعبة، ومن دعا
الله تعالى في الملتزم أجاب الله دعاءه، يقول عبد الله بن عباس: لا
يلزم ما بينهما أحد يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه"⁷⁰ أن النبي صلى الله
عليه وسلم فعله في يوم الفتح. ويستحب أن يقف الملتزم بعد طواف
الوداع ويدعو الله تعالى.⁷¹ وكانت الصحابة يلتزمون ويدعون الله
تعالى عنده ويستعيذون بين الباب والركن.
هذه كلها شعائر الله عند البيت الحرام ومن يعظم شعائر الله فإنها من
تقوى القلوب.

⁶⁸ ابن ماجه: 3062
⁶⁹ صحيح مسلم: 2473
⁷⁰ البيهقي في الكبرى: 5/164
⁷¹ الفاكهي في أخبار مكة، ص: 233

8. الدعوة إلى الله حول الكعبة:

ظل الرسول ثلاث سنوات يدعو الناس إلى الإسلام سرا. وكان يصلى هو والمسلمون معه خفية في شعاب مكة إلى أن أمره الله بإظهار دينه، وجهر الرسول دعوته إلى وحدانية الله ونبذ الوثنية. فسار إلى جبل الصفا بظاهر مكة ونادى كل بطن من بطون قريش حتى إذا اجتمعوا إليه فقال لهم: إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله. فقال له عمه أبو لهب: تبالك. ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله سورة اللهب. بدأت عداوة القريش بعد ذلك واضحة. فخافوا تحطيم دين العرب الموروث وضياع ما كان يتمتع به سدنة الكعبة المقدسة من ثروة ونفوذ وسقوط قيمة أصنامها ضياع قدسيتها.

لكن الإسلام يقوم بالمساواة بين الجميع ويحرم الموبقات ورذائل الجاهلية ربما يكون هذه أحب الأشياء إلى زعماء قريش.

اشتد عذاب القريش للمسلمين فسمح الرسول لهم بالهجرة إلى الحبشة واستمر الرسول يدعو الناس إلى الإسلام حتى إذا أسلم حمزة بن عبد المطلب. فكف القرشيون عن المسلمين بعض أذاهم حتى أسلم عمر بن الخطاب. دخل الإسلام في دور جديد. فكان المسلمون قبل إسلامه لا يستطيعون الصلاة عند الكعبة. فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلى معه المسلمون وجهر المسلمون بتلاوة القرآن فاعتنق كثير من الناس الإسلام إقتداءً بحمزة وعمر فرأى القرشيون أن يتخذوا أمرا حامسا

فاتفقوا على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب، وعاهدوا أنفسهم على ألا يتعاملوا معهم في بيع وشراء وزواج ولا يجالسوهم ولا يكلموهم حتى عزموا لقتل محمد صلى الله عليه وسلم وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة.⁷²

ظل بنو هاشم وبنو عبد المطلب مهجورين في شعب أبي طالب ثلاث سنين. فانقطع جميع العلاقات الإنسانية بينهم وبين قريش، ولكن بعض القرشيين رثوا لحال إخوانهم في عروبة بني هاشم وبني عبد المطلب. فانقضت وانتشقت هذه الصحيفة الظالمة⁷³ فعاد المسلمون إلى الصلاة عند الكعبة.

عاد الرسول دعوته كما كان. فنشر الإسلام بين أهل مكة في موسم الحج فالتقى القبائل من واحد إلى آخر. فرأت القبائل في الإسلام كل الخير وتخلصهم من الوثنية وذنابل الجاهلية، وبعد فترة وجيزة، أسرى الرسول من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث عرج به إلى السماوات السبع. وفي تلك الليلة فرض الله على المسلمين الصلوات الخمس.⁷⁴

9. وداع الرسول من الكعبة مؤقته:

هاجر الرسول والمسلمون إلى يثرب. كان الرسول حزيناً ليفارق الأرض المقدسة ومن الكعبة المعظمة وهي أحب إليه في أرض الله، وعندما

⁷² ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج: 1، ص: 194

⁷³ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج: 1، ص: 194

⁷⁴ ابن هشام، ج: 2، ص: 5-10

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله. ولولا أني أخرجت منك لما خرجت"⁷⁵ وقد ذرفت عيناه. ولما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه خرج منهم هاربا بصحبة صديقه أبي بكر الصديق. فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ثم وصل في المدينة المنورة، واستمر الصراع بين المسلمين والقريش. وقعت حروب متصلة مثل غزوة بدر وأحد والخندق وغيرها.

وفي السنة السادسة الهجرية رأى الرسول أن يدخل مكة معتمرا لا غازيا ليعلم للعرب أن دينه يحترم الكعبة كما يحترمونها. فخرج الرسول لأداء العمرة مع أصحابه ليس معهم سلاح إلا السيوف في أغمادها، وكان معهم هدي كثير يسوقونه إلى فقراء مكة. ولكن القريش أصابتهم الذعر فأجمعت وحلفائها على صده عن المسجد الحرام. فقال الرسول: ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب؟ فأخيرا صالح رسول الله معهم في الحديبية بشروط وعهود بصيرة. فكسب الرسول كسبا سياسيا عظيما. فمكنته المواقعة مما أراد من النفع وفتحت أبواب الدعوة من كل حدب واعترفت بحق المسلمين في القدوم إلى الكعبة وأداء العمرة ثم حمل بعض رجالاتها مثل عمرو بن العاص وخالد بن الوليد على الهجرة إلى المدينة واعتناق الإسلام. فاعترفت قريش بقوة الجماعة الإسلامية وإيذانا بنهاية العهد الوثنية، وتحرير الكعبة من أوثانها

⁷⁵ أخرجه أحمد: 4/305، والدارمي: 2513، والترمذي: 3925، وابن ماجه: 3108

فوقعت ملوقع. ودخل رسول الله إلى مكة المكرمة دخول الفاتح، وحطم
أصنام الكعبة، واسترد الكعبة إلى أصلها الأصيل. وأدى 'عمرة القضاء' وقضى
فيها ثلاثة أيام عند الكعبة. (وعندما أصبح الرسول قريبا من مكة ترك
الأسلحة كلها ثم قال: لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح ولكن نكون قريبا منه
فإذا رأينا الغدر كان السلاح قريبا منا). ثم زاروا فيها أهلهم وأصدقاءهم
واطمانوا على مصالحتهم.

10. الكعبة بعد فتح مكة:

انتشر الإسلام في معظم أرجاء الجزيرة العربية، فقد تذكر محمد صلى
الله عليه وسلم عن وطنه الأصلي وأسرته وأقاربه والسنوات السعيدة التي
قضيتها في أطهر بقاع الأرض. والكعبة وجوارها ما يزال تحت سيطرة
الوثنيين. فعزم على أن يخلص بيت الله الحرام من أيادي المشركين.
فجالت خواتم كثيرة في نفسه الطاهرة فانتظر الرسول الفرص فلم ينقض
القرشيون عهد الحديبية حان وقتها فاستعد المسلمون للقتال ورهبت
القرشيون قوة المسلمين فرغبوا عن الحروب. فأرسلت قريش أبا سفيان
إلى المدينة سفيرا. وكانت وظيفته صعبة. فالتمس وساطة أبي بكر ثم علي
بن أبي طالب وابنته أم حبيبة. ولكن عاد إلى مكة خاسرا خائبا. فاستقبله
القرشيون بالسخرية والإستهزاء.

أعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حملة عسكرية لفتح مكة،
فخرج على رأس عشرة آلاف مسلم هادئا سرا، خلال الرحلة قدم عم النبي

صلى الله عليه وسلم عباس بن عبد المطلب وأسرته وأعلن الإسلام وقابله الرسول. فأرسل العباس أسرته إلى المدينة وصحب هو الجيش الإسلامي ووصل الجيش عند خيم الظلام واعتنق أبو سفيان الإسلام. فأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن" وقال الرسول للعباس: "احبس أبي سفيان بمضيق الوادي حتى يرى جنود الله تمر" فشهد كتائب المسلمين وأسلحتهم المختلفة فأعجبه عددها ونظامها وحماسة جندها.

ثم مر الرسول في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار. فقال أبو سفيان: سبحان الله "يا عباس من هؤلاء؟ فقال العباس: هذا رسول الله في الأنصار قال: "ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً" فقال العباس: "يا أبا سفيان إنها النبوة." ثم نصحه العباس قائلاً: "النجاة إلى قومك."⁷⁶

فأسرع أبو سفيان إلى مكة فأخبر أهلها بما شاهد من قوة الرسول والمسلمين وما عرضه الرسول عليهم من أمان، فباتوا ينتظرون قدوم محمد صلى الله عليه وسلم وجند الله لا قبل لهم اليوم، فتقدم الرسول صلى الله عليه وسلم أبواب مكة عند شروق الشمس متواضعا خائفا ربه في ملابس الإحرام ويرتل لسانه بكلام رب العزة: "إننا فتحنا لك فتحاً مبيناً. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك..." الخ⁷⁷

⁷⁶76- د/ حسين مؤنس، الكعبة المشرفة والعدوان عليها، ص: 101
⁷⁷77- سورة الفتح: 1-3

11. الرسول صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة:

اتجه الرسول نحو الكعبة وطاف سبعة أشواط. فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب إلى عثمان بن طلحة لاستلام مفتاح الكعبة. فأتى به ففتح الكعبة ودخل فيها وصلى فيها ثم تفرغ الرسول لتطهير الكعبة مما حولها من الأوثان. فقام المسلمون بتحطيمها جميعا حتى تمثال إبراهيم وإسماعيل وهبل وغيرها ولوحات تصور الملائكة على صور نساء جميلات فحطم الرسول هذه اللوحات، وصورة لحمامة منحوتة على الخشب، وحطم صحابة الرسول يأتي التماثيل والأصنام.

واتجه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر زمزم فقدم له العباس شربة ماء من البئر فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فولى الرسول عمه أبا العباس منصب السقاية. فلما حضر وقت الظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن رباحة بأن يؤذن للصلاة من فوق الكعبة، واتجه الرسول بصلاته إلى الكعبة قبله جميع المسلمين في كل مكان وزمان، ثم تحدث الرسول إلى أهل مكة وشرح لهم تعاليم العقيدة الإسلامية. فقدم إليه أهل مكة رجالا ونساء وأعلنوا اعتناقهم الإسلام، وكان الرسول رحيمًا عطوفًا، فدلّت تصرفات الرسول في مكة يوم الفتح على أنه نبي مرسل متبع وفيه أسوة حسنة، ثم أرسل بعض القواد المسلمين لتطهير مكة جميعا من الأصنام والأوثان. ففضوا نحبهم على الوثنية بين القبائل المختلفة في المدن والقرى أفواجا ثم عاد الرسول والصحابة إلى المدينة.

12. أبوبكرو المسلمون إلى الكعبة:

لما اقترب موعد الحج ولم يستطع الرسول أن يخرج بالمسلمين إلى الحج بأنه مشغول بإقبال الوفود الذين تقدموا إلى المدينة بإعلانهم للإسلام. فبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة وأمر أبا بكر ليخرج في الناس حاجا. وكان المشركون لا يزالون يحجون إلى بيت الله الحرام مع وثينيتهم. فلا بد أن تتخلص الكعبة من قدمهم. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ليبلغهم حكم الله كما نزل بها الوحي في سورة التوبة: فأسرع علي رضي الله عنه إلى مكة قبل الوقوف على عرفة فأعلن قول الله تعالى: "براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتهم... إلى... إن الله يحب المتقين."⁷⁸

وقال: "أيها الناس إنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته وأجل على الناس أربعة أشهر بعد ذلك ليرجع كل قوم إلى بلادهم ومن يومئذ لم يحج مشرك ولم يطف بالكعبة عريان."⁷⁹

13. حجة الوداع:

أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبته في الحج فأسرع المسلمون من جميع أرجاء بلاد العرب ليلبون نداء الرسول. فامتألت طرقات المدينة بالقبائل العربية والوديان المجاورة بخيامهم وخرج الرسول صلى

⁷⁸ سورة التوبة: 1-6
⁷⁹ تاريخ ابن هشام، ج: 2، ص: 214

الله عليه وسلم مع آلاف من المسلمين مع عددٍ كبيرٍ من الإبل ليذبحوها عند الكعبة، والرسول صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالدعاء والشكر لله حتى وصلوا في ذي الحليفة وأحرم الرسول والمسلمون. وفي الصباح من اليوم التالي بعد أداء صلاة الفجر ركب على ناقته 'القواء' حتى وصل إلى وادي بيضة توجه الرسول إلى ربه ونادى مليبا والمسلمون وراءه: "لبيك اللهم لبيك... الخ" ولما بلغوا في 'سرف' - هي محلة ما بين المدينة ومكة - قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "من لم يكن منكم معه هدي فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل، ومن كان معه هدي فلا." ومضى الحجاج في طريقهم يتردد تلبيتهم ونداؤهم وصلواتهم حتى يجلجل الجبال والوديان بذكر الرحمن ودعائهم إليه، "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يفقهون."

أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن تكون مناسك الحج مثلا يحتذيه المسلمون أبديا، وقد وصل الحجاج إلى مكة في اليوم الرابع من ذي الحجة. فتقدم الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون إلى الكعبة. فاستلم الرسول الحجر الأسود فقبله. وطاف بالبيت سبعا، وبعد أن صلى عند مقام إبراهيم ثم خرج إلى الصفا ثم سعى بين الصفا والمروة.

في الثامن من ذي الحجة، يوم التروية ذهب محمد صلى الله عليه وسلم إلى منى. فأقام بخيامه فيها صلى فروضه وقضى الليل حتى مطلع الفجر. يوم عرفة، صلى الفجر وركب ناقته وتوجه إلى عرفة فتابعه

المسلمون حتى إذا غربت الشمس اتجه الرسول إلى بطن الوادي من أرض
عرفة، وهناك نادى في الناس: "أيها الناس، اسمعوا قولي، فإنني لا أدري لعلي
لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً".

وأن هذه الحجة حجة الوداع. فقد شعر الرسول بقرب منيته، فرأى أن
يثبت تعاليم الإسلام في عقول وقلوب المسلمين ولقنهم قواعد السلوك
والأخلاق ومعاملة الناس وختم الرسول خطبته بقوله: "أيها الناس، فإنني قد
بلغت وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة
رسوله... اللهم هل بلغت؟ الخ. فأجاب المسلمون- "اللهم نعم" فقال
الرسول: "اللهم اشهد، حتى انتهى خطبته نزل عن ناقته، وأقام حتى صلى
الظهر والعصر- ثم تلا على المسلمين الآية الكريمة: "اليوم أكملت لكم
دينكم... الخ."⁸⁰ بعد غروب الشمس غادر رسول الله من عرفات وقضى ليلته
في المزدلفة وصلى المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، ثم الفجر في اليوم التالي.
واتجه نحو وادي منى ورمى الجمرات بحصيات سبع، واعتق الرسول ثلاثة
وستين عبداً ونحر بيده ثلاثة وستين بغيراً وأمر علي بن أبي طالب أن
يوزع لحومها وجلودها على فقراء الحجاج، وقام معمر بن عبد بخلق رأس
الرسول، ثم طاف طواف الإفاضة. ثم بات ثلاث ليال في منى ورمى الجمار
في- نهارها- ثم رجع إلى الكعبة وطاف طواف الوداع- ثم بدأ الرسول
والمسلمون رحلتهم إلى المدينة وهكذا انتهت حجته الوداع.

⁸⁰ - سورة المائدة: 3

ولم يمض على فراق النبي لمكة شهران وبضعة أيام حتى وافاهلانيه صلى الله عليه وسلم. وكان لذلك وقع من الأسى العميق والحزن العظيم. إنا لله وإنا إليه راجعون.

14. الكعبة في عهد الخلفاء الراشدين:

إن النبي صلى الله عليه وسلم ولي أمر مكة بعد الفتح عتاب بن أسيد، وهو من أفضل بني أمية وقد ظل في إمارته مدة حياة النبي صلى الله عليه وسلم مثالا للسيرة الحميدة التي أوصاه النبي بها في قوله: "أتدري على من وليتك يا عتاب؟ على جيران بيت الله فاستوص بهم خيرا." ولما ولي الخلافة أبوبكر رضي الله عنه أقر عتابا في إمارته. فظل بها طيلة عهد أبي بكر وأنه توفي في اليوم الذي توفي فيه أبوبكر والكعبة الشريفة ما زالت قائمة بدون أي تغيير.

وتولى أمر مكة والحرم الشريف في أول خلافة عمر بن الخطاب المحرز بن حارثة من بني عبد شمس القرشي، ثم وليها قنفذ بن عمرو بن جدعان، أخيرا الحارث بن عبد المطلب من بني هاشم كلهم في عهد عمر. وكان المسجد الحرام صغيرا ولم يكن عليه جدار. إنما كانت الدور محذقة به. وبين الدور أبواب يدخل الناس بها من كل ناحية فضاقت على الناس المسجد. فاشترى عمر بن الخطاب دورا فهدمها وهدم على قوم أبوا أن يبيعوا ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها بعد ثم أحاط عليه جدارا قصيرا وقال لهم عمر: "إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها ولم

تنزل الكعبة عليكم " كان ذلك سنة سبع عشرة للهجرة عندما اعتمر عمر وأقام بمكة عشرين يوماً.

ثم كثر الناس في زمن عثمان رضي الله عنه. فوسّع المسجد واشترى من قوم. وأبى آخرون أن يبيعوا. فهدم عليهم فصيحو به، فدعاهم فقال: إنما جراكم عليّ حلمي. عنكم فقد فعل بكم عمر. هذا فلم يصب به أحد، فأحتذيت على مثاله فصيحتم بي. ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فتركهم. وقد كانت زيارة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ست وعشرين للهجرة.⁸¹

⁸¹ راجع أخبار مكة للأزرقي وتاريخ الطبري والكامل لابن الأثير

15. توسعتهم في المسجد الحرام

لم يكن حول الكعبة في أول عهدنا جدار يحيط بها، إنما كانت دور السكن، ومحال العمل، محدقة بها من كل جانب، غير أنه كان للبيت من بين الدور أبواب يدخل الناس من جميع نواحيه، فلما كثرت الناس وازداد زوار البيت، ضاق عليهم المسجد، فاشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دوراً من أصحابها فهدمها، وضمها إلى المسجد، وأحاط عمر رضي الله عنه البيت الحرام بجدار قصير، وقال: إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها، ولم تنزل الكعبة عليكم، فلما كانت خلافة عثمان رضي الله عنه، وكثرت الناس أكثر فأكثر في المسجد، ورأى أن المسجد صار ضيقاً عليهم، عمد إلى توسعته مرة ثانية، فاشترى دوراً تحيط بالمسجد ملاصقة له، لكن بعضهم تمنع عن البيع، وصاحوا في وجه عثمان، فما كان منه إلا أن هدم عليهم دورهم قائلًا لهم: إنما جرأكم على حلمي بكم، وجعل للبيت جداراً قصيراً يحيط بالبيت، غير أن هذا الجدار لا سقف له فلما كان عهد عبد الله ابن الزبير زاد في المسجد من جهته الشرقية حتى أشرق على الوادي، مما يلي الصفاء وذهب به عرضاً - إلى الجهة المقابلة - حتى وصل إلى دار الندوة - التي بناها قصي ابن كلاب - فاشترى الدور من الناس وأدخلها في المسجد.

وما زال الخلفاء يعملون جاهدين في توسعة المسجد الحرام، وتزيينه والإهتمام به على المر الزمان، وإلى أيامنا هذا، خدمة لضيوف الرحمن،

وتأميناً لراحتهم، وابتغاء لرضوان الله، وكان ذلك على عدة مراحل.⁸²

16. بناء عبد الله بن زبير الكعبة:

ثم وسع عبد الله بن الزبير رضي الله عنه المسجد من جانبه الشرقي، وهو أعلاه مما يليه من جانبه الشمالي، ومن جانبه اليماني، وكان مما وسع به في الجانب الشرقي نصف دار الأزرقى جد الأزرقى صاحب كتاب 'أخبار مكة'. اشترى ذلك ببضعة عشر ألف دينار.

"لما أبطأ عبد الله بن الزبير عن بيعة يزيد بن معاوية وتخلف وخشي منهم، لحق بمكة ليمنع بالحرم وجمع مواليه وجعل يظهر عيب يزيد ويهاجم بني أمية. فبلغ ذلك يزيد فقرر إرسال جيش إلى عبد الله ليأتوا به مغلولاً. وبينما هو يعد الجيوش، إذ أتى يزيد خبر أهل المدينة وما فعلوا به عامله ومن كان معه بالمدينة من بني أمية وأخرجهم إياهم منها إلا من كان من ولد عثمان بن عفان. فأرسل يزيد جيشاً لقتال أهل المدينة فلما ظفر بهم ودخلها مضى الجيش إلى مكة بقيادة الحصين بن نمير، فقاتل ابن الزبير بها أياماً وجمع أصحابه. فتحصن بهم في المسجد الحرام وحول الكعبة.

ونتيجة لكثرة الخيام حول الكعبة احترقت إحدى الخيام وكان في ذلك اليوم رياح شديدة. والكعبة يومئذ مبنية بناء قريش مدمال من ساج، ومدمال من حجارة من أسفلها إلى أعلاها، وعليها الكسوة. فطارت الرياح بلهب النار فاحترقت كسوة الكعبة واحترق الساج الذي بين البناء. وكان

⁸² يوسف عبد الكريم العسائى/ مكة المكرمة عبر التاريخ ص 194

احتراقها يوم السبت الثالث ليل خلون من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، فضعت جدران الكعبة حتى إنها لتنقض من أعلاها إلى أسفلها، وتقع الحمامة عليها فتتناثر حجارتهل ففزع لذلك أهل مكة وأهل الشام جميعا.

في عام 64 هـ دعا ابن الزبير وجوه الناس وأشرافهم وشاورهم في هدم الكعبة. فأشار عليه الناس غير كثير بهدمها وأبى أكثر الناس هدمها. وكان أشدهم عليه إباء عبد الله بن عباس وقال له: دعها على ما أقرها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنني أخشى أن يأتي من بعدك من يهدمها فلا تزال تهدم وتبني فيتهاون الناس في حرمتها ولكن ارفعها. فقال ابن الزبير: والله ما يرضى أحدكم أن يرفع بيت أبيه وأمه فكيف أرفع بيت الله سبحانه وأنا أنظر إليه ينقص من أعلاه إلى أسفله حتى أن الحمام ليقع عليه فتتناثر حجارته. فأقام ابن الزبير أياما يشاور وينظر. ثم أجمع على هدمها. وكان يحب أن يكون هو الذي يردمها على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على قواعد إسماعيل. ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال لها: ألم تر أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟ فقالت يا رسول الله، ألا ترد على قواعد إبراهيم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا حدثنا قومك بالكفر لفعلت."⁸³

⁸³ - البخاري ومسلم

فقال ابن عمر: ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام
الركنين اللذين يليان الحجر- إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم.⁸⁴
قالت عائشة رضي الله عنها فقلت له: ما شأن بابها مرتفعا؟ قال: فعل ذلك
قوم ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا ما شاءوا⁸⁵ وفي حديث: "لولا أن قومك
حديث عهدهم بكفر- لنقضت الكعبة وجعلت لها بابين: باب يدخل منه
الناس، وباب يخرجون منه" ففعله ابن الزبير،⁸⁶ فقد هدم ابن الزبير الكعبة
وبنى على أساس إبراهيم عليه السلام. وكانت قريش قد قصرت عن ذلك⁸⁷
وأدخل الحجر في البيت وجعل لها بابين شرقيا وغربيا.

فلما فرغ ابن الزبير من بناء الكعبة خلقها من داخلها وخارجها من
أعلاها إلى أسفلها وكساها القباطي، وقال: من كان لي عليه طاعة فليخرج
فليعتمر من التنعيم. فمن قدر أن ينحر بدنة فليفعل، ومن لم يقدر على بدنة
فليذبح شاة. وخرج ماشيا وخرج الناس معه مشاة حتى اعتمروا من التنعيم
شكرا لله تعالى. ولم يُر يوم كان أكثر عتيقا، ولا أكثر بدنة منحورة ولا شاة
مذبوحة ولا صدقة أكثر من ذلك اليوم.

ونحر ابن الزبير مائة بدنة. فلما طاف بالكعبة استلم الأركان الأربعة
جميعا. وقال: إنما كان ترك استلام هذين الركنين- الشامي والغربي. لأن
البيت لم يكن تاما فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير. إذا طاف طائف

⁸⁴ أخرجه البخاري: 1583

⁸⁵ البخاري: 1584، مسلم: 1333

⁸⁶ الأزرقى، أخبار مكة، 219-1/200

⁸⁷ الأزرقى، أخبار مكة، 1/205

استلم الأركان جميعا ويدخل البيت من هذا الباب ويخرج من الباب الغربي، وأبوابه لاصقة بالأرض حتى قتل ابن الزبير.

17. الحجاج هدم الكعبة:

فدخل الحجاج مكة، وكتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بما زاد ابن الزبير في البيت. فكتب إليه عبد الملك بن مروان: أن سدّ بابها الغربي الذي كان فتح ابن الزبير، وأهدم ما كان زاد فيها من الحجر. فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرا مما يلي الحجر، وأبسها به على ما كانت عليه وترك سائرها لم يحرك منها شيئا. ثم إن الخليفة علم بحديث عائشة رضي الله عنها فندم عليه لكنه تركه ولم يزد عليه شيئا. والقصة مذكورة في صحيح مسلم.⁸⁸

18. تُذهب الكعبة المعظمة:

فلما كانت خلافة الوليد بن عبد الملك بعث إلى واليه على مكة خالد القسري بستة وثلاثين ألف دينار. فضرب منها على باب الكعبة صفاحا من ذهب وعلى ميزاب الكعبة، وعلى أساطين التي في بطنها وعلى الأركان في جوفها، فيكون الوليد أول من ذهب البيت في الإسلام.⁸⁹

19. زيادة أبي جعفر المنصور بالمسجد:

بعد توسيع عبد الله بن الزبير وسعه أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس من جانب الشامي ومن جانبه الغربي. قد ابتدأت هذه التوسعة

⁸⁸ مسلم: 1333

⁸⁹ المباركفوري، تاريخ مكة المكرمة، ص: 26-31

للمسجد في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة والفراغ منها في ذي الحجة سنة أربعين ومائة وكان الذي زاد عليه المنصور النصف مما كان عليه قبل.⁹⁰

20. زيادة المهدي المسجد

ثم وسعه المهدي بن أبي جعفر المنصور من أعلاه ومن الجانب اليماني ومن الموضع الذي انتهى إليه أبوه في الجانب الغربي. وكانت توسعته له في مرتين، في الأولى زيد فيما زاده أبوه رواقان، وفي الثانية تم تكمل هذه الزيادة إلا في خلافة ابنه موسى الهادي لمعالجة المنية للمهدي. واتفق المهدي في توسعة المسجد الحرام وعمارته أموالاً عظيمة المقدار. لأن ثمن كل ذراع مكسر دخل في المسجد خمسة وعشرون ديناراً. وثمان كل ذراع مكسر دخل في الوادي خمسة عشر ديناراً ونقل إليه أساطين الرخام من الشام وغيرها حتى أنزلت بجدة وحُملت منها على العجل إلى مكة إلى غير ذلك من الأمور التي عظمت فيها نفقته.⁹¹

21. زيادة دار الندوة:

أمر وزير المعتضد العباس عبید الله بن سليمان بن وهب بعمارته دار الندوة مسجداً يوصل بالمسجد الكبير وأخرج لذلك مالا عظيماً. فأخرجت القمائ من دار الندوة وهُدمت. ثم أنشئت مسجداً من أساسها بأساطين وطاقت وأروقة مسقفة بالساج المذهب المزخرف، ثم فُتح لها في جدار المسجد الكبير اثنا عشر باباً وجُعل لها سوى ذلك ثلاثة أبواب شارع في

⁹⁰ - شفاء الغرام: 1/426

⁹¹ - شفاء الغرام: 1/427

الطريق التي حولها وجعل لها منارة وشرفاً وفرغ منها في ثلاث سنين،
ولعلها انتهت 284 هـ.⁹²

22. زيادة باب إبراهيم:

قد كانت في عهد المقتدر بالله العباس في سنة 306 هـ زيد في
المسجد باب إبراهيم في الجانب الغربي من المسجد. وهذه الزيادة هي
ساحة الأرض تقع بين باب الخياطين وباب بنى جمع فجمع بينهما وأدخلت
هذه الساحة في المسجد الحرام وجعل عوض البابين باب كبير يسمى باب
إبراهيم.⁹³

⁹² - المباركفوري، تاريخ مكة المكرمة، ص: 82-83
⁹³ - المباركفوري، تاريخ مكة المكرمة، ص: 82-83

الفصل الخامس الكعبة في العصر الحاضر

1. الكعبة في عهد الفاطميين:

ظلت الكعبة على حالها، وعنى الفاطميون بإصلاحات كثيرة من الخراب الذي كان يطرأ على المسجد الحرام، ووجدوا بعض أسطوانات الرخام، وأصلحوا بعض المواضع من سقفه إلا أن عناية العباسيين كانت أكثر وضوحاً، فقد قاموا بإصلاحات كثيرة في الكعبة، وأصلحوا رخامها وشدوا في ركنها اليماني، وأهدى المطيع العباسي للكعبة قنديلاً من الذهب زنته 600 مثقال، وعدة قناديل من الفضة، وأهدى الخليفة العباسي المكتفي بالله بابا للكعبة بديع الصنع منقوشاً عليه اسمه، كمل أهداه ميزاباً جميل النقش، وكمل أمر وزيره صاحب الموصل محمد الجواد بعمل إصلاحات كثيرة في المسجد، أهمها ترميم منارة باب العمرة وقبة العباسي بجوار زمزم، وأنشأ مزولة في صحن المسجد لمعرفة أوقات النهار، وقد أزيلت بعد ذلك ولم يبق لها أثر.⁹⁴ وكسوا الكعبة بالديباج الأبيض، وقد أهدى الشيخ 'رامشت' وإسمه أبو القاسم إبراهيم الحسين الفارسي ميزاباً وكسل الكعبة بالحبرات كسوة كلفتها 18 ألف دينار مغربية وكذلك كساه أبو النصر الاسترابادي كسوة بيضاء من عمل الهند في عام 446 هـ.

2. في عهد الأيوبيين:

⁹⁴94- أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج: 1، ص: 218

ولم يذكر المؤرخون أعمالاً كبيرة للأيوبيين في الكعبة والمسجد الحرام ولكنهم ذكروا من الإصلاحات العباسيين أو بعض الأغنياء المسلمين، فقد أنشأ شرف الدين أحمد مماليك المستنصر بالله العباسي بمدرستان بالقرب من باب الزيادة في مكان المدارس التي تسكنها قبل اليوم المحكمة الشرعية، وكما بنى مدرسة على يمين الداخل إلى باب السلام وأوقف فيها كتباً كثيرة وبنى حاشية المطاف.

أمر الناصر أبو العباسي بفرش حجر إسماعيل بالرخام، وأمر المستنصر بالله بتعمير الكعبة وسقفها وبعض أركانها وكان المطاف مبسوطاً بالحجارة منها البيض كأنها الرخام منها السود والسمراء وكان المسجد يضاء في هذا العهد بمشاعل أنها توقد في صحاف من جديد فوق خشب مركوزة تطيف بحاشية المطاف وعلى بعد يسير منه فينتقد الحرم نورا.

ولم يكن مقام إبراهيم ثابتاً في موضعه كما هو اليوم بل كان ينقل من مكانه أيام الموسم ليصان في جوف الكعبة. وكانت له قبة من خشب يرفعونها عنه في بعض المواسم ويجعلون بدلها قبة من حديد أنشأ هذه في عهد الملك المسعود صاحب اليمن وأنه أول من بناها وكانت للزمزم قبة.⁹⁵

3. في عهد المماليك الأتراك والشراكسة:

وفي عام 749 هـ عنى الأمير فارس الدين من مماليك الأتراك بإصلاح المسجد وجدد الأعمدة حول المطاف؛ وعمر الناصر محمد بن قلاوون رخام

⁹⁵ - أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج: 1، ص: 248-252

الحجر، ثم عمر من بعده المنصور علي بن الأشرف صنع بابا للكعبة، وصنع ولده الناصر حسن بابا للكعبة وكان يتولى كسوتها وكانت سوداء مبطنة بالكتان. وأنشأ الناصر بن قلاوون متوضاً مقابل باب علي، وعنى الشراكسة بالإصلاحات في مكة وفي المسجد فجدد برقوق وعقد المروة وأصلح درجاتها، وعمر ناظر الجيش الشركسي ومدير الحرم سودون كثيراً من المواضع المأثورة في منى ومزدلفة وعرفات، وأزال أشجار الشوك والصخور الكبيرة من طريق عرفات لأن اللصوص كانوا يختفون ورائها.

وأمر السلطان 'قايتباي' بهدم المتوضاً أمام باب علي ثم بنى مكانها رباطاً للفقراء وأنشأ إلى جانب الرباط متوضاً صغيراً وأنشأ بجواره مطبخاً لتطبخ الدشيثة وتوزع على الفقراء وعمر قايتباي مسجد الخيف في منى ومسجد نمرة في عرفات.

وفي هذا العهد بنوا مقامات للائمة الأربعة في الحرم المكي، وصلوا الجماعات متفرقين وراء إمامهم وشيدوا مقام الحنفي على أربع أساطين من حجارة عليها سقف مدهون مزخرف. فقد أنكر ذلك جماعة من العلماء ولم يغيره بل أضاف إليه كثيراً من الزخرف وفرش أرضه بالحجارة الحمراء وعقد فوق سقفه قبة، وعنى بعد ذلك بتحسينه عدة مرات حتى كان عهد نفوذ العثمانيين الذي حسنوه أكثر مما كان، وقد أزيل في أعمال التوسعة في عهدنا الحاضر.⁹⁶

⁹⁶ -96- أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج: 1، ص: 332

وفي هذا العهد سد باب الخلوة إلى جانب زمزم والتي كان فيها مجلس ابن عباس، ووضع في موضع الخلوة بركة مقبوة وفي جدرانها التي تلي باب الصفا من نحاس يتوضأ الناس منها على أحجار نصبت للجلوس وفوق البركة المقبوة شباك إلى الكعبة وشباك إلى الصفا وطابق صغير إلى البركة. وعمر الشراكسة حجر إسماعيل بالرخام وأرسلوا له كسوة من الحرير الأسود كسى به دائرة من الداخل والخارج وكانت أول كسوة من نوعها لحجر إسماعيل وآخرها أيضا وعنوا بكسوة الكعبة طوال مدة حكمهم في مصر وأحدثوا في جانبها الشرقي جامات منقوشة بالحرير وجعلوا لبابها ستارة أجمل مما كانت وكانوا يكتبون في طرازها اسم صاحب مصر الشركسي.

4. في عهد الترك العثماني:

كان الترك قبائل رحلاء وكانت بلادهم تمتد من شمال الصين إلى البحر الأسود ومن سيبيريا ومنغوليا إلى الهند وإيران وهي المقاطعة التي نسميها اليوم 'تركستان'. ومن أشهر قبائلهم في عهد العباسيين فيملوراء النهر السعد والفراعنة والأشروسة وأهل الشاش ويقال لها اليوم 'طاشقند' وقد اتصل الإسلام بهذه القبائل في عهد الأمويين على إثر فتح بخاري وسمرقند، فقد غزتهم جيوش المسلمين ثم صالحتهم على أموال.

سيلانغريب: وفي سنة 1039 أمطرت السماء مطرا غريزا وسال وادي

إبراهيم سيلا قليل

المثال. طُفح به المسجد إلى طوق القناديل وغرق نحو ألف إنسان، وقد صحب نزول المطر 'برد' كثير. كان بعضه مالحة والبعض الآخر مرلو أصيبت الكعبة من جراء ذلك بتصدع في جدارها اليماني والشامي إلى الباب، وقد أمر الخليفة العثماني مراد بإصلاحها.⁹⁷

تلطّيح الكعبة: وفي سنة 1088 هـ أصبح الناس. فإذا الكعبة ملطخة بما يشبه العذرة والقذرة. فاتهم الناس الشيعة بهذا جرياً على اعتقاد قديم فاشتدت حمية الأتراك المجاورين والحجاج فأوقعوا بعض الشيعة وقتلوا منهم أشخاصاً رمياً بالحجارة وضرباً بالسيوف.⁹⁸

جمل فوق المنبر: وفي 22 ذي الحجة عام 1091 هـ سال وادي إبراهيم بمكة على أثر مطر عظيم واقتحم السيل المسجد حتى انتهى إلى مليوازي نصف الكعبة وأزاح بعض الأعمدة من أمكنتها، ومن غريب الاتفاق أن السيل حمل أحد الجمال حتى استقر به فوق المنبر، فلما انكشف الماء في الصباح وجدوا الجمل في مكانه في أعلى المنبر، وراح ضحية هذا السيل عدد كبير من الحجاج وخربت بسببه كثير من البيوت.⁹⁹

سيلان عظيمان: في عهد مسعود بن سعيد اقتحم المسجد الحرام سيل عظيم انتهى إلى باب الكعبة في يوم الجمعة من عام 1153 هـ ولم يستطع الخطيب الوصول إلى المنبر. فخطب في باب الزيارة وصلى الجمعة ومعه

⁹⁷97- تاريخ مكة، أحمد السباعي، ص: 363-384

⁹⁸98- تاريخ مكة، أحمد السباعي، ص: 363-384

⁹⁹99- السيد دحلان، خلاصة الكلام، ص: 98، أحمد السباعي، تاريخ مكة، ص: 385

خمسة أشخاص، وأصاب الناس سيل مئله في عام 1159 هـ والناس في
مُنَى فغمر الحجاج ودهم جانباً عظيماً منهم فكان ضحاياه من الغرقى تملأ
الطرق.¹⁰⁰

منع الحج لمحمد بن عبد الوهاب: وفي هذا العهد كانت دعوة الشيخ
محمد بن عبد الوهاب في نجد قد بدأت تشيع بين القبائل ويكثر أنصارها،
وقد بعث النجديون إلى مسعود يستأذنون في الحج ببعض جموعهم. فلم
يوافق على دخولهم وندبوا بعض علمائهم فناظروا علماء مكة ولم ينتهوا معهم
إلى وفاق.¹⁰¹ ولما توفي مسعود تولى الخلافة مساعد بن سعيد. وفي هذا
العهد أرسل النجديون يستأذنون في الحج فلم يؤذن لهم.

ابتداء الطوافة: قد ابتدعت عادة الطوافة في هذا العهد الشركسة واتسع
نطاقها قليلاً في أوائل العهد العثماني حتى انتشرت وتقوت لأن أمراء
الأتراك ورؤسائهم كان لا بد لهم من أشخاص يطوفونهم لأنهم لا يعرفون اللغة
العربية. كان أول مطوف في الشركسة قاضياً في مكة. فالذي يظهر أن
الطوافة في العهد العثماني خرجت من تلك القضاة قليلاً إلى بعض الأعيان
في مكة.

5. الكعبة تحت عناية العثمانيين:

وعنى العثمانيون بشئون المسجد والكعبة على أثر اتصال نفوذهم
بمكة أكثر مما ميزه الشركسة. وفي عام 972 هـ أجرى السلطان العثماني

¹⁰⁰ المصدر نفسه، ص: 429

¹⁰¹ المصدر نفسه، ص: 430

اصلاحات في- المسجد ذات- شأن- فجدد- سطح- الكعبة- المشرفة- وفرش
المطاف وأصلح- بعض- أبواب المسجد وصفح- باب الكعبة وأصلح الميزاب
وصفحه بالفضة المموهة وأنشأ المدارس- الأربعة- بين- باب الزيادة وباب
الدريبة لتدريس- العلم وبنى- فوق- المدارس- منارة اكتملت بها سبع منارات
للمسجد، وظهر- أن- منارة باب الكعبة تطرق إليها الخراب فجددها وكانت
على الطراز- المصري- في- رأسها قبة تتعارض- فيها ثلاثة أعواد تناط بها
القناديل فأقيمت على الطراز التركي الموجود اليوم في منائر المسجد.¹⁰²

وكان الجانب الجنوبي من المسجد- حول- باب إبراهيم- مكتظا
بالبيوت والمدارس التي كانت تسبب ضيقا في مجرى السيل فأمر السلطان
مراد بهدمها وجعلها أمكنة لمبيت الفقراء حتى لا يأوون إلى المسجد، كما
أمر- ببناء عدة حنفيات للوضوء على يسار- الخارج- إلى الصفا وأخرى عند
مدرسة السلطان قل يتباي، وقد هدمت الحنفيات المذكورة في عام 1315 هـ
لأن فضلات المياه كانت تلوث أبواب المسجد.¹⁰³

لما اقترح علماء الأتراك أن تحزم الكعبة بحزام نحاس قوى يشد جدار
الكعبة. فوافق الخليفة العثماني مراد وغلق الحزام بالذهب الخالص فبلغت
نفقاته نحو 80 ألف دينار،¹⁰⁴ ويذكر السيد أحمد دحلان أن الخليفة العثماني
كان ينيو- إعادة بناء الكعبة بحجارة موشاة بالذهب والفضة فمنعه شيخ

¹⁰²102- الشيخ حسين باسلامة، عمارة المسجد، ص: 78
¹⁰³103- القطيبي، الأعلام بإعلام بيت الله الحرام، ص: 388
¹⁰⁴104- الشيخ عبد الله فازي، إفادة الأنام

الاسلام من ذلك.¹⁰⁵ وأمر مراد خان بتجديد باب الكعبة وارسال القديم إليه.
وفي سنة 1073 هـ انكسرت خشبة في سقف الكعبة فعمروا السقف وبنوا
إفريزا لسطح الكعبة عام 1100 هـ ثم أصلحوا السقف عام 1109 هـ ورمموا
الكعبة سنة 1138 هـ وقاموا باصلاحات أخرى.¹⁰⁶

¹⁰⁵- المصدر نفسه
¹⁰⁶- المصدر نفسه

6. الكعبة في عهد السعودي الأول:

في نهاية العهد العثماني الأول - رفض الإذن بالحج لسكان نجد إذا اشتبك معهم في قتال، في هذه الأثناء كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد عمّت أكثر بلاد نجد ووجدت آل سعود في الدرعية خير معوان لنصرتهاء وهذا كان في منتصف القرن الثاني عشر الهجري. كانت دعوته اشتهرت وقام بنصرتهاء في الدرعية حد العائلة السعودية الممالكة واشتد الإقبال عليها وكثر أتباعها من أحياء العرب حتى قوى أمرها واشتدت شوكتها وأصحابها من آل سعود وحتى بلغت أخبار دعوتهم إلى مكة في عهد الشريف مسعود بن سعيد بن زيد فبدت تجارب بعض العلماء على فكرة دعوة الشيخ، لأنهم رأوا فيها تخريب الدين وهم في البدعات والخرافات، ولكن محمد بن عبد الوهاب أعلن شناعتهاء وأنه رفض كل ما لم يعرفه سلف الأمة. فاشتد نكيرهم عليه بدعوى أنهم يقبلون البدعة ما دامت حسنة. فازدادت الخلافات بينهم شديداً ورجال السياسة شايعوا المنكرين على الشيخ ليأتلفوا جمهرة العلماء فتصففوا ملايين الأتباع المقلدين من أهل البدع والضلالة.

فلما أراد أصحاب الشيخ أن يحجوا وأرسلوا إلى الشريف مسعود ليوافق على إذن دخولهم لهم، فمنع فتداول وتكرر السفراء بينهم فوافقهم بشرط أن يتناول منهم ضريبة. فأبوا ذلك فأرسلوا إليه فتهددهم ثم جهز عليهم جيشاً لقتالهم في سنة 1205 هـ فاتصلت الأخبار بغالب في مكة أن بعض

القبائل انضمت إلى عوة الشيخ فجهز جيشا فالتقى واشتبك القتال بينهما
وكثر القتلى في طرفين، وفي هذا العام توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب
في نجد بعد أن دان لدعوته مئات الألوف في أنحاء الشاسعة.
ثم وافقت الأخبار بحركة الأمير سعود بن عبد العزيز في جيش إلى
الطائف. فانضم إليه جيش عثمانى المضائفي وصاروا في جنودهم حتى
عسكروا على نحو ثلاث مراحل من مكة حيث ظلوا في معسكراتهم إلى أن
قضى الحجاج مناسكهم.

فلما توفي عبد العزيز آل سعود بويح ابنه سعود بالإمامة الدرعية
والبلاد التابعة لنجد في عام 1218 هـ. ثم تتابعت الفتن بين أهل مكة
والنجد، واستقر الأمر بعد نهاية الفتن وظل حكم السعوديين في مكة، وكان
الإمام سعود يحج سنويا على رأس ألوف مؤلفة من أتباعه وذويه من سائر
بلاد نجد تتبعهم عائلاتهم. وكانت جيوشه من سائر الأقطار التي يحكمها في
الأحساء ومسقط وعسير والحجاز وبعض بلاد اليمن توافيه إلى مكة. وان يوزع
كثيرا من عطاياها على فقراء الحرمين ورجال البوادي كما كان يكسو الكعبة
سنويا بالقر الأحمر أو القيلان ويطرز ستارة بابها بالذهب والفضة.

وكان المكان للإمام سعود بالمسجد الحرام هي قبة زمزم يؤدي فيها
صلاته في موكب حافل من حاشيته وفي آخر حجة للإمام عام 1225 هـ.
أمر بكشف القبة التي فوق مقام إبراهيم حتى صار الحجر بارزا لكل من يراه
في الناس.¹⁰⁷

¹⁰⁷107- أحمد السباعي، خلاصة الكلام: تاريخ مكة، ص: 487-505، وإفادة الأنام (مخطوط)

وفي أثناء هذا العهد كان في مصر حكومة محمد علي باشا وكان له علاقة قوية بمكة المكرمة. ووقعت بينه وبين الإمام سعود بعض الحروب، والقتال لا يزال مستمرًا بين الجيشين في الجنوب نحو القنفذة والشرق نحو الطائف وما حولها.

7. في العهد العثماني الثاني:

توفي الإمام سعود في هذه الأثناء في جمادى الأولى عام 1229 هـ فتولى الأمر بعده ابنه عبد الله بن سعود وكانت المناوشات ما تزال مستمرة بين الطرفين. ثم جاء عهد العثماني الثاني عادة مكة إلى تبيعتها للعثمانيين مرة ثانية على أثر ترحيل جيوش خديوي مصر محمد علي باشا وعنوا في هذا العهد بشئون المسجد فاخرة وبنوا للمسجد ستة أعمدة في رأس كل عمود نخلة من معدن أصفر. تناط بفروعها المدلات ستة قناديل وأنشأ بين الأساطين الأمامية للأروقة عوارض من حديد تناط بها القناديل. مجموعها 1422 عددًا جعل في المنائر- وفي عام 1266 أمر العثمانيون بأجراء إصلاحات عامة في المسجد وأرسل السلطان في عام 1276 ميزابًا للكعبة من صنع القسطنطينية مصفحًا بنحو خمسين رطلا من الذهب وهو الميزاب الموجود إلى اليوم وقد حمل القديم إلى القسطنطينية، ولما اقتحم المسجد في عام 1278 هـ سيل عظيم ارتفع مستواه إلى قفل باب الكعبة وأصيبها بأضرار وغرق فيه خلق كثير داخل المسجد وخارجها فانشطوا الإصلاح الضرر

كلها بإشراف أمير مكة عبد الله بن محمد بن عون.¹⁰⁸

¹⁰⁸108- أحمد السباعي، تاريخ مكة، ص: 592

8. توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي:

وقفت مساحة المسجد الحرام عند الحد الذي بلغته منذ 1069

عاما في عهد

المقتدر بالله ولكن البناء حوله لم يتوقف، وأخذ يزحف تجاهه حتى اتصلت

به ولصقت المنازل. وكذلك الحال بالنسبة للمسعى، فقد فصلت المباني بينه

وبين المسجد الحرام وأصبح طريقا ضيقا تجرى به الحوانيت، وترتفع فوقها

المنازل طبقات.

بدأ المسجد الحرام يضيق بالوافدين في مساحته المحدودة. فلم يعد

عدد الحجاج كما كان أيام كانت المواصلات بالدواب والمراكب الشراعية،

ولكنه تضاعف أضعافا كثيرة نتيجة التطور المذهل في وسائل المواصلات،

فتحولت إلى السيارات الحديثة، والطائرات النفاثة والبواخر الضخمة

السريعة، وضاق المسجد بهذه الإعداد الضخمة وكلمت مرتد الأعوام زادت

إعداد الحجاج وزاد الزحام وشعر الناس في مكة سكانا وحجاجا بهذا الضيق

اشتداد والعجيب أن أحدا من ملوك المسلمين أو أمرائهم لم يفكر في زيادة

شبر واحد في مساحته لأكثر من ألف عام.

اهتم الملك عبد العزيز عبد الرحمن آل سعود بشئون الحرمين

الشريفيين اهتماما بالغا. وانطلاقا من هذا الاهتمام أمر بترميم المسجد وشمل

ذلك: ترخيم الحرم وتجديد الأصبغة فيه وإصلاح الأبواب وأرضيات الأروقة،

وهو أول من رصف شارع المسعى وجدد مظلمته. وكانت أول توسعة في العهد

السعودي في عهد الملك سعود بن عبد العزيز، فهدمت البيوت على جانب المسعى بطابقين، وجعل في الطابق الأول حاجزاً قليلاً لارتفاع يفصل بين المسارين. مسار السعي من الصفا إلى المروة، ومسار العودة من المروة إلى الصفا، وجعل للطابق الأول ستة عشر باباً ومدخلان للطابق الثاني أحدهما عند الصفا والآخر عند المروة. ثم هدمت المباني في الناحية الجنوبية، وتم بناء الرواق الجديد بطابقه الأول والثاني، وبنيت طبقة من البدرومات تحت التوسعة دون المسعى، ثم تمت التوسعة في الجانبين الغربي والشمالي، فتم فيهما مثل ما تم في القسم الجنوبي، وزيد عدد الأبواب فأصبحت واحداً وخمسين باباً ما بين صغير وكبير، وأنشئت سبع منائر عرضاً عن المنائر السبع القديمة التي هدمت في التوسعة.

وقد بلغت الزيادة في التوسعة السعودية الأولى 153000 متر مربع. وتبلغ مساحة المسجد 180850 متر مربع، وبذلك تكون مساحة المسجد قد تضاعفت ست مرات، فقد كانت المساحة قبل هذه التوسعة 27850 متر مربع فقط.

وقد جاء بناء التوسعة قوياً وجميلاً، حيث حشيت الجدران بالمرمر، والسقوف والعقود بالحجر الصناعي، ليكون المسجد الحرام تحفة معمارية رائعة.¹⁰⁹

9. توسعة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود:

¹⁰⁹109- المباركفوري، تاريخ مكة المكرمة، ص: 85-87

اهتم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود بالحرم اهتماماً عظيماً وبذل فيه بذلاً سخياً وشملت مشروعاته التي نفذت نوعين: 1- التحسين والتجميل والتجهيز، 2- زيادة مساحة المسجد الحرام. وبالنسبة لزيادة المساحة فقد تمت زيادة الناحية الغربية وهي تمتد من باب الملك عبد العزيز إلى باب العمرة وذلك بطابقين وبدروم. كملهمد سطح المسجد للصلاة فيه، ويعتبر زيادة حقيقية للمساحات التي يصلى فيها حين يستوعب أكثر من 80000 مصلى بعد تحسينه وإعداد ثلاثة مبانٍ للسلالم الكهربائية المتحركة، كأنه أضيّق دور ثالث على الطابقين السابقين في التوسعة، وقد شملت التوسعة مدخلا رئيساً هو باب الملك فهد و 14 مدخلا فرعياً ومدخلان للبدروم، ويصبح بذلك محددًا لمدخل الرئيسية للمسجد الحرام أربعة. وعدد المداخل الفرعية أربعة وخمسون بجانب ستة مداخل للبدرومات، والمداخل العلوية للطابق الثاني والسلالم الكهربائية. وأضيفت مؤذنتان جديدتان تشبهان المآذن السبع السابقة. وقد بلغت مساحة الزيادة 76000 متر مربع وهي ثلاثة أمثال مساحة المسجد الحرام قبل الزيادة السعودية الأولى ومعنى ذلك أن التوسعتين السعوديتين الأولى والثانية ضاعفتا مساحة المسجد الحرام تسع مرات، هذا وقد أضيف مساحات جديدة للمصلين من الناحية الشرقية للمسجد الملاصقة للمسعى وتعرف بالمساحة الشرقية، وتقع أسفل جبل أبي قبيس 'القصور الملكية' تبلغ مساحتها حوالي 40000 متر مربع وقد تم تجهيزها بكافة ما يحتاجه

المصلون، هذا بالإضافة إلى مساحات واسعة من الناحية الجنوبية والغربية
مبلطة بالرخام الأبيض، ليتخذها الناس مصلى. عند ازدياد عدد المصلين
خصوصاً أيام الحج.¹¹⁰

يقول الشيخ المباركفوري في كتابه تاريخ مكة المكرمة عن أهمية
توحيد المصلين. كلهم خلف إمام واحد لأنه كان في داخل الحرم المكي
الشريف أربع مقامات للمذاهب الأربعة وكان لكل مقام إمام يصلي بالناس
يكون الأذان في وقت واحد والصلاة في كل مقام يختلف وقتها من الصلاة
في المقامات الأخرى فأولا تقام الصلاة في مقام الإمام أحمد، ثم الشافعي ثم
المالك ثم الحنيفة ولكل مقام إمامه وقد صدد هذا التركيب العثمانيون
واستمرت هذه البدعة الشنيعة حتى جاء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن
آل سعود الذي اهتم بإزالتها ورجع الأمور إلى ما كانت عليه في عهد رسول
صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح. فتنفذ في مركز التوحيد توحيد
المسلمين كافة خلف إمام واحد في آن واحد يرحمه الله مثواه.

¹¹⁰110- المباركفوري، تاريخ مكة المكرمة، ص: 88، 89

الباب الثاني الحماية المقدسة للكعبة المعظمة

الفصل الأول:
الحماية في الجاهلية قبل الإسلام

الفصل الثاني:
بقاؤها بعد انتهاكات العدوان

الفصل الثالث:
كسوة الكعبة منذ أربعة آلاف سنة

الفصل الرابع:
سدانة الكعبة عبر التاريخ

الفصل الخامس:
الكعبة المشرفة - نظرة عامة

الباب الثاني الحماية المقدسة للكعبة المعظمة

إن فضل الكعبة على سائر الأماكن ما قدره الله سبحانه وتعالى. فهي أول بيت وضع للناس كما قال تعالى: "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين" (3:96). وهي التي يتجه الناس إليها من مشارق الأرض ومغاربها خمس مرات في اليوم والليلة. كما عبر تعالى عنه: "قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره" (البقرة: 144) يقول المفسر ابن كثير في تفسيره: وقال العلماء إن المراد بالمسجد الحرام هو الكعبة المعظمة.¹

والكعبة المشرفة جعل الله صلاة المسلم عندها بمائة ألف درجة. كما أوضح الرسول صلعم بقوله: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام"² فالصلوة المطهرة لا تصلح إلا بالتوجيه إلى القبلة المقدسة، فقدس الله حمايتها على أيادي الناس المطهرين المخلصين على مر العصور وتطهروها من الأنجاس والقذرات الشرك والكفر والمنكر. امتثالاً بقوله تعالى: "وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين

¹- تفسير ابن كثير، ج: 1، ص: 192
²- صحيح البخاري، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ج: 1، ص: 206

والركع السجود." (البقرة: 125).

فعهد الله تعالى لإبراهيم وابنه عليهما السلام أن يطهرا هذا البيت
المعظم من جميع أقدار الأصنام والأوثان وغيرهما من الأنجاس الظاهرة
والباطنة ليكون عبادة العباد خالصة لربهم، فكل من يريد تقربا إلى الله فلا
مجال له إلا بعد تطهير قلبه لأن قبلتهم مقدسة ومطهرة فلا يتجه إليها إلا
التقديس والتطهير.

اهتم المسلمون وقدروا حق التقدير لرعاية الكعبة المعظمة وتعهدوا
لها بالإصلاح والتعمير والحماية على مر العصور بتقديس قبلتهم المشرفة
جيلا بعد جيل كابرا عن كابر كعهد مع الله منهم.

وقد سعدت كثيرا أن أقوم بتقديم هذا الباب والتعليق عليه على
خمسة فصول أبينها إن شاء الله.

الفصل الأول الحماية في الجاهلية قبل الإسلام

وإن ربنا تعالى شأنه أكرم بيته وأعلا شأنه
من سالف الأحقاب والأزمان حتى تقوم ساعة الزمان
أحاطه بأروع الأسرار وحفّه بالعزّ والإكبار
وخصّ بهيبة وعظمه ما للملوك مثله من عِظَمه³

بنى خليل الله إبراهيم عليه السلام الكعبة المعظمة من قواعد آدم عليه السلام بحجارات متراكبة بعضها فوق بعض من غير طين ولا حصى ولم يجعل لها سقفا ولا بابا ولا كسوة ولا زخرفة ولا مذهبة الحزام ولا متنورة بالأنوار واللمبات الصوديم وغيرها من زخارف الدنيا ولكن كانت جلابة لأرواح الإنسان ومختمة في أفئدة الخلائق بالخشوع والتذلل والحب والهيبة والجلال وارتبطت قلوب الأنام إليها من مشارق الأرض ومغاربها بإعلان واحد من إبراهيم الخليل عليه السلام إلى الناس جميعا بعدما أمره جل وعلا بقوله: " فأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق"⁴ نعم، يفيض عباد الرحمن إليها من أنحاء أقطار الدنيا وليس في قلوبهم إلا رضا الرحمن وإجابة لدعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام. وكيف هذا؟ ولماذا؟

1. الكعبة في حماية الله تعالى:

³- من منظومة محمد طاهر الكردي المكي، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص: 235
⁴- سورة الحج: 27

وقد بدأ خلق الله تعالى الأرض من نقطة أولية هي من بقعة طاهرة
موقعه الكعبة، كما روى عن سعيد بن المسيب: "كانت الكعبة غناء على
الماء قبل أن يخلق الله عز وجل والأرض بأربعين سنة ومنها حديث الأرض"
وكما روي عن ابن عباس أنه قال: "لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق
الله السماوات والأرض بعث الله تعالى ريحاً هفافة فصفت الماء فأبرزت
عن خشفة،⁵ في موضع هذا البيت كأنها قبة فدحا الله الأرضين من تحتها
فمادت ثم مادته فأوتدها الله تعالى بالجبال فكان أول جبل وضع فيها أبو
قيس فلذلك سميت مكة 'أم القرى'.⁶ والله أعلم. لأن الكعبة المعظمة
نشاهدها معجزة باهرة وآية عظيمة في الأرض منذ تعرف الإنسان تاريخها
الطوال، فهذه من حماية رب العالمين وأنقذها الله تعالى بقدرته العظيمة
من أعداء بغوا عليها خلال السنوات المتطاولة منذ آدم عليه السلام إلى
يومنا هذا من جميع الفتن والمصائب والتهديم والتخريب، هذه الحماية
المقدسة العظمى من روح الله سبحانه على المؤمنين كافة.

2. حمايتها الملائكة:

قد حمى الإنسان هذه الكعبة المعظمة منذ قديم الزمان مع جاهليتهم.
فبذلوا أقصى جهدهم الذي شاهدت الدنيا. هكذا حماية لغيرها أبداً حتى يومنا
هذا إلا للكعبة المشرفة. رغم بأن في بعض الروايات يذكر: أن الكعبة بناها
أولا الملائكة قبل خلق آدم وطافتها الملائكة كما تطوف حول العرش والبيت

⁵- هي حجارة تنبت في الأرض نباتاً
⁶- الأزرقى، الروايات من أخبار مكة

المعمور- بأن الله أمرهن- " ابنوا لي بيتا في الأرض بمثاله ثم أن تطوفوا كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور." ⁷ فنفذ الأمر، فإنها تدل تقديس البيت أيضا وإن كانت الروايات صحيحة.

كما أنشد محمد طاهر الكردي المكي فقال:

إيماننا أقوى من الصخر الأصم يعجز عن تعبيره جري القلم
فالقلب عامر بذكر الله والفكر سابع آي
الله

والصبر مملوء بنور وحكم وكل ذا من فضل ربي ذي الكرم
تحدثا بنعمة الله لنا لقد ذكرنا ما تراه
علنا

ونستعيز الله من شر الحسد وغمز- ناقد ونافت
العقد⁸

3. حماية آدم عليه السلام:

ولما هبط آدم عليه السلام وحواء إلى الأرض فبناها مرة ثانية بعد الملائكة وطافها وأبناؤه واستلم الحجر الأسود لأنه قد نُزل معه وكان من الجنة حجرا بيضاء ولما انتقل إلى الأرض غير لونه حسب مناسبة جوار الأرض وأثبتته في ركن الكعبة حينما ضرب جبريل بجناحه الأرض فكشف أساسها الأولى. فبنى آدم عليه السلام البيت على هذه القاعدة العتيقة. يدل هذا

⁷- الأزرقى، الروايات من أخبار مكة
⁸- تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه

التاريخ أن الكعبة المعظمة فيها جزء من أجزاء الجنة الخالدة. وهي تدل تقديسها وحمايتها بعدما خُفي تاريخه، ولما عرف آدم عليه السلام تاريخه العظيم من الملائكة فقام على بنائه، وتنسك لنفسه عبادة الطواف حول البيت لإعفاء خطيئته المرتكب التي وقعت منه في الجنة. فندم وتابودعا الله تعالى دعاءً اخلاصاً حنيفاً إلى ربه حينما يطوف ويحج فتاب الله عليه فكان كطفلاً وليد بدون ذنب ثم صار نبياً مرسلًا إلى أبنائه ورجلا مثاليًا لبني آدم كله حتى يوم القيامة.

4. حماية إبراهيم عليه السلام:

قد بوأ الله لإبراهيم مكان البيت بعدما هُدم في العصور بعد آدم عليه السلام. فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتًا بالطين والحجارة فلم يزل معمرًا يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فنسفه الغرق وخفي مكانه. فلما بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام طلب الأساس فلما وصل إليه ظلل الله تعالى له مكان البيت بغمامة فكانت حفاف البيت الأول. ثم لم تزل راکدة على حفاة تظل إبراهيم وتهديه مكان القواعد حتى رفع الله القواعد قائمة ثم انكشفت الغمامة وذلك قول الله عز وجل: "وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود"⁹ (سورة الحج: 26) هي الغمامة التي هدت لإبراهيم مكان القواعد فلما أوحى إليه لبنائها أسرع إلى هذه البقعة فبنى

⁹- الأزرقى، أخبار مكة، ص: 30-37

من حجارة سبعة أجبل ما بين الأخشبين مع ابنه إسماعيل عليه السلام
كما قال تعالى: " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل
مننا إنك أنت السميع العليم " (البقرة: 127) فتقبل الله منه عمله ودعائه.
فانتدبت نتيجته إلى أبد الأبد فتفضل على الأمة الإسلامية بأن جعلها توحده
وتنزهه عن الشبيه والنظير. وخصها بأول بيت وضع في الأرض، تستقبل في
الصلوات وتحج من كل فج عميق، لتشهد منافع لها عنده، ولذلك صارت بنوا
إبراهيم أمة إسلامية خير أمة أخرجت للناس. فحمى إبراهيم عليه السلام
الكعبة المقدسة بعد حماية الله وحماية الملائكة الكرام وحماية أبي البشر
آدم عليه السلام وأبنائه حاذين له بعد وفاته كما قال محمد طاهر الكردي
المكي في شعره:¹⁰

قد بوأ الله لإبراهيم	مكان بيته فكن فهما
فجا إلى مكة بالبُرّاق	دعا لها بثرة الأرزاق
ما كان فيها حيوان وبشر	ولا مياه أو طعام معتبر
وحيثُ أبقى ابنه مع أمه	فيها رأى كرامة من ربه
أخرج ماء زمزم ليشربا	منه ويسقيا الضيوف الغربا

فقال أيضا:

ثم أتاه الأمر من رب السما	أن يبني البيت الشريف فافهما
فقام يبني بيته الحراما	ثم دعا لحجه الأناما...

¹⁰ -10 الكردي، تاريخ القرآن، ص: 233

5. حمايات العمالقة والجرحم والقصي:

والإنسان العاقل لا يبني المباني التي تقصد بها منافع الدنيا إلا في الأوساط المزدهمة أو القرية الساكنة أو المدن المعمورة. لكن خليل الرحمن عليه السلام بناها في بكة التي كانت وادية في وسط الصحراء غير ذي زرع ولا نبات ولا ماء ولا إنسان ولا طيور ولا عمارة وبيوت. فما المقصود ببنائه إلا قصد روحيا. ففهم أبناء إبراهيم وإسماعيل وأتباعهم هذه الفلسفة الروحية الخالدة الإلهية ملة بعد ملة، بعدما هُدمت تماما ولا يرى آثارها شيئا، ثم هم فتشوها وطلبوها تحت الثرى قواعدها، وجهدوا لإنشائها جهودا لا مثيل لها في هامش التاريخ إلا غيرها.

عن العمالقة والجرحم قد رويت الآثار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: في خبر بناء إبراهيم الكعبة " ثم انهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته من جرحم. ثم هُدم فبنته قريش " ¹¹ وروى الفاسي عن الفاكهي أن الواقدي قال: كان البيت قد دخله السيل من أعلى مكة فانهدم فأعادته جرحم على بناء إبراهيم عليه السلام وجعلوا له مصراعين وقفلاء فاستخفت جرحم بأمر البيت وعملوا أمرا وأحدثوا أحداثا لم تكن ¹².

قال مضا بن عمرو الجرحمي مفاخرنا عن بنائهم الكعبة والدفاع لها على الأعداء.

فنحن عمرنا البيت كنا وولاته نحامي عنه من أتانا وندفع

¹¹ -11 الفاسي، شفاء الغرام، ج: 1، ص: 94
¹² -12 المصدر السابق، ج: 1، ص: 361

وما كان ينبغي أن يلي ذاك غيرنا لم يك حي قبلنا ثم يمنع
وكنا ملوكا في الدهور التي مضت ورثنا ملوكا لا ترام فتوضع
نعم وهم احترزوها حفظا كما حفظوا عيونهم وأكبادهم وحمول حماية
روحية لا مادية دنيوية ولكن علاقة إيمانهم برب الكعبة.
وكذلك قصي بن كلاب لما ولى أمر البيت جمع نفقته، ثم هُدم الكعبة
فبناها بنيانا لم يبين أحد ممن بناها قبله مثله.¹³
وقد مرّت فوق ذلك حماية الله الكبرى على صورة العجب والمعجزة
والخوارق العادات حينما يخسر بعضهم لدفاع التدمير والتخريب والطغيان
عليها. فيحمي الله تعالى مباشرة بقدرته الباهرة، كما وقع كثير من الأحيان.
كما قال إمام السهيلي في كتابه 'روض الأنف': إن سارقا سرق من مال
الكعبة في زمن جرهم، وأنه دخل البئر التي فيها كنزها، فسقط عليه حجر
فحبسه فيها، حتى أخرج منها وانتزع المال منه، ثم بعث الله حية لتهلأ رأس
كرأس الجدبي بيضاء البطن، سوداء المتن، فكانت في بئر الكعبة خمسمائة
عام فيما ذكر رزين.¹⁴ وقال قصي بن كلاب حينما يبنيه فأنشد:

أبنى لقومي بيتا رفعتها وليبن أهل وراثها بعدي
بنيانها وتامها وحجابها بيد الإله وليس بالعبد

فبناها. وسقفها بخشب الدوم الجيد وبجريد النخل، وبناها على

¹³13- عن الزبير بن بكار، قاضي مكة، في كتاب النسب/ شفاء الغرام، ج: 1، ص: 153
¹⁴14- السهيلي في الروض الأنف، ج: 1، ص: 224/ تاريخ الكعبة المعظمة لحسين باسلامة، ص: 85

خمسة وعشرين ذراعا، فلذلك يقول أعشى بكر بن وائل¹⁵.

إلي وندبي راهب الشام والذي بناها قصي وحده وبنى جرهم
لئن شب نيران العداوة بيننا ليرتلن- مني- على-ظهر
شيهم

6. حماية قريش الكعبة قبيل الإسلام:

وتقدّيس- قريش- الكعبة وحمايتها. أظهر- وأشهر- في- التاريخ- والواقع،
حموها حماية وتقديسها لا نجد مثيلا له في التاريخ مع أنهم في
جاهليتهم وشركهم، ولكن حبهم وشوقهم وعلاقتهم مع الكعبة المعظمة رهيب
جدا وإيمانهم قوي- وقلوبهم مملوءة بعشقتهم لها تظهر- كلها- دليل- واضح
حينما بغى عليها الأبرهة وجنده، وحينما أرادوا بناءها بعد الهدم بالسيل
العظيم جمعوا الأموال الطيبة والحلال فقط لتجديدها. فلما قصر نفقتهم ترك
من الكعبة بعضها من مساحة حجر- إسماعيل- لأنهم رغبوا عمل دخلوا في
بيت الله تعالى نفقة حرام خبيث بطهارته نيتهم وإخلاصهم بهل وتقديسهم
والبيت الله الحرام فحمايتهم بالكعبة أظهر- وأنقى- سبيل. يدل إعلانهم
التالي قبل جمع التبرعات على تقديسهم بالكعبة:- قام أبو وهب بن عمرو
بن عائد الخزرمي فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع إلى
مكانه فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا، لا يدخل
فيه مهر- بغي، ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس. هذه كلمة نورانية ألهم

¹⁵15- أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني، دار الفكر، ج: 4، ص: 172

الله في قلب خالص لحماية بيته الحرام.

وكذلك اشتراكهم بالبنية عجيب وغريب صغيرهم وكبيرهم أمرائهم وسوقتهم وجميع أعضاء قريش- اشتركوا فيها. روى البخاري- عن عمرو بن دينار: قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: لما بنت قريش الكعبة ذهب النبي صلعم- وهو قبل البعثة- وعباس ينقلان الحجارة فقال العباس- للنبي صلعم اجعل إزارك على رقبتك فخر إلى الأرض- لما اشتد حيائه - فطمحت عيناه إلى السماء فقال: أرني إزاري فشدته عليه.

عن عباس بن عبد المطلب قال: " لما بنت قريش الكعبة انفردت رجلين- رجلين- ينقلون الحجارة."16 وكانت القريش- لما أرادوا بناء تجديد الكعبة فخافوا هدمها إغلاما لها- ومهابة بها فتشاورت قريش- في هدمها وهابوه، فقال الوليد: إن الله لا يهلك من يريد الإصلاح- فارتقى على ظهر البيت ومعه العباس، فقال: اللهم لا نريد إلا الإصلاح، ثم هدم، فلما رأوه سالما تابعوه.

وكذلك، لما أرادت قريش- أن تأخذوا الخشب للكعبة من السفينة المخربة في ميناء جدة وجدوا الرومي الذي فيها نجارا فقدموا به وبالخشب ليبنوا به البيت. فكانوا كلما أرادوا القرب منه لهدمه، بدت لهم حية فاتحة فاهاء فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغرز مخالبه فيها فألقاهما نحو أجياد.¹⁷ فهذه حفظا وتوفيقا من الله وحماية من عالم الغيب سبحانه وتعالى.

¹⁶ - ابن حجر، فتح الباري، ج: 7، ص: 227

¹⁷ - ابن حجر، فتح الباري، ج: 7، ص: 228

وكذا حينما اختصموا في وضع الحجر الأسود مكانه اختصاماً عظيماً حتى أعدوا كل قبيلة للقتال. فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ثم تعاقدواهم وبنو عدي بن كعب على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا 'لعقة الدم' فمكثت قريش على ذلك أربع ليالٍ أو خمساً ثم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا حتى قام أسنهم أبو أمية بن المغيرة المخزومي فقال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيملاً تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا أخيراً دخل محمد صلعم فأصلح بينهم رسول الله بحكمة بالغة فتبردت الأمور فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا.¹⁸ قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب عند بنيان الكعبة.

عجبتُ لما تصوبت العقاب	إلى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيح	وأحياناً يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى التأسيس شدت	تهيبنا البناء وقد نهاب...
فلما أن خشينا الزجر جاءت	عقاب تتلئب لها انصباب... الخ

7. كف الله أبرهة من كيده لحماية الكعبة:

بنى أبرهة الحبشي القليس للنجاشي وأراد وجنده لهدم الكعبة فلما وصلوا بمكة المكرمة فساق إليه مائتي بعير لعبد المطلب فقال عبد المطلب لهم: "والله ما نريد حرباً وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت

¹⁸ - ابن هشام، السيرة (مختصر)، ج: 1، ص: 199

إبراهيم الخليل عليه السلام، وحاجتي أن يرد الملك علي مائتي بعير أصابها
لي، وإني، أنا رب إبلي، وأن، للبيت رب، سيمنعه ويحميه". نعم هذه الكلمة قد
خرج من لسان عبد المطلب الصادق المسكين لأن العرب حينئذ أضعف
الضعفاء في الأرض بالنسبة إلى الحبشة والنجاشي والأبرهة وجنودهم وليس
لهم شوكة والجنود لا قبل لهم، وما عرفوا في حياتهم حربا على جند معهم
أفيال عظام فتوكلوا أمرهم إلى بارئهم وخالقهم رب هذا البيت فآمنوا بالله
العزیز بأن الله يكفي لأعداء الرب تعالى. فقال عبد المطلب لأهل مكة أكباد
الكعبة:

يا أهل مكة قد وافاكم ملك مع الفيول على أنيابها الزرد
هذا النجاشي قد سارت كتائبه مع- الليوث- عليها- البيض
تتقد

يريد كعبتكم والله مانعه كمنع تبع لما جاءها حرد
وأمرهم أن- تلحق- ببطون- الأودية- ورؤوس- الجبال- وقدم- الإبل- التي
استردها من أبرهة هدايا للكعبة ووقف بباب الكعبة وهو يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فاصنع منهم حماكا
إن عدوا البيت من عاداكا فامنعمهم أن يخبوا قراكا
ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش
يدعون الله عز- وجل- ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال- عبد المطلب
يذرف دمه ويتزلزل جسمه وعلا صوته واحمرت عينه وهو أخذ بحلقة

الكعبة فقال لله المتكبر الجبار العظيم:

يا رب أن المرء يم
نع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك
إن كنت تاركهم وقد
بلتنا فأمر بدا لك
ولئن فعلت فإنه
أمر يتم به فعالك¹⁹

وقال أيضا يتبرد بنفسه وأعلن في نشيدته:

نحن أهل الله في بلدته
لم يزل ذاك عهد إبراهيم
نعبد الله وفينا شيمة
صلة القربى وإيفاء الذمم
إن للبيت لربا مانعا
من يرده بأثام يصطدم

انظروا إيمان عبد المطلب والقريش- وأهل مكة بالبيت الله الحرام.
فأجاب الله دعوتهم فدمر الله أعدائهم وأعدائهم وأعداء الكعبة فأخذهم أخذ
عزیز- مقتدر. فأرسل عليهم طيرا- أبابيل- ترميهم بحجارة من- سجيل،
فجعلهم كعصف مأكول. سبحان الله هذه حماية رب العالمين وهذا الدعاء
منهم لحماية الكعبة المشرفة لإنقاذها الجبابرة والطغات الظالمين. وهذه
عبرة رائحة بصيرة لكل أعداء الله حتى يوم القيامة.

¹⁹19- المصدر السابق

الفصل الثاني بقاؤها بعد انتهاكات العدوان

1. الكعبة المشرفة والعدوان عليها

وقد ارتبطت الشريعة الاسلامية ببيت الله العتيق بمكة المكرمة، فحمى الله تعالى هذه الكعبة المعظمة من جميع انتهاكات العدوان عليها وأبقاها من الأحداث التي وقعت عليها منذ أن بنائها وتعميرها، وهي تقوم مع قدسيتها ومهابتها وشرفها بأعظم دفاع وتقدير نحو جميع التحديات عليها، وسوف تقوم ما شاء الله إلى أجل مسمى مقدورا عنده سبحانه، وكانت مكان أمن وهداية ومأوى للمؤمنين حتى يوم القيامة. كما جعل الله القرآن صالحا لكل زمان ومكان قاهرا بذلك كل المعاندين الذي طمس الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة، فجعل الله القرآن والبيت الحرام قياما للناس حتى تقف الدين والبشر والعالم.

1- تُبع وجنوده إلى الكعبة المعظمة

وُتبع هو تبار أسعد أبي كرب، هو ملك اليمن الذي تولى ملك اليمن بعد هلاك ربيعة بن نصر بن الحارث ملك اليمن قبل تُبع، وكان يدين بالوثنية وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق إلى المدينة فتوجه إلى مكة وهي طريقته إلى اليمن حتى إذا كان عسفان وأمج أتام نفر من هزيل بن مدركة (ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان) قالوا له: أيها الملك، ألا ندلك على بيت مال داثر غفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ

والزبرجد والياقوت والذهب والفضة. قال: بلى. قالوا: بيت مكة يعبد أهله ويصلون عنده، وإنما أراد الهذليون، هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراد من الملوك وبغى عنده. فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين من أحبار اليهود من بني قريظة عالمين راسخين فقالا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جنديك، ما نعلم بيتا لله عز وجل اتخذ في الأرض نفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا. قال: فماذا تأمراني أن أصنع إذا قدمت عليه؟ قالوا: تصنع عندهما يصنع أهله، تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذلل له حتى تخرج من عنده، قال: فما يمنعكم أنتم من ذلك؟ قالوا: أما والله أنه لبيت أبينا إبراهيم عليه السلام وأنه لكم أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله وبالدماء التي يهرقون عنده.

فعرف نصحهم وصدق حديثهما وقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم أتى إلى مكة فطاف بالبيت ونحر وحلق وأقام بها ستة أيام ينحر للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل وكسل الكعبة بالخصف ثم المعافر ثم بالماء والوصائل، فهو أول من كسل البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره، وأن لا يقربوه دملولا ميتة ولا مثلاتلا - وهي المحايض - وجعل له بابا ومفتاحا.²⁰

2- جيش أبرهة الأشرم وموقعة الفيل:

²⁰ - الشيخ عبد الله الغوابي - الصراع الرهيب حول البيت العتيق - الدار الفتية للنشر والتوزيع بالقاهرة، ص: 50-52

وأصحاب الفيل هم طغاة من الأحباش كانوا قد زحفوا على اليمن فاستعمروا أهلها ثم ما لبث قائلهم أبرهة أن تطلع إلى من نفوذه على الحجاز كعبة العرب فشرع يناوي مكانتها الدينية بإنشاء كعبة فخمة أملا أن تنصرف إليها أذهان العرب عن مكة. فلم تنجح فكرته وظلت الكعبة على قدسيتها في نظر العرب ولكنه أبى إلا أن يضع حداً عملياً لنهاية هذا التقديس. فجهز جيشاً عظيماً وسيره إلى مكة لهدم كعبتها فجعل الله كيدهم في نحورهم وتخسيرهم الله تدميراً مثيلاً للعالم كله. أملاً هذا العدوان على الكعبة المشرفة فقد حملها الله بأبلغ ما تكون به الحماية ودفع عنها بأشد ما يكون الدفاع وأعظمه كما قال تعالى عنه في سورة الفيل.

وقال عبد الله بن الزبيري:

كانت بها عاد وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

ومن أقوى الروايات عند المؤرخين أن دليل أبرهة إلى مكة كان من

ثقيف وهو 'أبورغال' فمات في الطريق فقبره يرحم - وقيل أن النبي صلعم

أمر بجرمه. كما قال جرير:

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال²¹

3- هدم الكعبة أيام عبد الله بن الزبير:

إن الحصين بن نمير السكوني لما قدم ومعه الجيش من قبل يزيد بن

معاوية لقتال ابن الزبير فجمع ابن الزبير أصحابه وتحصن بهم في المسجد

²¹ - الشيباني، محمد بن إبراهيم الشيباني / ضراب الكعبة، ص: 15-16

حول الكعبة ونصب فيه خياما يستظلون بها من الشمس.

وكان الحصين قد نصب المخنيق على الأخشيين وصار يرمي علي ابن الزبير وأصحابه فأصاب أحجار الكعبة، فوهنت لذلك وتخرقت كسوتها. ثم إن رجلا من أصحاب الزبير أوقد نارا في بعض تلك الخيام، والمسجد يومئذ صغير فهبّت ريح شديدة. والكعبة يومئذ مبنية من قبل قريش بمدمك خشب ساج ومدمك من حجر، فطارت شرارة من تلك النار، فاحترقت واحترق الساج الذي بين البناء فارداد التصدع وضعفت الجدران وتصدع الحجر الأسود.²² فاستشار ابن الزبير مع الناس ثم أمر بهدمه وبنى على قواعد إبراهيم الكعبة بناء قويا. كما أورده أحمد والنسائي وغيرها.

"فقال ابن الزبير: والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه فكيف أرقع بيت الله. واستقر رأيهم على هدمها رجاء أن يكون هو الذي يردها على قواعد الخليل عليه السلام لقوله صلعم لعائشة رضي الله عنها: لولا حادثة قومك بالكفر. لنقضت البيت فبنيت على أساس إبراهيم، وجعلت له خلفا، فإن قريشا لما بنت البيت استقصرت."²³

4- تبديل الكعبة بيد الحجاج بن يوسف الثقفي:

إن الحجاج بن يوسف الثقفي عامل مكة بعد محاصرة ابن الزبير وقتله كتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها بابا آخر، فاستأذنه في رد ذلك على ما كان عليه في

²² المصدر السابق، ص: 16
²³ أحمد، النسائي، الألباني في صحيح الجامع مع الصغير

الجاهلية. فكتب إليه عبد الملك أن يسد بابها الغربي، ويهدم ما زاد فيها ابن الزبير من الحجر ويكبسها على ما كانت عليه، ففعل الحجاج ذلك وبنى الكعبة في الجدار الذي من جهة الحجر. والباب الغربي المسدد وفي ظهر الكعبة عند الركن اليماني. وما تحت عقبة الباب الشرقي وهو أربعة أذرع وشبر على ما ذكره الأزرقى، وترك بقية الكعبة على ابن الزبير وكان ذلك في سنة 74 من الهجرة على ما ذكره ابن الأثير.²⁴

" قال أبو أويس: فأخبرني غير واحد من أهل العلم: أن عبد الملك بن مروان ندم على إذنه للحجاج بن يوسف الثقفي في هدم الكعبة ولعن الحجاج"²⁵

عن أمير المؤمنين هارون الرشيد، أو أبيه المهدي: أنه سأل الإمام مالك عن هدم الكعبة، وردّها إلى ما فعله ابن الزبير فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك، لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها، فتركه الرشيد، نقله عياض والنووي.²⁶

5- أفعال القرامطة بالكعبة المعظمة

إن أبل طاهر سليمان بن أبي سعد - أمير القرامطة - دخل مكة المكرمة فقتل من الحجاج كثيراً، وكانوا يفرون بأستار الكعبة فلا يجزي ذلك عنهم ويقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف، وقد كان بعض أهل الحديث يومئذ يطوف، فلما قضى طوافه أخذته السيوف فلما سقط إلى الأرض

²⁴24- با سلامة، حسين عبد الله باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة، ص: 125

²⁵25- المرجع السابق، ص: 126

²⁶26- المرجع السابق، ص: 127

أنشد وهو كذلك:

ترى المحبين صرعى في ديارهم لفتية الكهف لا يدرون ما لبثوا²⁷
ثم أمر القرمطي - لعنه الله - أن تدفن القتلى ببئر زمزم فدفنوا بها
ودفن كثير منهم في أماكنهم في أزقة مكة وشعابها حتى في المسجد الحرام،
ويل حبذا تلك القتلة وتلك الضحية. ولم يغسلوا ولم يكفونوا ولم يصل عليهم
لأنهم شهداء في نفس الأمر وهدم القرمطي قبة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة
ونزع كسوتها عنها وفرقها بين أصحابه وأمر رجلا أن يصعد على ميزاب
الكعبة، فأراد ذلك الرجل أن يقتلعه من موضعه. فسقط على رأسه فمات،
فانكف القرمطي الملعون عند ذلك الميزاب.

ثم أمر بقلع حجر الأسود وجاءه رجل بمقتل في يده وقال: أين الطير
الأبائيل؟! أين الحجارة من سجيل؟! ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه حين
رجعوا إلى بلادهم: فأقام عندهم اثنين وعشرين سنة.

ولما رجع القرمطي إلى بلاده تبعه أمير مكة وهو ومن معه من جنده،
وسأله وتشفع إليه في أن يرد الحجر ليوضع مكانه، وبذل له جميع ما عنده
من الأموال فلم يفعل فقاتله أمير مكة. فقتله القرمطي وقتل أكثر جنده
واستمر راجعاً إلى بلاده. ثم إن الحاكم التركي 'القائم بأمر الله' هو الذي
استنقذ الحجر الأسود من أيدي القرامطة وافتداه منهم 50 ألف دينار بذلها
حتى رده إلى مكة.²⁸

²⁷27- البداية والنهاية لابن كثير، ج: 11، ص: 160
²⁸28- الشيباني - خراب الكعبة، ص: 67-68

وذكر- أن القرمطي- لما أخذ الحجر- الأسود حمله على- عدة جمال
فعطب منهم- ولما رده إلى- مكة حملوه على- بعير- واحد- ولم يصب ذلك
البعير- شيء- وربما يكون- إنما لم يمنع الله القرامطة من ذلك لأن الدعوة قد
تمت وكلمة العذاب حقت- وبلغت- والبرهان- قد قام- والرسول- قد تصرموا
وانقضى مجيئهم، وجاءت أمارات الساعة، وهذا من أمارتها، وقد وعدهم النبي
صلعم بنقض الكعبة وهدمها ومنع الحجر وقطع السلوك في البرية.²⁹

6- سراق كنز الكعبة:

يقول- الأزرقى- في أخبار- مكة: لما طالبت ولاية جرهم- استحلوا من
الحرم أموراً عظيمة ونالوا ما لم يكونوا ينالون، واستخفوا بحرمة الحرم وأكلوا
مال- الكعبة الذي يهدي إليها سراراً وعلانية. فلما رأى مضا- بن عمرو بن
الحارث بن مضا- ما تعمل جرهم في الحرم- وما تسرق من مال- الكعبة
سراراً وعلانية عمدوا إلى غزاليين كانوا في الكعبة من ذهب. وأسياف قلعية
فدفنها في موضع بئر زمزم.

ويقول إبراهيم الحربي في كتابه 'المناسك': كان البيت يكرم على
وجه الدهر- ويهدي له، فحفرت قريش- في جوفه حفيرة يجعلون هداياهم في
تلك البئر- يرتضون- رجلاً فيجعلونه على تلك البئر- فبينما الرجل الذي
ارتضوه عليها فسولت نفسه خيانة، فلما انقطعت الظلال- وخفت المجالس
بسط ثوبه ثم أخذ منها ثلاثة مرار، يحمله في ثوبه فقيض- الله عليه منها

²⁹ - الشيباني، خراب الكعبة، ص: 67

حجرا في الثالثة فحبسه محنيل رأسه أسفله فراح الناس فأخرجوه وأعادوا إليها ما كان أخذ منها.³⁰

وكذلك في مر العصور وقعت سرقة خزائن الكعبة من الأموال مرارا، كما في خلافة 'المستعين بالله' عام 250 هـ فقد نهب ما في خزائن الكعبة، وكذا في خلافة المعتمد فنهب ما في المسجد الحرام ومنع الناس من الخروج فظلوا محصورين لا يجسرون على الخروج مدة أربعة أسابيع وكذا في عام 279 بقيادة الأفضس (الحسين بن الحسن بن علي) دخلها يوم التروية مساء وذهب إلى الكعبة وجرد خزانتها مما فيها من الأموال وقسمها في جيشه ورأى أن الكعبة لا حاجة لها في أموال مجمدة تفتقر إليها الجيوش المحاربة في سبيل الإسلام في رأيه، وكذلك في سنة 587 هـ كان أمير مكة داود بن عيسى أخذ أموال الكعبة حتى انتزع طوقا من فضة كان على دائرة الحجر الأسود. هذه كلها من عداوة على الكعبة المعظمة.

2. أخبار الرسول صلعم عن طغيان على الكعبة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلعم يغزو جيش الكعبة فإذا بببباء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم، (متفق عليه)

عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلعم قال: اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة (أبو داود)

قد يعد من علامات الساعة الكبرى التي ستحدث في آخر الزمان

³⁰ - الشيباني، خراب الكعبة، ص: 30-31

هدم الكعبة المشرفة، واستخراج كنزها.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلعم كأي أنظر إليه أسود أفحج يهدمها حجرا حجرا (البخاري - وأحمد)

عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله يقول: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها، ولكأي أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب بمساحته ومعوله.. (أحمد)

عن علي بن أبي طالب: استكثروا من الطواف قبل أن يحال بينكم وبينه فكأي برجل من الحبشة أصلع وأصمغ حمش الساقين قاعد عليها وهي تهدم" (الحاكم).

يقول ابن حجر في الفتح الباري - باب هدم الكعبة -: إن فيه إشارة إلى أن غزو الكعبة سيقع؛ فمرة يهلكهم الله قبل الوصول إليها وأخرى يمكنهم. والظاهر أن غزو الذين يخربونه متأخر عن الأولين.³¹

على أنه يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول: الله الله. كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.³²

³¹ ابن حجر، فتح الباري، كتاب الحج، باب هدم الكعبة
³² مسلم حديث، رقم: 148، والترمذي، وأحمد

الفصل الثالث كسوة الكعبة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم

إن تاريخ كسوة الكعبة جزء لا يتجزأ من تاريخ الكعبة نفسها، والإهتمام بكسوة الكعبة يعظم مدى اهتمام المسلمين بها وتقديسها وتشريفها ويبين مكانتها الرفيعة في نفوسهم، ولا تزال إكرامهم عليها تترى في قلوبهم منذ أربعة آلاف سنة حتى يومنا هذا.

1. الكسوة قبل الإسلام

قال محمد ابن اسحاق: بلغني عن غير واحد من أهل العلم "أن أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تُبع - وهو أسعد الحميري - أري في النوم أنه يكسوها فكساها الأنطاع³³ ثم أري أن يكسوها فكساها الوصائل³⁴ ثياب حبرة³⁵ من عصب اليمن، وبعد تُبع كساها كثيرون في الجاهلية. وكان ذلك يعتبر واجباً دينياً وكان مباحاً لمن أراد أن يكسو الكعبة متى شاء ومن أي نوع شاء وكانت الكعبة تكسى بأنواع مختلفة من الكسى منها الخصف، والمعافر، والملاء، والوصائل، والعصب³⁶.

وكانت الكسى توضع على الكعبة فوق بعض فإذا ثقلت أو بليت أزيلت عنها وقسمت أو دفنت.

وكانت قريش في الجاهلية تُرأفد في كسوة الكعبة فيضربون ذلك على

³³ الأنطاع: جمع نطع وهو بساط من الأديم أي الجلد

³⁴ الوصائل: ثياب حمر مخططة يمانية

³⁵ الحبرة: ما كان من البرود مخططاً

³⁶ الأزرقى: أخبار مكة، 1/247

القبائل بقدر احتمالها من عهد قصي بن كلاب، حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان يختلف إلى اليمن يتجربها فأثرى في المال. فقال لقريش: أنأ أكسو وحدى الكعبة، وجميع قريش سنة، فكان يفعل ذلك حتى مات؛ يأتي بالحبرة الجيدة من الجند³⁷ فيكسوها الكعبة. فسمته قريش العدل، لأن فعله عدل بفعل قريش كلها، فسموه العدل ويقال لولده: بنو العدل.³⁸ وأول عربية كست الكعبة الحرير والديباج: نثيلة بنت جناب - أم العباس بن عبد المطلب.

2. كسوة الكعبة في الإسلام

لم يكس رسول الله صلعم وصحابته الكعبة قبل الفتح، لأن الكفار ما كانوا يسمحون بذلك، وعندما تم فتح مكة لم يغير رسول الله صلعم كسوة الكعبة حتى احترقت على يد امرأة تريد تبخيرها، فكساها الثياب اليمانية، ثم كساها أبوبكر وعمر وعثمان رضي الله عنهما القباطي من مصر.

وثبت أن معاوية بن أبي سفيان كان يكسو الكعبة مرتين سنويا، بالديباج يوم عاشوراء، وبالقباطي في آخر شهر رمضان، ثم كساها يزيد بن معاوية وابن الزبير وعبد الملك بن مروان بالديباج. وكانت الكعبة تكسى في كل سنة - كسوتين - الديباج والقباطي - أمل الديباج فتكساها يوم التروية فيعلق القميص، وأمل الإزار، وهو من الديباج أيضا فيعلق يوم عاشوراء بعد ذهاب الحج، لئلا يحرقوه، ولا تزال كسوة الديباج عليها إلى يوم سبع

³⁷ - بلدان اليمن
³⁸ - الأزرق، أخبار مكة، ص: 1/249

وعشرين من رمضان فتكسى القباطي للخطر.

وفي عهد المأمون أصبحت الكعبة تكسى ثلاث كسى: الديباج الأحمر يوم التروية، والقباطي يوم هلال رجب، والديباج الأبيض يوم 27 من رمضان. ولم يعرف المأمون أن الديباج ينخرق أيام الحج جعل كسوة رابعة بيضاء يوم التروية. ثم كساها الناصر العباس ثوباً أخضر ثم ثوباً أسود ومنذ ذلك اليوم احتفظ باللون الأسود.

وأول من كسا الكعبة من الملوك بعد انقضاء دولة بني العباس الملك المظفر صاحب اليمن سنة 659 هـ واستمر يكسوها عدة سنين مع ملوك مصر. وأول حاكم مصري سعى إلى كسوتها بعد العباسيين الملك الظاهر بيبرس البندقداري سنة 661 هـ وفي عام 701 هـ أوقف الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر وقفاً خاصاً لكسوة الكعبة: الخارجية السوداء مرة كل سنة وكسوة خضراء للحجرة النبوية الشريفة مرة كل خمس سنوات، ولكن الخديوي 'محمد علي' حل ذلك الوقف في أوائل القرن الثالث عشر الهجري. وأصبحت الكسوة تصنع على نفقة الحكومة. اختصت تركيا ومن يتولى السلطة من آل عثمان بكسوة الكعبة الداخلية.

وفي عام 810 هـ أحدثت الستارة المنقوشة التي توضع على واجهة الكعبة، وهي المسماة 'البرقع' ثم انقطعت ما بين سنتي 816 هـ و 818 هـ

ثم استؤنفت عام 819 هـ حتى الآن.³⁹

³⁹ - المباركفوري، تاريخ مكة المكرمة، ص: 42-45

3. الكسوة عند الشعراء:

أسعد الحميري أنشد عن كسوة الكعبة حين كساها:

وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء معضدا وبرودا
فأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه إقليدا
ونحرننا بالشعب ستة ألف فترى الناس نحوهن وُرودا
وخرجنا منه نؤم سهيلا قد رفعنا لواءنا معقودا⁴⁰

ولمهلهل الدمياطي الشاعر في سواد كسوة الكعبة والقفل:

يروق لي منظر البيت العتيق إذا بدا
كأن حليتها السوداء قد نُسجت
من حبة القلب أو من أسود المُقل⁴¹

4. كسوة الكعبة في العهد السعودي

اهتم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود برعاية الحرمين الشريفين. انطلاقاً من هذا الاهتمام أمر الملك سعود بن عبد العزيز بإنشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة المعظمة في مكة المكرمة. وتم توفير كل ما يحتاج إليه العمل.

ورغبة في إتقان العمل وإظهاره بالصورة التي تتلائم مع قدسية الكعبة المشرفة صدر أمر جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود عام 1382 هـ بتجديد مصنع الكسوة وفي عام 1397 هـ تم افتتاح

⁴⁰ - الأزرقى - أخبار مكة، ج: 1، ص: 247
⁴¹ - شفاء الغرام، أبو الطيب الفاسي، ج: 1، ص: 200

المبنى الجديد 'بأم الجواد' في مكة المكرمة، وزود بآلات حديثة لتحضير النسيج، وأحدث قسم النسيج الآلي مع الإبقاء على أسلوب الإنتاج اليدوي، لما له من قيمة فنية عالية. وما زال المصنع يواكب عجلة التطور، ويحافظ على التراث اليدوي العريق، ينتج كسوة الكعبة في أبهى صورها.⁴²

⁴² - المباركفوري، تاريخ مكة المكرمة، ص: 46، 47

الفصل الرابع سدانة الكعبة عبر التاريخ

1. سدانة الكعبة المعظمة قبل الإسلام:

السدانة أو الحجابة هي خدمة البيت الحرام (الكعبة) وحجابه، والسدنة يقومون بفتح الكعبة وغلقها، وتعرف أيضا بالحجبة لأنهم يحجبون الكعبة عن العامة، وظاهر هذه الوظيفة أنها دينية، ولكن متولي هذه الوظيفة يشترك مع عشيرته بتدبير الشؤون الاجتماعية. وهذا عند القوم بالنسبة إلى الكعبة من أهم الأمور العامة.

2. السدانة بعد بناء إبراهيم عليه السلام:

كانت سدانة الكعبة المعظمة بعد بناء إبراهيم الخليل عليه السلام إياها بيد ابنه إسماعيل عليه السلام ثم بعد وفاته صارت لولده نابت بن إسماعيل إلى أن اغتصبها من ولده أخواله جرهم. ومكثت السدانة لديهم عدة قرون إلى أن اغتصبها منهم خزاعة ومكثت عندهم عدة قرون حتى آل أمر مكة والكعبة إلى قصي على أن يقسم أمور مكة السنة التي فيها الذكر والشرف والعزبين ابني قصي. فأعطى عبد الدار السدانة والندوة واللواء، وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة.⁴³

ثم استرجعها من خزاعة بعد حرب دامية، ثم صارت إجماعا ثم صارت في بني عبد الدار جاهلية وإسلاما إلى أن آل أمر السدانة إلى شيبة بن عثمان بن طلحة، ثم إلى أولاده حتى العصر الحاضر يتوارثونها كابرا عن

⁴³ - با سلامة، حسين بن عبد الله با سلامة (مختصر كلامه)، تاريخ الكعبة المعظمة

كابره. قال مضاض بن عمرو الجرهمي في العمارة والسدانة لبيت الله الحرام
فأنشد:

فنحن عمرنا البيت كنا ولاته نحامي عنه من أتانا وندفع
وما كان يبغني أن يلي ذاك غيرنا ولم يك حي قبلنا ثم يمنع

3. السدانة في الإسلام:

وأما خبر سدانة الكعبة المعظمة في الإسلام وإعطاء رسول الله صلعم المفتاح لعثمان بن طلحة وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة فقد ورد ذلك مفصلاً في كتب التفسير والحديث والسير والتاريخ وغيرها، فروى ابن سعد في الطبقات عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس. فأقبل النبي صلعم يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس. فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال: يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت. فقلت: لقد هلكت قریش يوماً وذلت. قال: بل عمرت وعزت يوماً. ودخل الكعبة فوقعت كلمة مني موقعا ظننت يوماً أن الأمر سيصير إلى ما قال. فلما كان يوم الفتح قال: يا عثمان، ائتني بالمفتاح، فأتيته به فاخذه مني، ثم دفعه إلي وقال: خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان: إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف. قال: فلما وليت ناداني فرجعت إليه فقال: ألم يكن الذي قلت لك؟ قال: فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت. قلت: بلى: أشهد أنك رسول الله.⁴⁴

⁴⁴44- باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة، ص: 382

وقال ابن عباس رضي الله عنه لما طلب رسول الله صلعم المفتاح من عثمان فهم أن يناوله إياه فقال له العباس رضي الله عنه بأبي أنت وأمي، اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة أن يعطيه العباس بن عبدالمطلب. فقال النبي صلعم 'هات المفتاح' فأعاد العباس قوله وكف عثمان فقال النبي صلعم: أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر. فقال: هاك يا رسول الله، بأمانة الله، فأخذ المفتاح، وفتح البيت فنزل جبريل عليه السلام- "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها"⁴⁵ ثم لم يزل عثمان يلي فتح البيت إلى أن توفي، فدفع ذلك إلى شيبه بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عمه، فبقيت الحجابة في ولد شيبه.⁴⁶

لما نزل رسول الله صلعم بمكة يوم الفتح قام على باب الكعبة فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعي فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج.⁴⁷

وعن عمر بن الخطاب يقول لقريش:

إنه كان ولا تهاونوا بهذا البيت قبلكم طسم، فاستخفوا بحقه واستحلوا حرمة فاهلكهم الله، ثم وليته بعدهم جرهم فاستخفوا بحقه واستحلوا حرمة فاهلكهم الله فلا تهاونوا به وعظموا حرمة.⁴⁸ وقال ابن كثير في تفسيره⁴⁹

⁴⁵ سورة النساء: 53

⁴⁶ المباركفوري، تاريخ مكة المكرمة، ص: 39، 40

⁴⁷ ابن هشام، السيرة، ج: 2، ص: 412

⁴⁸ البيهقي في الدلائل، 2/49

⁴⁹ ابن كثير، ج: 1، ص: 516

عن سبب رد رسول الله صلعم مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة وأن ذلك كان بأمر الله.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: أن النبي صلعم دفع مفتاح الكعبة

إلى

عثمان بن طلحة فقال: خذوها خالدة مخلدة، إني لم أدفعها إليكم، ولكن الله دفعها إليكم، ولا ينزعها منك إلا ظالم.⁵⁰

قد ذكر بعض المؤرخين والفقهاء: أن تقديم السدانة لأكبرهم سنا من فعله صلعم لأنه دفع المفتاح يوم الفتح عثمان لأنه أكبرهم سنا مع وجود شيبة بن عثمان بن أبي طلحة. فلما هاجر عثمان إلى المدينة المنور قد دفع المفتاح إلى ابن عمه شيبة. فلما رجع عثمان مكة أخذ المفتاح منه وبقي في يده إلى أن مات سنة 42 هـ فتولى السدانة بعده ابن عمه شيبة إلى أن توفي سنة 59 هـ.⁵¹

قال الحافظ البغوي في تفسيره: وكان المفتاح معه - يعني عثمان - فلما مات دفعه إلى ابن أخيه شيبة، فالمفتاح والسدانة في أولادهم إلى يوم القيامة.⁵² وتوفي البغوي سنة 516 هـ. فقال أحمد القلقشندي هم حجة الكعبة المعروفون ببني شيبة إلى الآن، ثم قال: بعد قصة عثمان بن طلحة:

⁵⁰50- فتح الباري، ج: 8، ص: 333
⁵¹51- الكازروني، منصور بن الحسن بن علي، السخاوي، في الضوء اللامع، 10/170
⁵²52- البغوي، معالم التنزيل، ج: 1، ص: 457

فردها النبي صلعم على عثمان وجعلها في عقبته إلى يوم القيامة وعاش⁵³
إلى بعد سنة 721 هـ.

في الجملة فلا يشرك مع السدانة أحد حتى يومنا هذا، فيُعلم أن النبي
صلعم قد صرح ببقاء نسل بن أبي طلحة إلى يوم القيامة كأنه معجزة خالدة
للنبي صلعم، لأن سدانة الكعبة من أجل وأعظم الوظائف التي يتنافس
المتنافسون عليها بل أشد المتنافسين عليها هم الملوك والسلاطين. وقد
جُعل في هذا العصر مسكنا لرئيس السدنة على لوحة مكتوبة بخط بديع بماء
الذهب ونسب سدنة الكعبة إلى آل الشيبى قد ابتدأت هذه السلسلة من
صاحب الفضيلة الشيخ عبد القادر بن علي الشيبى المتوفى سنة 1301 هـ
وقد نسب هذه السلسلة إلى قصي بن كلاب القرشي.

4. سدانة الكعبة في العصر الحاضر:

فهؤلاء السدنة آل شيبه بن عثمان بن أبي طلحة الحجبي، المثبوت
نسبهم، المعروفون عند أهل مكة خاصة وعند المسلمين عامة بأنهم سدنة
الكعبة جاهلية وإسلاما من عهد عبد الدار بن قصي إلى عهد شيبه ابن
عثمان إلى هذا العصر، وهم لا يزالون أصحاب وجاهة في هذا العصر عند
عموم الملوك والسلاطين والأمراء. وبالأخص عند كل من تولى خدمة
الحرمين الشريفين أو إمارة مكة المكرمة وعند عموم المسلمين ببقاء آل
شيبه وخلود سدانة الكعبة بأيديهم وعدم نزعها منهم وإسنادها إلى غيرهم

⁵³53- القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، سنة 821/ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب

طيلة هذه القرون من عهد رسول الله صلعم والخلفاء الراشدين-المهديين وخلفاء بني أمية وعبد الله بن الزبير- وخلفاء بني العباس- والفاطميين-وملوك الجراكسة وسلاطين آل عثمان- وأمراء مكة من الأشراف من عهد الشريف قتادة، وأبي ندى إلى ملك الشريف الحسين بن علي- وحكم الملك سعود الأول إلى جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود في العصر الحاضر.⁵⁴ ثم بقي الأمر إلى الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود الذي هو معروف بخادم الحرمين الشريفين ثم إلى الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود.

الفصل الخامس الكعبة المشرفة - نظرة عامة

1. الكعبة المعظمة ومعالم الأثرية حولها:

- الكعبة المعظمة أول بيت الله في الأرض- وضعه للناس لعبادة الرحمن.
- هي تقع في مكة المكرمة في الحرم الشريف بالمملكة العربية السعودية.
- الحرم الشريف أطهر بقاع الأرض وأعظم وأجمل معبد في الدنيا.
- إن هيئته أصبحت اليوم أبداع منظر معماري تقع عليه العين.
- الحرم الجليل- حول- بضع قطع من الحجارة السوداء في الركن الشرقي من مبنى الكعبة.
- مبنى الكعبة حجرة واحدة تقوم على قاعدة رخامية تسمى 'شاذوران' ارتفاعها 25 سنتيمتر.

⁵⁴54- با سلامة، تاريخ الكعبة المعظمة، ص: 414، 415

- هي غرفة غير منتظمة الإنشاء فإن جدرانها ليست متساوية في الطول أو العرض.
- لأن الذين بنوها قديما لم يعرفوا علم الهندسة والإنشاء فبنوها غير منتظمة وهيئة.
- فالذين جددوها طوال العصور باعتماد أن اللاملا يريد تغيير هيئة الكعبة.
- فبنوها على قواعد عتيقة وشكل قديم بدون تغيير مذكور.
- ومبنى الكعبة ليس مربعا سويا بل هو مستطيل.
- الجدار الشمال الشرقي وفيه باب الكعبة وطوله 12 متر والجدار المقابل كذلك.
- أما الجداران الآخران فطول كل منهما. أمتار: وارتفاع الكعبة 15 مترا.
- هي مبنية من حجارة سمراء من الجبال المحيطة بمكة المكرمة.
- يضيفها الجمال هو الكسوة، هي غطاء أسود من القطيفة من أجود نوع عالمي.
- الكسوة مزينة بحزام من الآيات القرآنية المكتوبة بالذهب.
- تحت هذا الحزام مستطيلان فيهما آيات قرآنية مكتوبة بالذهب.
- هذه الكسوة تعطي الكعبة ذلك الجمال العالمي والصورة الجلابة لقلوب الخلائق.
- والطواف حول الكعبة المشرفة عبادة محظية لله وحده.
- أن الكعبة أعجب مبنى ديني في الدنيا والطواف حولها أساس في الحج والعمرة.
- الكعبة قبلت مسلمي العالم كله يتجهون إليها من مشارق الأرض ومغاربها خمس مرات يوميا.
- فهي رمز إلهي لوحدية المسلمين تدور حول توحيد الله الواحد

سبحانه.

- الحاج والمعتمر يفيض قلبه إليها بالحب والنور.
 - والكعبة عند المسلمين مصدر النور كله.
 - والكعبة موقع أمن وسلام ووحدرة وإيمان ومأوى وهدى.
- ميزاب الكعبة:** أول من وضع الميزاب للكعبة قريش حين بنتها سنة 35 هـ من ولادة النبي صلعم حيث كانت قبل ذلك بلا سقف، ثم لما بناها عبد الله بن الزبير وضع لها ميزابا وجعل مصب الماء على حجر إسماعيل كما فعلت قريش، ثم وضع حجاج بن يوسف الميزاب من جهة الشمالية. وكان طوله أربعة أذرع وسعته ثمانية أصابع في ارتفاع مثلها، والميزاب ملبس صفائح ذهب داخله وخارجه، وكان الذي جعل عليه الذهب الوليد بن عبد الملك.
- وأما في الأحاديث الواردة التي رويت عن استجابة دعاء المرء في الميزاب، والخروج من الذنوب ليوم ولدته أمه فهي ضعيفة ولم يسند إلى رسول الله صلعم أو إلى أحد من الصحابة أو إلى روايات الثقات والله أعلم.
- وقد وقع تغيير وتبديل في ميزاب الكعبة بسببين أحدهما: كان إذا اعتراه خراب عمل غيره، والثاني كان بعض الملوك والأغنياء يهدي للكعبة ميزابا فيركب وينزع الذي قبله. هكذا ركب ونزع في سنة 541 هـ وفي سنة 781 هـ وفي سنة 959 هـ وفي 1020 هـ وفي سنة 1091 هـ أخيرا ركب ميزاب جديد في عهد السلطان عبد المجيد خان وهو مصفح بالذهب نحو خمسين رطلا بحسب التخمين. هذا الميزاب هو الموجود في الكعبة إلى العصر الحاضر.

باب الكعبة: اختلفت الرواة في أول من عمل للكعبة باباً فقيل أول من جعل لها باباً "أنوش بن شيث بن آدم". وقيل أن جرهما جعلوا له مصراعين وقفلاً. وقيل إنه كان تبع الثالث جعل له باباً ومفتاحاً ثم جعل قريش جعلت لها باباً بمصراعين. وأن الحجاج بن يوسف رفع باب الكعبة عما كان عليه في زمن ابن الزبير، ثم خليفة الأمين بن هارون الرشيد قلع ما كان على الباب من الصفايح وزاد عليها الصفايح والمسامير وحلقتي باب الكعبة وعلى الفياريذ والعتب، وبعث المعتصم بالله العباسي للكعبة بقفل فيه ألف دينار، وعمل الوزير جمال الدين محمد الجواد في سنة 550 هـ باباً للكعبة وكتب عليه اسم الخليفة المقتدي لأمر الله مصفحاً بالنقرة المذهبة، وعمل المقتدي لنفسه من الخشب الأول تابوتاً ليدفن فيه إذا مات وحمل فيه إلى المدينة ودفن بهاء والباب الأخير الذي عمله السلطان مراد خان هو الباب الموجود على الكعبة إلى عصر الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود. فأمر بصنع بابين جديدين للكعبة أحدهما باب الخارجي وثانيهما باب التوبة داخل الكعبة والموصل للدرج على أن يكون من الذهب الخالص وقام بكتابة الآيات والعبارات على الباب مع الزخارف والطرز الإسلامي الأصيل ذلك في سنة 1399 هـ.

2. الأماكن المقدسة حول الكعبة المعظمة

جبل حراء: إن جبل أبا قبيس المشهور وأنه أفضل جبال مكة حتى إن فضلته على حراء بأسباب، ثم بالفضيلة جبل حراء الذي نزل الوحي من السماء

على النبي صلعم في غار فيه يسمى 'حراء' وقد كان عاود رسول الله صلعم إليه ويأتيه فيتعبد أياما طويلا فيه حتى فاجأه الحق وهو بغار حراء فجاء الملك وألقى إليه وحي الله. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله صلعم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان النبي صلعم لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء فكان صلعم يخلو بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها.⁵⁵

هو يقوم بأعلى مكة لكثرة مجاورة النبي صلعم فيه، وهذا الغار بأعلى حراء في مؤخره ويقصد الناس بالزيارة إليه لأنه من معالم أثرية تاريخية. وذكر أبو عبيد البكري: إن حراء مشهور بينه وبين مكة ميل ونصف، وهو جبل صعب المرتقي لا يُصعد إلى أعلاه إلا من موضع واحد على رصفة ملساء. وهو في جميع جوانبه منقطع لا يرقاه راق والموضع الذي نزل جبريل فيه في أعلاه من مؤخره في شق مبارك⁵⁶

وكانت أهل الجاهلية تعظمه وتذكره في أشعارها فمن ذلك قول أبي طالب عن النبي صلعم قال:

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه
وراق ليرقى في حراء ونازل
وعن أبي هريرة رضي الله قال: أن النبي صلعم كان على صخرة بحراء هو وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم

⁵⁵55- البخاري، ج: 3، أحمد، 6/232
⁵⁶56- شفاء الغرام، تقي القاسي، ج: 1، ص: 448

فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلعم: اهدأ فلما عليك إلا نبي أو صديق أو

شهيد.⁵⁷

جبل ثور: وهو بأسفل مكة من الكعبة بثلاثة أميال وقد اختفى النبي صلعم

وأبوبكر فيه حين هاجرا إلى المدينة وذلك في غار مشهور فيه وهو الغار

الذي ذكره الله تعالى: "ثاني اثنين إذ هما في الغار" (التوبة: 40)

في عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم

هارب بصحبة صديقه أبي بكر الصديق فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع

الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم سار نحو المدينة فجعل أبوبكر يجزع أن

يطلع عليهم أحد فيخلص إلى رسول الله صلعم منهم أذى فجعل النبي

صلعم يسكنه ويثبتته ويقول: يا أبابكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما.⁵⁸

فعن أنس أن أبابكر حدثه قال: كنت مع النبي صلعم في الغار فرأيت

آثار المشركين. قلت: يا رسول الله لو أن أحدكم رفع قدمه رآنا قال: ما

ظنك باثنين الله ثالثهما.⁵⁹

يؤثره السلف والخلف هذا الجبل لأنه معالم أثرية تاريخية في نشأة

الاسلام وانتقاله إلى الحركة الجديدة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة،

وطوله ثمانية عشر شبرا وطول فمه الضيق خمسة أشبار. وسعته وارتفاعه

عن الأرض مقدار شبر في الوسط منه ومن جانبيه ثلثا شبر وعلى الوسط منه

⁵⁷57- مسلم، 2417، أحمد، 2/419

⁵⁸58- البخاري، 3653

⁵⁹59- البخاري، 4663

يكون الدخول وسعة الباب الثاني المتسع في مدخله خمسة أشبار.⁶⁰

وقد وضع بابه في عصرنا. لأن بعض الناس ولج فيه فانحبس فيه فنحى عنه الحجر حتى اتسع عليه.

جبل ثبير: ومن الجبال المباركة بحرم مكة قرب الكعبة جبل ثبير كما قال الأزرقى في أخبار مكة: جبل ثبير بمكة قرب منى يقصده الزوار وهو الذي أهبط عليه الكبش الذي جعله الله فداء لإسماعيل عليه السلام، والعرب يقولون: أشرق ثبير كيما نغير.⁶¹ والنبى صلعم أحيانا كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة كما يتحنث في جبل حراء. ولهذا جاورت به عائشة أم المؤمنين، فيعرف هذا الموضع بصخرة عائشة.⁶²

غار المرسلات ومسجد الخيف: هو من المساجد التي ثبت لها الفضل في بعض الأحاديث والآثار، وهن الجبل الذي يلحق مسجد الخيف لأن فيه غارا يقال له غار 'المرسلات' وفيه أثر رأس النبي صلعم وقربا منه على يمين المار في الطريق حجر كبير مسند إلى سفح الجبل مرتفع على الأرض، يظل ما تحته، 'ذكر أن النبي صلعم قعد تحته مستظلا، ومس المكرمة فيه، فلان الحجر حتى أثر فيه تأثيرا بقدر دورة الرأس، فتبادر الناس بوضع رؤوسهم في هذا الموضع تبركا واستجارة لها بموضع رأس الكريم أن لا يمسه النار برحمة

⁶⁰ - تقي القاسي، شفاء الغرام، ص: 449
⁶¹ - القزويني، عجائب المخلوقات، ص: 127
⁶² - تقي القاسي، شفاء الغرام، ص: 451

صلى رسول الله صلعم في مسجد الخيف في حجته، وكان صحابة رسول الله صلعم يعرفون لهذا المسجد فضله، ويذكرونه بخير كثير ويحضون الناس على الصلاة فيه أثناء أداء المناسك. وفي الحديث المرفوع عن ابن عباس: قال: صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا.⁶⁴

وكذلك يستحب أن يزور مسجد المرسلات وفيه نزلت سورة المرسلات للرسول صلعم وهو يماني مسجد الخيف عن عبد الله بن مسعود قال: بيننا نحن مع النبي صلعم في غار بمنى إذ نزلت عليه " والمرسلات عرفا " وأنه ليتهاها. وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها. إذ وثب علينا حية فقال النبي صلعم: اقتلوها. فابتدرناها فذهبت فقال النبي صلعم: وقيت شركم كمل وقيتم شرها.⁶⁵ هذا الغار مشهور بمنى مسجد الخيف نحو الجبل.

منى: هو الموضع الذي يؤمر الحاج بنزوله والإقامة به حتى تطلع الشمس على ثبير في يوم عرفة وفي يوم النحر وفيما بعده من أيام التشريق والمبيت به، وفيه يرمي الحاج الجمار يعمر أيام الموسم ويخلو بقية السنة إلا ممن يسكنها.

وحدود منى ما بين قرى وادي مُحسر إلى العقبة التي عندها الجمره الدنيا إلى مكة، وهي جمره العقبة التي بايع رسول الله صلعم الأنصار عندها؛

⁶³ ابن الزبير، رحلة ابن الزبير، ص: 138
⁶⁴ مجمع الزوائد، 3/297، صحيح الألباني في المناسك، ج: 39
⁶⁵ البخاري، 4/29، في الحج باب ما يقتل من الدواب

ومن فضائل منى أن بها مسجد الخيف ومسجد المرسلات وغار جبل المرسلات وأنزل الله الكباش على إبراهيم في منى فداء لإبنيه بهاء والموضع المستجاب الدعاء والموضع المقدس لضيوف الرحمن في أيام الحرم وجوار الكعبة المعظمة.

عرفة: تسمى عرفات، والوقوف بعرفة ركن من أركان الحج ومن لم يقف العرفة فات له الحج بقوله صلعم: "الحج عرفة" ويكون عليه حج- قادم وهدى. وليوم عرفة فضل كبير. وهي من أماكن بمكة المشرفة وحرمها التي لها تعلق بالمناسك المهمة وعرفة ما جاور وادي عُرنة، ومساحتها ملابن الجبل المشرق أي جبل الرحمة إلى الجبال المقابلة يميناً وشمالاً مملايلي حوائط ابن عامر وطريق الحصن، وحدود عرفة من جهة مكة بين وهو علمان بين العلمين الذين هما حد الحرم إلى جهة عرفة.

وفيها مسجد عرفة يصلي فيه الإمام بالناس يوم عرفة أو يسمى مسجد عُرنة. فأمل سبب تسميتها 'عرفة' فلتعارف آدم وحواء فيها لأن آدم هبط بالهند وحواء بجده فتعارفا بالموقف. قاله الضحاك، وقيل: لأن جبريل عليه السلام عرف الخليل عليه السلام فيه المناسك يوم عرفة، وقيل: الناس يعترفون فيها بذنوبهم؛ وقيل غير ذلك من الأقوال.⁶⁶

والعرفة مجمع الحجاج في آن واحد كالיום الحشر. هذا موقف آدم رب العزة تعالى. وقد ورد في فضل عرفة أحاديث كثيرة منها: قالت عائشة

⁶⁶66- تقي القاسي، شفاء الغرام، ص: 489

رضي الله عنها إن رسول الله صلعم قال: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من الناس من يوم عرفة وأنه ليدنوا عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء الخ.⁶⁷

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما رُئي الشيطان يوماً هو أصغر فيهم ولا أذحر، ولا أحقر، ولا أغيب منه يوم عرفة، وما ذلك إلا ما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام.⁶⁸

قد أنزل الله للنبي صلعم آخر آية من القرآن وختم بها يوم عرفة "اليوم أكملت لكم دينكم... الخ" وقال عمر رضي الله عنه: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلعم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة.⁶⁹

ومن فضائل يوم عرفة أن صيامه يكفر سيئات السنة السابقة والماضية كما رواه المسلم والترمذي في صحيحهما.⁷⁰

المزدلفة أو ثبير أو مشعر الحرام: تسمى المزدلفة بثبير الذي يقولون في الجاهلية إذا أرادوا أن يدفعوا من المزدلفة. أشرق ثبير كيما نغير، ولا يدفعون حتى يروا الشمس عليه وهو جبل بالمزدلفة الذي هو على يسار الذهاب إلى منى. وثبير الذي يستحب للحاج إذا طلعت الشمس عليه سار إلى عرفة لينزل بنمرة ثم يذهب منها بعد صلاتي الظهر والعصر مع الإمام إلى موقف

⁶⁷ -67- مسلم: 1348، ابن ماجه: 3014، النسائي: 3003

⁶⁸ -68- مالك، 1/422

⁶⁹ -69- البخاري: 45، ومسلم: 3017

⁷⁰ -70- المسلم: 1162، والترمذي: 752

عرفة هو جبل كبير بمنى على يسار الذهاب إلى عرفة.⁷¹ وهي أيضا من حدود منى.

والمزدلفة هو الموضع الذي يؤمر الحاج بنزوله والمبيت فيه بعد أن فاضوا من عرفة ليلا، وهو ما بين مضيق عرفة ومُحسر. والشمال واليمين من المواطن. القوابل، والظواهر، والشعاب، والشجار، كلها من مزدلفة، ويقال للمزدلفة: جمع، سميت بذلك لاجتماع الناس فيها وهي المشعر الحرام الذي ذكره الله عنها فقال: " فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام"⁷²

نزل رسول الله صلعم في المزدلفة وبات بها صلى المغرب والعشاء جمعا وقصرا ثم صلى الفجر ونام مستريحا ثم ركب القصى حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا وكبر وهلل ووحد ولم يزل واقفا. ومن واجبات الحج مبيت بمزدلفة فمن ضاعه فعليه دم فدية ومن السنة اتباع الرسول صلعم في المبيت إلى أن يصبح بمزدلفة، ثم يقف حتى أن يسفر، ولكن فلا جناح أن ينصرف قبله للنساء والمرضى والضعفاء بدون مبيت بالمزدلفة ثم يدفع إلى منى قبل طلوع الشمس للهدى والرمي بالجمرة العقبية وطواف الإفاضة.

المحسر والمحصب: المحسر موضع الذي أسرع رسول الله صلعم فيه وهو واد بين منى والمزدلفة على حدهما وليس منهن، ويقال للمحسر 'المهلل'

⁷¹ -تقي القاصي شفاء الغرام، ص: 463
⁷² -البقرة: 198

لأن الناس إذا وصلوا إليه في حجهم هلولوا فيه وأسرعوا السير في الوادي المتصل به. فاستحب فمّن السنة أن يسرع في هذا المكان لأنه مأوى للشياطين فاستحب الإسراع فيه.

والمحصب هو مسيل ماء بين مكة ومنى ويستحب للحاج النزول فيه بعد إنصرافه من منى وهو في مكة بطريق منى هو منزل نزل فيه رسول الله صلعم وروى عن أبي رافع - وكان على ثقل النبي صلعم قال: لم يأمرني النبي صلعم أن أنزل الأبطح ولكن ضربت فيه قبته فجاء فنزل، وقالت عائشة: إنما كان النبي صلعم ينزل به لأنه كان أسمح لخروجه حين يخرج فمّن شاء نزله ومن شاء تركه.⁷³

مسجد التنعيم والجعرانة: ويعرف مسجد التنعيم بمسجد عائشة رضي الله عنها. ويقع في المكان الذي توجهت إليه للإحرام بالعمرة. لأن النبي صلعم أمرها في حجة الوداع فلما حاضت بعد الإحرام أمرها النبي صلعم أن تتنكأ المناسك إلا الطواف. فلما ظهرت طافت فأمرتها النبي أن تخرج مع أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم. فأحرمت واعتمرت بعد الحج في ذي الحجة.

يقوم هنا مسجد التنعيم على بعد من المسجد الحرام 75 كيلومترا على طريق مكة ذاهبا إلى مدينة المنورة المسمى بطريق الهجرة ويعتبر هذا المسجد والمكان من معالم أثرية بمكة المكرمة بطرازه الاسلامي الفريد

⁷³ - الأزرقى، أخبار مكة، 2/160

وهيئته المتميزة في البناء.⁷⁴

والجعرانة مكان ماء بين الطائف ومكة المكرمة وهي أقرب إلى مكة. نزلها النبي صلعم لما قسم غنائم هوازن حين ما يرجع بعد غزوة حنين وأحرم منها. وله فيها مسجد هو الذي يعرف بمسجد الجعرانه.

وقال أبو العباس القاضي "أفضل العمرة لأهل مكة ومن جاورها من

الجعرانة لأن رسول الله صلعم اعتمر منها"⁷⁵

إن النبي صلعم أحرم من المسجد الأقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى من الجعرانة وكان صلى النبي صلعم إذا كان بالجعرانة وكان إحرامه ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة وكان انتهى إلى الجعرانة لية الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة وأقام بها ثلاث عشرة ليلة.⁷⁶

قد أجمع الأئمة الفقهاء على أن الجعرانة أفضل مواقيت العمرة من

مكة لأن النبي صلعم أحرم من هذا المكان المقدس.

الصفوا والمروة: الشارع العظيم الذي يمتد من الصفا إلى المروة هو من

شعائر الله ومن مشاعر العظام، وقال تعالى: "إن الصفا والمروة من شعائر

الله. فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما" (البقرة: 158)

هما جبلان صغيران عند البيت الحرام هما في الأصل من جبل أبي قبيس

— والصفاء الذي هو مبدأ السعي والمروة منتهى السعي موضعان مرتفعان من

⁷⁴ - المبار كفوري، تاريخ مكة المكرمة، ص: 104

⁷⁵ - معجم البلدان، 2/166

⁷⁶ - تقي القاسي، شفاء الغرام، 1/544

جبل لهمل درج وتحت الفرشة بينهما تتصلان بالأرض درج مدفون وهو ثمانى درجات أو أكثر. وتحت الدروج أحجار كبيرة يشبه أن يكون جبل وهذا الدرج المدفون لم نره إلا في محاذات العقد الأوسط من عقود الصفاء وأن في مقابلة العقدين الآخرين مثل ذلك.

قد فرض الله تعالى للحاج والمعتمر أن يسعوا بين الصفا والمروة. فهو ركن من أركان الحج والعمرة. ومن العهد القديم إلى العصر الحاضر لم يفكر أحد من المسلمين في صنع رصفاً أو عمل مظلة عليه فقدم عليه ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن. التراب فراشه والسماء سقفه، ولكن في خلافة أبي جعفر المنصور العباسي كان قد أبقى عامله على مكة المكرمة عبد الصمد بن علي درجاً على الصفا اثنتي عشرة درجة وعلى المروة خمس عشرة درجة كما ذكر الأزرقى في أخبار مكة والسيوطي في الأوائل. ونرى اليوم المسعى بين الصفا والمروة كقاعة عظيمة في مبنى فاخر طويل مع درجتيه مزخرفة من الزخارف والجمال ويسهل للمساعين قدومهم وإيابهم بينهما بأسهل طريق ويسعوا بينهما مع سلامة واطمئنان بدون أي مشقة والحمد لله.

فأول من فكر في عمل مظلة على شارع المسعى وعملها فعلاً هو الملك الحسين بن عون في سنة 1339 هـ. فقام بعملها فكان قوائمه من أساطين الحديد وسقفها من الخشب على شكل مصفح بالتوتر. فاستفاد ظلها عموم المطوفين بينهما وكان ابتداءً من باب العباس وانتهى أهل إلى المروة، ولا تزال الحكومات يصلحون طوال المدد بعد حتى صار أمتن وأجمل

وأجل.

شاهد الصفا أول مرة لدعوة النبي صلعم قريشا إلى دين الله الحنيف
جهراء حينما نزل إليه الوحي " أن أنذر عشيرتك الأقربين " ثم شاهد بعد فتح
مكة لخطبته البليغة على الصفا بعدما كان فاتحا وقائدا عظيما وقال في إبان
كلامه : لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو
على كل شيء قدير . لا إله إلا الله " أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب
وحده، ثم بدأ سعيه الطاهر من الصفا من خضوع وتذلل دون أية جاهلية
وخرافة وكان هذا السعي بين الصفا والمروة عبادة خالصة لله أبدية لجميع
المسلمين حتى تقوم الساعة.

الباب الثالث

الكعبة المشرفة مركز العالم

الفصل الأول:

الكعبة بين الإسلام والعلم

الفصل الثاني:

الكعبة المشرفة والإرصاد الفلكية

الفصل الثالث:

الكعبة مركز الأرض

الفصل الرابع:

المكة المكرمة والكعبة المشرفة مركز العالم جغرافيا

الباب الثالث

الكعبة المشرفة مركز العالم

من خصائص الدين الإسلام القيم أنه دين العلم الثابت الصحيح، ومن ثم لا يتصور قيام أدنى تنافر أو تصادم بين الإسلام والعلم الصحيح القائم على حقائق علمية ثابتة، لا على الخيال والهوى أو النظريات ضد الواقع . ولا يمكن مطلقاً أن تصطدم بحقائق علمية أو كونية بحقيقة شرعية في هذا الدين القيم بحال . والدين الإسلام دين عالمي، والإنسانية كلها مخاطبة به، ومطالبة بالتسليم له أنه دين الله، والقرآن كلام الله، ومعلوم أن الإنسانية أعجميها أكثر من عربيها ولو كان القرآن أعجمي اللسان سيتضح إعجازه لكل إنسان بدون أي مشقة .

إن إعجاز القرآن من الناحية العلمية لا يزال بكرة، وفي الناحية الشرعية أيضاً يطبق قوانين الفطرة للأفراد والجماعات، وفي الناحية الكونية كذلك تعجز جميع طاقات البشرية، على فطرة الله التي فطرها الله عليه، وهذه النواحي هي التي ينبغي أن يشمر المسلمون لكشف عنها، وإظهارها للناس في هذا العصر الحديث، فيجد لصريح العقل بأن القرآن معجزة الدهر الخالدة المتجددة كأنها رسول الإسلام قائم في كل عصر يدعو الناس إلى دين الله، ويريهم آيات الله في أنفسهم وفي الآفاق حتى يتبين لهم أنها الحق من عند الله ولا يعرف هذه الحقائق إلا علماء العلوم الكونية والمتدبرون هذه الآيات كما بين تعالى في محكم تنزيله: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أولم يكف بربك أنه على كل شيء

شهيد¹

¹ سورة فصلت، الآية 53

الفصل الأول الكعبة بين الإسلام والعلم

أثار تحديد إتجاه مكة منذ أجيال عديدة لهدف ديني، لأن القرآن يطلب من المسلمين أن يولوا وجوههم شطر الكعبة عند تأدية عبادتهم كما أمر الله بقوله "قول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره".² والمسجد الحرام هو مسجد مكة حيث يقوم في وسطه بناء معكب تقريبا وهو يشكل المركز الجغرافي لعالم المسلمين . فيجب على المؤمنين العالمين أن يعرفوا دائما في أي إتجاه تقع الكعبة وكيف يمكن التوصل إلى ذلك؟ قد قام إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة بأمر من الله، وجعلها مثابة للناس وأمنا، وكتب الله تعالى لمكة بعد بناء الكعبة المجد والخلود، فقد أصبحت مكة موطن الكعبة ومقصد الحجاج . وهي تقع في وسط مكة وهي مركز الحياة الدينية في الجزيرة العربية . ومركز النشاط الإقتصادي وملتقى التجارات العالمية، وأصبحت مكة تحج بالحجاج والتجار من مختلف الأجناس والألوان والأديان، وكان العرب قبل الإسلام يحجون إلى الكعبة من جميع أرجاء الجزيرة العربية، وشارك معهم في الحج أمم أخرى كالهنود والفرس والصائبة وبعض اليهود، وكانوا يحرمون الكعبة ومناسك الحج والشهر الذي يكون فيه الحج - وهو ذو الحجة .

فإذا عرفنا من ناحية خطوط الطول والعرض لمدينة مكة، والمكان

² سورة البقرة، الآية 144

الذي تكون فيه من تحديد اتجاه الشمال فنجد بدقة اتجاه القبلة من الناحية النظرية العلمية، ونظرا لكروية الأرض، فرصد الإتجاهات من مسافات بعيدة دقيقة جدا، ويتطلب حسابات معقدة نسبيا، ولسبب هذا قد يكون منذ القرن الثامن قواعد رياضية وأخذ المسلمون أساليب مختلفة ليحاسب التحديد لاتجاه القبلة دقة من كل أنحاء العالم . فقدم العلماء الفلكيون وعلماء الهيئة والحساب بخدمات كبيرة في هذا المجال وكانت الإتجاهات التي يحصلون عليها تقريبية في غالب الأحيان، وما زالت تلك الأساليب مستعملة حتى الآن في المجتمعات الزراعية في الشرقي الأوسط . ويقول العالم الفلكي 'دايفيدكينغ' أن مصدر هذه الأساليب هي الجزيرة العربية في مرحلة قبل الإسلام، وقد طورت فيما بعد عن طريق العالم الهليني (اليوناني) الذي يقول يجب التمييز بين هذا التراث وتراث علماء الفلك المسلمين الذين كانوا يرصدون الشمس والقمر والنجوم والرياح، وكان لهذا العمل من الناحية الدينية أهمية كبرى.³

³ مجلة الهداية. كاتب المقالة محمد محمد إسماعيل فرج

الفصل الثاني الكعبة المشرفة والإرصاد الفلكية

الكعبة المعظمة مركز الإسلام، فمن التبعية إيجاد تقسيم جغرافي عام يبين مختلف المناطق التي ينتشر فيها المؤمنون، فهذه الطريقة في تنظيم الكرة الأرضية حول نقطة مميزة، لها ما يقابلها، كما يذكر المؤرخ 'دايفيدكنغ' في التراث القديم لليهودية والمسيحية، فالكنيس والكنيسة أينما وجدا يتجهان نحو 'أورشليم' التي كانت تعتبر مركز العالم، إلا أن الإسلام ذهب بعيدا واضعا رسوماً بيانية معقدة أحيانا . يتمكن الإهتداء إلى القبلة بوسائل علوم الفلك البدائية كما يجري في كثير من البلدان العربية بطريق صعود النجوم والكواكب، كما يأخذ نجم سهيل (canopus) ومكان نجم القطب لاهتداء الاتجاه للقبلة الصحيحة، فيستطيع للعالمين من كل أرجاء العالم أن يتجهوا إلى القبلة طبيعياً بدون خطأ .

وكذلك يوضح العلماء الجغرافيون في العالم بعد بحثهم "أن مكة المكرمة تقع في وسط الأرض، وأن هذه الفكرة - فكرة مركزية مكة والكعبة بالنسبة للأرض - ليست إبنة اليوم، هي فكرة قديمة عالجه كثير من المفسرين والمؤرخين المسلمين في الأزمان الغابرة، وصرحوا بها ودلوا عليها بقدر طاقتهم بما كان في إمكانيتهم من الدلائل"، كما أورد ابن كثير في تفسيره، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "دحيت الأرض من مكة" وكما بين نظام الدين النيسابوري في تفسيره 'غرائب القرآن و رغائب

الفرقان ' عند تفسير قوله تعالى: "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا
الخ." وقيل أن مكة وسط الأرض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكأن الأرض
كلها نمك من ماء مكة. '

أصل هذه الفكرة أنها كانت أدرجت مضامين العلم الإسلامي من
قبل، وسبق بها علماء الإسلام الأولون، ودونوها وتناقلوها، وبعض جغرافيتهم
رسموا خريطة الدنيا على هذا الأساس، ولكن وقع الإهمال من المتأثرين فلم
يعنوا بهذه الفكرة عناية بالغة، ولم تكن لديهم إذ ذاك الوسائل العلمية
الكافية للسيطرة على صناعة الخرائط في العالم الإسلامي، فلما جاءت
الحضارة الإستعمارية الأخرية تلقفت الفكرة الإسلامية، وانتشرت
هذه الفكرة بين الدول الإسلامية، والفرنسا تجعل مركز الأرض بلادها وألمانيا
تفعل مثل ذلك والبريطانية تحذو حذوها .

وفي الحقيقة أن خط 'جرينيتش' هو مركز خطوط الطول في العالم،
وإذا توزعت الخطوط العالمية في الأرض إلى الجهات الأربعة من الشرق
والغرب والشمال والجنوب فيظهر خط الإستواء سواءا بسواء كما يدعو
الجغرافيون، والحق الأصلي في الفكرة أن العرب والمسلمون عليهم أن
يستيقظوا ويعيدوا الحق إلى نصابه ويدعم مركزية الكعبة بالنسبة لخطوط
الطول، لا في العالم الإسلامي وحده بل وفي أنحاء العالم أجمع، فالحق أحق
أن يتبع وكل شيء يرجع إلى أصله.

الفصل الثالث الكعبة مركز الأرض

الكعبة المعظمة مركز الأرض وسرتها كما يقول مدير جامعة الإسكندرية الدكتور محمد عوض محمد في مقاله 'الكعبة مركز الأرض' كما نصه في مجلة المنهل⁴: "كان قيام دولة الهند والباكستان في الأعوام الأخيرة مصدر قوة وتجديد حيوي في المحيط الدولي كله. وقد إكتسب العالم الإسلامي بوجه خاص دولة جديدة من الطراز الأول تمتاز إلى جانب تفوقها في عدد المكان والعلوم والفنون، يتحسها لكل مظاهر الثقافة الإسلامية ونشاطها الخصب في تقوية الصلاة بين البلاد العالمية والإسلامية . وبين يدي وأنا أكتب هذه السطور مقال لأستاذ فاضل من علماء باكستان يقترح فيه أن يكون للعالم الإسلامي خط طولي رئيسي يمر بالكعبة، ومن أجل تأكيد هذه الفكرة جعل عنوان المقال 'الكعبة سرّة الأرض' وقد أورد هذا العنوان على أنه حديث شريف .

ولا بد لنا لكي ندرك مغزى هذا الرأي، أن نذكر أن خطوط الطول والعرض هي الوسيلة التي توصل بها الجغرافيون منذ العصور القديمة لتحديد الأمكنة والأقاليم أو مقارنتها بعضها ببعض ... فيقال إن القطر المصري مثلا يمتد من الجنوب من الدائرة الثانية والعشرين في دوائر العرض الشمالية إلى وراء الدائرة الواحدة والثلاثين في الشمال، أي أن دوائر العرض التي

⁴ مجلة المنهل - 3/10 ذو الحجة 1372هـ - أغسطس 1953م.

ترسم حول الكرة الأرضية قد حددت بأرقام من خط الإستواء إلى القطب الشمالي من جهة، ومن خط الإستواء إلى القطب الجنوبي من جهة أخرى . وكل خط من خطوط العرض عبارة عن دائرة كاملة، فيما عدا القطبين، إذ المفروض أنهما نقطتان فقط.

ولم يكن من الصعب تحديد الخط الرئيسي لخطوط (العرض)، فقد إنتهى العلماء إلى أن هذا الخط هو خط الإستواء، وهو أكبر دائرة من دوائر العرض ويقسم الكرة الأرضية إلى قسمين متساويين تقريبا . فأصبح هذا الخط الرئيسي هو خط الصفر، تليه خطوط العرض التسعون شمالا وجنوبا بالترتيب .

ولم يترتب على اختيار خط العرض الرئيسي أية مشكلة، ولم يثر أحد عليه اعتراضا، أما خطوط الطول فأمرها لم يكن بهذه السهولة . فإن خطوط الطول عبارة عن إنصاف دوائر تمتد من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي وهي جميعا متساوية في الطول وعددها 360 خطا . وليس من السهل أن نميز واحدا منها على الآخرين فنجعله خط الصفر أو الخط الأوسط يليه 180 خطا طوليا في الشرق ومثلها في الغرب ...

لم يكن القدماء يعرفون شيئا من القارات البعيدة مثل أمريكا وأستراليا، ولم يعرفوا إلا القليل عن المحيط الأطلسي، ولا يكادون يعرفون شيئا عن المحيط الهادي، فالعالم الذي عرفوه وعاشوا فيه هو العالم القديم الذي يشتمل على قارات آسيا وأوروبا وأفريقيا وكانت معلوماتهم عن الشرق

الأقصى قليلة جدا . أما المغرب الأقصى فكانوا يعرفونه تمام المعرفة، ويعرفون أنه ينتهي إلى المحيط الأطلسي، وإن وراء أفريقيا من جهة الغرب جزرا سموها جزر الخالدات، وهي في الغالب الجزر المعروفة اليوم بإسم جزر 'كناريا ومادبرا'. وليست كما يزعم بعض الناس جزر الأزور . التي لم يعرفوها الجغرافيون الأول .

كانت جزر الخالدات في نظر الجغرافيين القدماء أمثال إراطستين وماريانوس وبطليموس هي نهاية العالم من جهة الغرب فجعلوا الخط الذي يمر بهذه الجزر من الشمال إلى الجنوب وخط الصفر أي خط الطول الرئيسي . وجعلوا للخطوط التي تليه أرقاما تدل عليها يزداد من الغرب إلى الشمال ولم يكن يعينهم أن يجعلوا على الخرائق خطوطا تمتد غربا من جزر الخالدات لأن العالم كان ينتهي في نظرهم عند هذه الجزر فلا معنى لتحديد الموقع الذي لا وجود له في غرب هذا الخط .

وتبدلت الحال بعد الإستكشافات الحديثة، وبعد الكشف من قارتي أمريكا وأستراليا وعن المحيط الهادي وأصبح للناس علم بأقطار عديدة واقعة إلى الغرب من جزر الخالدات . ومع ذلك ظل خط الصفر فترة من الزمان في المكان الذي اصطلح عليه القدماء .

وبدأ التحول يظهر في القرن السابع عشر، فقد بنى الإنكليز مرصدا ضخما في بلدت 'جرينيتش' الواقعة شرقي لندن بنحو ثلاثين ميلا، وأخذوا يرسمون خرائطهم جاعلين خط الصفر هو الخط الذي يخترق هذا المرصد من

الشمال إلى الجنوب، وقد اتخذ الإنكليز سياسة منذ ذلك الحين لم يحدوا عنها، وهي تنمية القوة البحرية والإستكثار من السفن وكانت بحريتهم أول الأمر لا تعدو أن تكون أساطيل قرصنة للإغارة على تجارة أسبانيا وهولنده . وقد انتهى الأمر بتفوقهم في الملاحة وعدد السفن على كل من الدولتين . وكانت فرنسا في شغل بالتوسع في قارة أوروبا لم يمكنها من التفرغ لمنافسة بريطانية فيما وراء البحار . وبعكس ذلك إنصرفت بريطانية إلى السياسة الإستعمارية في الأقطار الجديدة . ولم تحاول التوسع في أوروبا، اللهم إلا ما تقضي به الضرورة من إقتطاع موقع خطير مثل جبل طارق . وهكذا خلا الجو في مدى قرنين من الزمان تقريبا أي من منتصف القرن السابع عشر إلي منتصف القرن التاسع عشر للبحرية البريطانية . فأتقن الإنكليز فنون الملاحة، ورسم الخرائط التي يهتدي بها الملاحون . وصار تحديد خطوط الطول والعرض بالأماكن المختلفة أمرا حيويا، وكانت الخرائط الإنكليزية من أحسن الخرائط التي تعني بهذا الغرض . وخط الطول الرئيسي فيها هو خط جرينيتش، وانتشر هذا الإصطلاح بفضل تفوق الملاحة الإنكليزية وانتشارها في جميع البحار .

وفي القرن التاسع عشر ظهرت دول تنافس انكلترا في ملاحة البحار، وهي ألمانيا وفرنسا وأمريكا، وأخذت كل منها تتقن صنع الخرائط الجغرافية، ولم تجد أمريكا ما يدعو، لأن تغير من وضع خط الطول الرئيسي فقبلت أن يكون الخط المار بجرينيتش هو خط الصفر . أما فرنسا فجعلت خط الصفر هو

الذي يمر بباريس . وظلت فرنسا زمنا طويلا مصرة على أن يكون خط باريس هو خط الطول الرئيسي بالنسبة للعالم كله .

ولكن بدأت فرنسا – كما بدأت ألمانيا من قبل – تعدل من موقفها هذا، لأن صناعة الخرائط التي ازدهرت في ألمانيا وفرنسا ازدهارا عظيما هي مثل سائر الصناعات في حاجة إلى الأسواق . ولكن لا بد لها أن تنافس الخرائط الإنكليزية في أسواق العالم بما في ذلك أسواق انكلتري وأمريكا واسكندناوة وهولندا وغيرها من البلدان التي قبلت خط جرينيتش . فقبلت فرنسا وألمانيا هذا الخط على أنه خط الصفر، وإن كنا لا نزال نجد بعض الخرائط الفرنسية تلتزم خط باريس . وهكذا بالتدريج اصطلح الناس على قبول خط جرينيتش بأنه خط الصفر أو خط الطول الرئيسي .

واليوم يطالعنا هذا الأستاذ الباكستاني الفاضل بهذا الرأي الجديد، وهو أن يكون للعالم الإسلامي خط طول رئيسي خاص به، وهو الخط الذي يخترق الكعبة من الشمال إلى الجنوب كما أوضحه في خريطته، ولا شك أن لهذا الرأي نصيبا عظيما من الوجاهة من الناحية الجغرافية والتاريخية، حتى لو صرفنا النظر عن الإعتبارات الوطنية والسياسية، فإن هذا الخط يتوسط الشرق الأوسط كما يتوسط القارات ويخترق البلاد التي كانت مهد الديانات العظيمة كما كانت مهد الحضارت والمدنية، ويتوسط الأقطار التي نشأت فيها اللغات السامية والآرية، وهو أوسع لغات العالم إنتشارا . ويمر بالبلاد التي اخترعت فن الكتابة، ونشرت في العالم نور العلم والمعرفة والعرفان ... بل

يمر بالبلاد التي كانت مهد النوع البشري نفسه.

هذه كلها أسباب وجيهة ولكن لكي نضع هذه الفكرة موضع التنفيذ يجب علينا أن ننمي صناعت الخرائط وأن نبلغ بها درجة الإتقان، وأن تكون هذه الخرائط خاصة بالعالم الإسلامي، يدرسها طلابنا في المدارس في المراحل الأولى من التعليم حتى تقوى في أنفسهم روح الشعور بمركز بلادنا الممتاز وسط جميع اقطار العالم . أما في الدراسة العليا فلا غنى للطلاب عن استخدام الخرائط الجغرافية، التي تستخدم في جميع البلاد لأن العلم لا وطن له ولا بد للتعلم فيه من متابعة الدراسة طبقا لما اسطرح عليه الناس في مختلف الأقطار.⁵

⁵ مجلة المنهل - مقال الكعبة مركز الأرض بقلم الدكتور محمد عوض محمد - مدير الجامعة الإسكندرية
عدد 3/10 ص 575-578

الفصل الرابع مكة المكرمة والكعبة المشرفة مركز العالم جغرافيا

قد أصدر خبرا في الجريدة اليومية 'الندوة' (الخميس رمضان 1425هـ الموافق 28 أكتوبر 2004م السنة 49 العدد 13993).

أكدت دراسة علمية حديثة أن مكة المكرمة تعد مركز العالم، وأنها تشكل مركزا لدائرة تمر بأطراف جميع القارات. وأوضحت الدراسة التي أجراها المعهد القومي المصري للبحوث الفلكية والجيوفيزيائية، أن مكة المكرمة والكعبة المشرفة تكاد تكون مركزا لدائرة نصف قطرها حوالي ثمانية آلاف كيلومتر (8000 متر مربع)، بأطراف القارات القديمة في آسيا وأفريقيا وأوروبا وهي أيضا مركز لدائرة نصف قطرها حوالي ثلاثة عشر ألف كيلو متر (13000)، تمر بأطراف القارات الجديدة أمريكا الشمالية والجنوبية وإستراليا والقارت الجنوبية المتجمدة .

وأشارت الدراسة إلى أنها ليست مركز العالم القديم أو الجديد أو الإثنين معا من حيث التوزيع المساحي المنتظم لليابسة مبينة أنه من المحتمل أنها كانت مركزا لليابسة كلها قبل ترحل القارات وانفصال بعضها عن بعض في العصور السحيقة .

يعين للمراجعات الزائدة لطلبة العلم أن يطلع كتاب 'الكعبة مركز العالم' - للدكتور سعد المرصفي - طبعها مؤسسة الريان للطباعة والتوزيع، مكتبة المنار الإسلامية بدولة كويت. نختصر هنا هذا الموضوع بالنقل ما نصه:

1. مركزية مكة المكرمة للأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية

وتحت هذا العنوان كتب الأستاذ الدكتور مسلم أحمد شلتوت رئيس

شعبة بحوث الشمس والفضاء بالمعهد القومي للبحوث الفلكية

والجيوفيزيائية، وزارة البحث العلمي حلوان القاهرة في 13 شعبان 1414هـ

الموافق 25 يناير 1994م ما يلي:

"بناء على نشر مجلة البحوث الإسلامية (المجلد الأول) العدد الثاني

للأستاذ الدكتور حسين كمال الدين لأن مكة المكرمة هي مركزا لدائرة تمر

بأطراف جميع القارات، أي أن الأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية

موزعة حول مكة المكرمة توزيعا منتظما، وأن مدينة مكة المكرمة في هذه

الحالة تعتبر مركزا للأرض اليابسة، فقد تم إجراء حسابات على الحاسب

العالي بقسم بحوث الشمس والفضاء بالمعهد تحت إشرافي لتتحقق من هذه

المعلومة المنشورة"⁶.

⁶ الدكتور سعد المرصفي - الكعبة مركز العالم - ص 204

الباب الرابع

وظيفة الكعبة المشرفة على تشكيل الثقافة والدين

الفصل الأول:

إبراهيم ودينه الحنيف والكعبة

الفصل الثاني:

الأديان والعقائد حول الكعبة

الفصل الثالث:

الإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم عند الكعبة

الفصل الرابع:

الدين والثقافة حول الكعبة

الفصل الخامس:

مناسك الحج والعمرة وتأثيرها في الأمم

الباب الرابع وظيفة الكعبة المشرفة على تشكيل الثقافة

والدين

الفصل الأول إبراهيم ودينه الحنيف والكعبة

إن دين إبراهيم دين فطرة إلهية حنفية نقية، وإذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين، وكان إبراهيم كأمة واحدة في تنفيذ دين الله العظيم، فقال الله له "إني جاعلك للناس إماماً"¹. فأمر الله تعالى بنى الآدم جميعاً بعد إبراهيم "ان اتبع ملّة ابراهيم حنيفاً"² ولجميع من يعيش بعدهم أدياً. فيعرف أن الإلتزام بإبراهيم عن هذه الشريعة الحنفية لأنه "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين" أبدأ، فبسبب هذا كان المؤمنون به، أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والدين آمنوا. فاتخذ الله إبراهيم خليلاً له وأمره أن لا يتخذ أحداً إلهاً من دون الله، فكان قلبه سليماً حنيفاً إلى ربه سبحانه وتعالى، ثم أمره أن يكون اماماً للناس الحنفيين، ولكون البيت مضافاً إليه وأن أثر قدميه في المقام كرقم الباني في البناء ليذكر به بعد موته فجعل الصلاة عند المقام سنة للطائفتين بالبيت. فهي مناسبة لطيفة، ثم قال: ولم نزل آثار قدمي إبراهيم

¹ البقرة : آية رقم 124

² النحل : آية رقم 123

حاضرة في المقام معروفة عند أهل الحرم، حتى قال أبو طالب في قصيدته المشهورة:

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة قدميه حافيا غير ناعلى

فتتابعت هذه الثقافة والدين كابرا عن كابر جيلا بعد جيل تتابعا ستكون إلى آخر يوم الميعاد. فالصلوة والطواف والسعي ومناسك الحج والعمرة كلهم من آثار إبراهيم عليه السلام، فالدين والثقافة الإنسانية التي تتعاقب منذ إبراهيم ليس بهزل ولا لهو ولا عادة فقط بل إنها أمر من ديوان ذي العرش المنان العظيم تنسك إبراهيم عليه السلام كما أمره جل وعلا ثم إقتداء المسلمون مناسكهم لما روى عنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله قال: سألت عبد الله بن سلام عن الأثر الذي في المقام فقال: كانت الحجارة على ملاكانت عليه اليوم، إلا أن الله عز و جل أراد أن يجعل المقام آية من آياته، فلما أمر إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج قام على المقام فارتفع المقام حتى كان أطول الجبال وأشرف على ما تحته فقال: يا أيها الناس أجيئوا بحمد ربكم قال.. فأجابته الناس فقالوا: لبيك اللهم فكان رجاء فيه، فلما فرغ أمر بالمقام فوضعه قبلته فكان يصلى إليه مستقبل الباب، ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر أن يصلى إلى بيت المقدس من قبل أن يهاجر وبعد أن هاجر فأحب الله عز وجل أن يصرفه إلى قبلته التي رضي لنفسه ولأنبيائه فكان صلى الله عليه وسلم يصلى إلى الميزاب وهو بالمدينة. ثم قدم مكة فكان صلى الله عليه وسلم يصلى إلى المقام وهو

ملصق بالكعبة حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم³. فانظروا كيف
علق الله أفئدة الانام إلى المقر الوحيد لدينه الحنيف.

³ وصف الكعبة المشرفة وتاريخها للشيخ أحمد جاد ص 85

1. نداء إبراهيم الخالد

والكعبة والمقامات التي حول الكعبة كلها آيات باقية خالدة لدين إبراهيم الذي وهبه للخلائق جميعا كما بين تعالى: " فيه آيات بينات" ومقام إبراهيم الذي ذكرها هنا فمقامه هذا الذي في المسجد. "وقال عطاء بن ابي رباح رضي الله عنه عن ابن عباس قال: ومقام إبراهيم معه كثير مقام إبراهيم الحج لي عطاء، فقال: المعرف بعرفة والمشعر والصفاء والمروة ورمى الجمار والطواف بين الصفا والمروة. قلت فسر ابن عباس قال: لا ولكن مقام إبراهيم الحج كله قال، قلت أسمعت ذلك لهذا قال: نعم سمعته منه"⁴.

و عن ابن ابي نجیح عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" قال: الحج كله مصلى ومدعى⁵.

فنداء إبراهيم الناس للحج نداء خالد أبد من دينه الحنيف. لأن أعمال الحج كلها مرتبطة بالتوحيد والرسالة والعقيدة والشريعة الإسلامية هي التي أساس الدين الحنيف فهذا متعلق أيضا بإبراهيم الذي كان خليلا للرحمن والكعبة المعظمة شاهدة لهذا الدين الحنيف. فأقره الله دين الخلائق والعالم بأمر الله تعالى أن يمسكهم بالنواجذ " فاتبعوا مله أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا" فاستخلص الله إبراهيم لإبلاغ هذا الدين إلى كافة الناس واصطفاه لدينه وعبادته حنفاء كما قال

⁴ نفس المصدر ص: 86

⁵ نفس المصدر ص: 86

تعالى: " واملأ أمرؤا إلال لعلبؤوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة"⁶. فهذا الدين القيم تجرى كمجرى الدم في أرواح المؤمنين من الثقلين منذ ذلك اليوم إلى الأبد.

2. إستقبال محمد صلى الله عليه وسلم الدين الحنيف

استقبل محمد صلى الله عليه وسلم الدين الحنيف من صلب إبراهيم لما اصطفاه الله ليبلغ رسالاته إلى العرب والعجم كما صنع الأنبياء جميعا من قبل، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين من شركهم إلى التوحيد الخالص وطهر البيت كما طهر إبراهيم الطائفين والعاكفين والركع السجود بأمر من الله. فاتبع أولا دينه الحنيف، ثم بلغه وجاهد به حق جهاده وأدى أمانته ونصح أمته حتى أن يرضى العالم بهذا الدين والثقافة فكل من حج وسمع عن الحج فهو ممن أجاب دعوة إبراهيم كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه الطاهر كما أورده أبوهريرة رضي الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت أمره الله عز وجل أن ينادؤ في الحج فقام على المنارة فقال يا أيها الناس: إن ربكم قد بين لكم بيتا فحجوه وأجيبوا الله عز وجل قال: فاجابوه في اصلاب الرجال وأرحام النساء. أجبناك أجبناك لبيك اللهم لبيك قال: فكل من حج اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم على قدر ما لبي"⁷.

فوقرت في قلوب المؤمنين كلها هذا الدين الحنيف، فما يزال العالم

⁶ سورة البينة: رقم الآية: 5
⁷ رواه أحمد في المسند؛ وصف الكعبة / لأحمد جاد ص 87

يقبل هذا الدين وثقافته اذا عرفهم حق المعرفة ولا يستطيعون أن يردوها إلا من عانده وأعرضه وكذبه بالكبر والطغيان فقط فاتخذ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله دين ابراهيم وثقافته بدون إكراه ولا ريب حتى كانوا متخدين مقام إبراهيم صلى: ورغبوا قبل أن يشرع الله لهم في اتخاذ مقام إبراهيم صلى: كما ورد في الاحاديث الصحيحة. عن زكريا بن أبي زائدة عن حدثه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف فقال النبي صلى الله عليه وسلم " هذا مقام أبينا ابراهيم. قال عمر: أفلا نتخذه صلى؟ فقال: فأنزل الله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم صلى"⁸.

3 - الأمن والسلامة حول الكعبة

وقد صرح الله بقوله عن الكعبة بأن " ومن دخله كان آمنا " نعم، هذه إعلان من الله بأن الكعبة مقرأ من وسلامة، ورسالة طمئينة وهدوء لسكان الأرض من مشارق الأرض ومغاربها. لا شك أن الحرم المكي رفعت راية السلامة على العالم كله والكعبة المشرفة مهبط الوحي الإلهي ومأوى الهداية للعالمين، هي أول بيت وضع في البركة والرحمة والسلامة للناس جميعا. هو أول سجد عبد الله فيه في الأرض وهي تقوم في بقعة من أطهر البقعات في البلد الأمين ويسمى من أسماء مكة "المأمون" وأم رحم" و"صلاح" و"القادس" - لأنها تطهر من الذنوب و"المقدسة" وغيرها كثيرة⁹ جميع هذه

⁸ رواه أحمد والبخاري
⁹ حسين بن عبد الله بإسلامة/ تاريخ الكعبة المعظمة ص : 49

الأسماء تشير إلى نقطتواحدة وهى - "السلامة والأمن".

يدل التاريخ الطوال- منذ أنشئت الكعبة المشرفة كانت مقر-سلامة وأمن، لأن أبا البشر آدم وأم لأمهات البشر حواء عليها السلام حينما أخرج من الجنة وهبطا إلى الأرض فتجولا ومشيا في مناكبها فأخيرا لقيا أولا في عرفات حوار- الكعبة المعظمة التي بناها الملائكة قبل خلق البشر- وإن كانت الروايات عنها صحيحة- فبقعة الكعبة شاهدت أولا للقاء حنون-وسلامة منيرة وتقبل رؤوف، فبدأ توظيف الكعبة منذ ذلك اليوم، هو أن تنال بين أفئدة الانسان- و ترتبط بين- قلوب المقطعة وتلتصق- الأمن- والسلامة بين جنبات الصدور- فبدأ حياة البشر- بالسكينة والهدوء في الأرض- بين زوجتين أولين- في العالم الأنام- وهوامش- التاريخ ملئت بمثل- هذه الأمثلة الجلابة وتوفرت كتب التفاسير والحديث والسير وغيرها بأنواع النماذج المنورة.

4 - مثابة للناس وأمنا

كيفية توظيف الكعبة عجيبة جدًّا لا سيما بعد ما رفعها إبراهيم عليه السلام من البيت و جعل الله تعالى مثابة للناس-وأمنا. حينما يهوى الناس إليها بعد ما قنطولا واستيأسوا من الروح والرافة وإسلامة والأمن-والرحمة، فتصب الكعبة على أذهانهم بركات النعم والرحمة والكرامة والجام والعز والسلامة والغفران- والعفو لأن الخلائق الذين أسرفوا على أنفسهم ظلما وغدولا وطغيانا ثم يلتجئون تحت ظل الكعبة ويمدون أياديهم إلى المنان الكريم بحيث مشاهدة هذه الكعبة المشرفة. فتوفر أنفسهم الراحة والغبطة

والسلامة والعافية من رب العرش العظيم بدون حصر ولا عدد، ويفتح الرحمن أبواب السلامة والرحمة على هؤلاء العباد الذين يذرفون الدموع الهاطرة مع شهادة الكعبة المظمة لأنهم يعبدون رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع فأمنهم من خوف الدارين.

يأتي إلهنا الناس رجالاً أو ركباناً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله، فتكون الكعبة واسطة بين العباد والمعبود حبلاً متيناً حينما يطوفون - حوله وينادون ربهم الغفور الرحيم، فيباهي بهم ربهم بالملائكة الكرام، يعظمها الناس إعظاماً بالغاً لأن صاحبها جل جلاله. حتى يخشون به خشية الخاشع المطيع ولا يستحلف أحد عندها على الشيء اليسير أخشى أن يتهاون بهاء والناس لا يستحلفون بين الركن والمقام في أقل من عشرين دينار إلى اليوم.

صارت التعظيم والمهابة لمشاعر كثيرة حول الكعبة بسبب البيت الله الحرام - كالحجر - والصفاء - والمروة - ومنى - ومزدلفة - وعرفة - وغيرها - من المشاعر - تقع حوارها، فالصحبة لها تأثير عظيم ولها لسان وشفعتين يشهدان عند ربهم يوم القيامة بحق العباد الذين شهدوها للعبادة.

قد شهدت الكعبة عديداً من الوقعات في مجرى التاريخ المدد، بشخصية الكعبة لا تنفصل أبداً عن قضية الأمن والسلامة وتدمر الله كيد أبرهة ومسير التبابعة الثلاثة سارت إلى الكعبة لهدمها قبل واقعة الفيل، ثم أقرها الله من كل فتنة وأثبت الهدوء والأمن والسلامة لمن دخله وهاويل إليها

في كل زمان. ونرى مثيلاً نادرًا في يوم الفتح كانت الكعبة هذا اليوم أئمن
الموقع في الأرض. وأسلم الإنسان بالسلامة وأعلن الإسلام أمام العالم لأن
الكعبة المشرفة أعلى وأجل موقع في كرة الأرض للسلامة والأمن.

5 - الكعبة عاصمة الثقافة

فمكة المكرمة واد غير ذي زرع، مجدب، قاحل ولكنها استطاعت مع قسوة الطبيعة أن تكون مدينة جاذبة للناس. مدمعة للغرباء يجدون فيها ملا يجدون في غيرها من المدينة التي تنعم بالخيرات من أنهر وبحار وادوية خصبة ومراكز سياحة ومعادن نفيسة كى تمنح المدائن الحاضرة. ولكن مدينة مكة المكرمة مدينة السلام. وأنها مدرسة حقيقة لتعلم أن تشيد قيما عليا للتسامح والسلام. ففي مكة المكرمة يأمن كل شئء الانسان والحيوان والشجر والدواب ولا يسامح عن أن يعتدى على الآخر. أيا كان فمكة حرام، وحرمتها تمتد إلى تلك اللحظة التي يخطو إليها المسلم، لماذا انعم هذه مدينة قدسية فيها أثر كبير في الحياة العلمية والأدبية والفكرية والدينية والثقافية وكانت مكة المكرمة بمسجدها الحرام - الكعبة المعظمة - وزواياها ومدارسها خلاصة للعالم الإسلامى، وأنها أم لكل المراكز الثقافية الإسلامية.

أن ثقافة الإسلام قد انبشقت جميعها من القرآن ومن الكتب السماوية ومن بين المرسلين الذين أرسل الله تعالى ولا شك أنها قد تنفذت في حياة الانسان بواسطة المركز العالمى هي الكعبة المشرفة، لأن خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام غرس أولا نوهها وحبوبها حينما رفع قواعد البيت الحرام على عقيدة صافية سليمة، هي التوحيد والرسالة والايمان بالآخرة وتشكل على أساسها الأصيل بالأعمال الصالحات التي ترفع بها إلى الإنسانية الكاملة إلى حد رفيع يلاحق للفطرة الانسانية، لأن إبراهيم كان

إنسانا كاملا في جميع أنحاء حياة البشرية، مثل امام الدنيا في مناصب أب حنون، و رسولٍ نبي هادى البشر- وداعٍ إلى الله ورجل مستقيم وشميلة كاملة بأعلى درجة وزوج صالح لزوجات صابرات قانتات، فنجح إبراهيم في إظهار ثقافة عظيمة وإقرار أخلاق حميدة وأسوات كريمة خالدة التي تصلح منها لخير أمة وسط بين الإعراض والغلو وبين الحق والباطل- وفرق المعروف والمنكر- وأنبتهل في أولاده وأصحابه الذين قضاوا نحبهم على خريطة التي رسمها إبراهيم عليه السلام للعالمين، فأنجب منهم الأنبياء كمثل اسماعيل واسحاق ثم يعقوب والأسباط ثم المرسلين في بين إسرائيل حتى طرقت طرفهم إلى خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، فازدهرت الثقافة الإسلامية وبلغت إلى حد أراد الله وأينعت وقطفت الثمار- منها العرب والعجم والخواص والعوام والمدنى والبدوى والجاهد والعابد والغربى والشرقى وجميع من في الارض؛ هذه الثقافات والمدينات تتزايد يوما بيوم على أسس طاهرة نقية؛ فالثقافة الإسلامية في مجال التربوية والاقتصادية والاجتماعية والأسروية والدينية والسياسية والسياسة العالمية وجميع حركة الإنسان الحيوية تنور وتزدهر وترتفع إلى منزلة سامية. فأصل هذه كلها تتأثرت الكعبة المشرفة قبله المسلمين العالمين. ولا شك بأنها تتقدم إلى المستقبل ان شاء الله ولو كره المعاندون.

قد ترقم ابراهيم عليه السلام ترقيم الثقافات الإسلامية ورقصت حول الكعبة ثم انتشرت بين العباد فهي عديدة، فالصبر والحلم والأناة والدعوة

والجهاد والعفو والكرم والجود والرأفة والتبليغ والنصحية والقيادة والحكم وغيرها لكل هذه أمثلة عالية نجدها في إبراهيم والذين مع الذين هم غرسوها في بقعة الكعبة وبقعات حولها ففاضت من فيضات هذه كنهر جار مائها نقية طاهرة نغيسة للأنفس- الإنسان، تطهر- بها ادران- الشرك والكفر والنفاق- والخدعة- والغبي- والجرم- والفسق- والسوء- وغيرها- من- الخبائث والأقذار- والسيئات، بإذن الله جل-وعلا. " وهذا ما أكوه الرسول- الاعظم- صلى الله عليه وسلم حينما أعلن عفو خصوم- الأمس- عن- الذين- أخرجوه من داره. ومن وطنه الذي ولد، ومن الماء الذي شرب، ومن الهواء الذي تنفس؛ وأذوه وصحبه، ووقفوا في طريق الدين- الحنيف- الذي جاء به لهم، فقال لهم كلمته الخالدة أبدا لدهر "إذهبوا فانتم الطلقاء، لا تثريب عليكم اليوم".

فإن قيم التسامح والعفو والسلام هي الثقافة العميقة لمكة المكرمة والكعبة المشرفة، هذه الثقافة التي ينبغي لنا أن نعيدها ونتكررها في حياتنا الحاضرة إلى ثقافتها الخيلة، وأن نبرز هذه المكانة عالميا، فمن أم القرى ولد الإسلام وعلى مركزها كعبة المشرفة وعلى بطحائها تألفت قيمة العليفا ما أمس حاجتنا إلى نسمة مكية ترطب جفاف واقعنا العربي والإسلامي.¹⁰

¹⁰ مختصر كلمة رئيس التحرير لمجلة الحج والعمرة، العدد الخامس/جماد الأولى 1426 الموافق يونيو 2005 م - المملكة العربية السعودية بجدة.

الفصل الثاني الأديان والعقائد حول الكعبة

قد شاهدت الدنيا كثيرا من الأديان والعقائد والفلاسفات في مدى العصور حتى اليوم. ولكن في نظر الإسلام لا يوجد للعالم أديان مختلفة بل الدين الواحد للعالم كله وللشعر جميعا. هو الدين الفطرة، يعنى الإسلام وجميع الأنبياء والرسل مصدرهم واحد من منبت واحدة هو من عند الله امثالا قول الله عزوجل: " ان الدين عند الله الإسلام، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم"¹¹ فالبغي والحسد انتجتا الأديان المختلفة، لأن من تصنع دينا جديدا فهو صاحبه، لا من صاحب أصل، هو الله الواحد القهار. وبين تعالى واضحا: " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"¹². فالدين عند الله واحد، وارسل جميع الرسل بهذا الدين الوحيد إلى كافة الناس، فمن رغب في غير الإسلام فيردها إلى من أحدثه ولن يقبل أبدا ويسأل الله الإنسان بقوله: أفغير دين الله يبغون، وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون"¹³. ويبين أيضا أحوال الذين اتخذوا الأديان المختلفة بقوله: " ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء"¹⁴ فمن الذي فرق دين الإله الواحد فيكون الناس فرقا وأحزابا ويخرون على الضلالة ولا يؤخذ الله

¹¹ آل عمران - آية رقم 19

¹² آل عمران - آية رقم 85

¹³ آل عمران - آية رقم 86

¹⁴ الأنعام آية رقم 159

ذمتهم وليس في أمر الله شيئاً من التفريقة بالأديان حظاً منه. والعقائد المتنوعة والفلاسفات المختلفة في العالم مثل ذلك إذ لم يكن مصدرها من عند خالق المدبر سبحانه وتعالى فهي كلها مردودة.

1. دين الكعبة المشرفة

ما عرفت الكعبة إلا دين الأنبياء فقط هذا الدين الذي بلغ به أبو البشر آدم ثم نوح ثم جميع الرسل حتى موسى وعيسى عليهم السلام أخيراً خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد كرم الله الإنسان بالإسلام، هو دين النظافة والصدق والأمانة والحياة الحقيقية والنور الذي لا يشوبه ظلام، والنظافة التي تجعل قلوب المسلمين خالية من الشك والشرك والنفاق وسوء الطوية والصدق في التوجه إلى الله مع يقين بأنه الخالق البارئ المصور، خالق كل شيء ومليكه بيده كل شيء، وهو النافع الضار وهو على كل شيء قدير. والأمانة التي جعلت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أميناً في تعامله، أميناً في التبليغ عن ربه، فما جاءنا منه صلى الله عليه وسلم حق وصدق وبذلك نصل إلى اليقين أن ديننا الإسلام أخرج الله به العباد من الظلمات إلى النور الساطع وليس في الإسلام علامة استفهام بدون جواب ولا ظلمة أو اعتماء ولا وسيط بين المسلم وربه ولا صاحب بينه وبين خالقه ولا تتصادم تعاليم الإسلام مع حاجة المسلم ولا ترهقه ولا تكلفه إلا وسعه وقدرته. كما قال تعالى: لا

يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت"¹⁵.

¹⁵ البقرة - آية رقم : 286

2. دين لا عوج له

عقيدة الإسلام صافية لا عوج، ولا تعقيد فيها لكل من يدبر الخالق، يعرف الإسلام عن إله واحد هو الخالق المدبر الأمر والرازق والرب تعالى لا اله وحده للعبادة. وكذلك عقيدة عن الآخرة هي أيضا حنيظلا عوج ولا ريب في واقعها لعقول الإنسان وكذلك أركان الإيمان الباقي- الإيمان بالملائكة والرسل- والكتاب والقدرة وكذلك مجال العبادات كالصلوة والزكاة والصوم والحج وغيرها من المعاملات والأحكام الشرعية تتعلق بالأسرة والفرد والمجتمع ويشمل في الإسلام جميع القوانين الدين والآخره لحياة الانسان في الأرض، هذا الدين الحنيف الذي دار حول الكعبة منذ تاريخ بداية الكعبة، ولكن طال على الجيل الأمد فقتت قلوبهم فكثير منهم فاسقون، فتبدل الدين الحنيف إلى الشرك والكفر والعناد واستبدل هو الإنسان هذا الدين الصافي إلى الدين النصارى واليهود والصابى والمجوس وغيرها ورقصت جميعها كدائرة حول الكعبة.

3. أديان فاسدة حول الكعبة

لما طال عليهم الأمة من حياة الأنبياء أحدث الشيطان في عقيدة الإنسان عقائد فاسدة، فدخل الشرك في كل أديان كاليهود، بأنهم عبدوا عزيز ابن الله والنصارى عبدوا عيسى بن الله والمشركون القریش عبدوا الأصنام والأوثان، كما قال الشيخ ناصر عبد الله الحميضي في تأليفه "الإنسان والعمران" ما نصه: "وفى عبادات المشركين والكفار ما يظهر ضعف الإنسان

اذل غوى ونقصه اذل انحراف عن طريق الهدى، فعند ما ينحتون من الصخر صنمًا يعبدونه من دون الله أو يعبدونه ليقربهم إلى الله زلفى في زعمهم فانما هو الضلال بعينه، إذ كيف يكون للإنسان عقل يفكر وهو يتوجه لصنم من الصخر أو التمر أو الخشب أو أي مادة وهو يعلم أنها لا تنطق ولو نطقت لا تعقل ولو عقلت لا تقدر ولا تخلق ولا تملك رزقها ولا حياتها ولا نفعها ولا ضرا، وهذه الأخشاب والصخور تبول عليها الكلاب والثعالب، فلا تمنع عنها الأذى، هذا أول السخف والاستخفاف بالعقل وحياة الشر"¹⁶.

فمشركي العرب أدخلوا في داخل الكعبة الأصنام ونصبوا الأوثان حول الكعبة حتى بدلت دين إبراهيم بدين الشرك المحض، وهم يقومون بالسجود والركوع لدى الأصنام، ويدعونها وينذرون لها ويتوسلون إلى الله بالأوثان والأولياء والجان ويعتقدون السحر والخزعبلات ويعملون البدعات والمنكرات وغيرها من الضلالة، انهل كارثة الأمم وهلاك الشعوب إذا غاب عنهم الإيمان وقلدوا بعضهم بعضا في السفة والضلال ولم يكن لهم رشودين من الله يوصلهم إلى الإيمان والكرامة كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام وقومه: " ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفين. قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين. قال لقد كنتم أنتم وآبائكم في ضلال مبين"¹⁷. فهذا دينهم حول الكعبة حينما بعث رسول الهداية صلى الله عليه وسلم.

¹⁶ ناصر عيد الله الحميضي / الانسان والعمران ص : 40
¹⁷ سورة الانبياء : الآيات رقم 51-54

4. عقائد لا فوائد فيها

كثيرا من الاعتقادات البشر- مجوف- من المعانى والحقائق- بعضهم يظنون بأن عقيدتهم صافية رقيقة يحسبون أنهم يؤمنون حقا وصدقاء بل هي في الحقيقة باطله لا فائدة ولا معنى فيها ولا أصل لها ولا دلائل- وكذلك العرب الذين عاشوا حول الكعبة الشريفة، يؤمنون بالجبت والطاغوت، ويؤمنون بالضر والنفع من الاصنام، ومن النجوم ومن الشياطين الجن والإنس، ويطلبون من غير الله تعالى حوائجهم- ويشربون الخمر- ويلعبون القمار، ويزنون- ويعملون- الخبائث-، ويتيهون- في- الصحارى- سكارى-، ويعملون المنكرات، ويعتقدون بالسحر- والشعوذة- وغيرها من الأباطيل- ولكن كلها معارضة للدين الحنيف الذي وهبه لهم أبوهم إبراهيم- وهم يطوفون الكعبة المشرفة عريانين- مع ذلك ويزعمون أنهم في مله أبيهم إبراهيم- ويعبدون الأصنام- ثم يدعون أنهم في التوحيد ويؤمنون بالآخرة منكرًا من القول وزورًا، وهم يحسبون أنهم مكرمون- يوم القيامة عند ربهم لأنهم يعمرن بيت الله الحرام- ويسقون- للحجاج- ويسدون- سدنة البيت- ويعينون- صيوف الرحمن الذين يأتون من كل فج عميق.

وكذلك احوال- اجتماعهم غير- منظمة- ويأكلون- بعضهم بعضا- والقوى يمتلك جميعا- والضعفاء يعذبون، والعبودية فاشية بينهم ويأكلون الربا أضعافا مضاعفة- والحق عندهم باطل، والباطل عندهم معروف والمنكر عندهم مباح، والفضل- والكرم- للظالم- والمظلومون- في- كل- سدنة مظلوما- وكذلك جميع

تحركاتهم الحياة، يطعمون الطعام بالميسر، ولا يطعمون على حبه مسكينا ويتيماء ويأكلون أموال اليتامى ظلماً ويريدون بها جزاء وهم أهل جحود وانكار. نعم الله تعالى ظاهرة وباطنة، فهذه عقائد أهل جوار الكعبة، في الجملة لهم عقائد كثيرة التي لا فائدة فيها في حياتهم الدنيوية والأخرية.

والعقائد لكل أمة في الحقيقة أن تعمل في حياة الانسان بأحسن وجه طلق، ولكن أهل الكعبة خاسرون في مجالها كما قال: "أمل موضوع القوة والضعف في الأمم، فينطلق ثباته وزواله من منطلق التوجه إلى الله وعبادته وشكره والاخلاص له، فإن كانت الأمة في ثبات على منهج الحق والإيمان بالله زاد عزها وسعادتها وقوتها ولا ذهبت قوتها، أو صارت فريسة لعدو أقوى منها. أو جمعت قول لكي تهلك بها كما قال تعالى: أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر، مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون."¹⁸

5. الأديان المشهورة في الجزيرة العربية

عرفت الجزيرة العربية كلها بصورة أو بأخرى كل الأديان، والعقائد القديمة التي كانت البشرية تعتنقها قبل الإسلام، عرفت الموسوية في يثرب وما حولها وفي اليمن، والمجوسية في إمارة المناذرة بالفرس، والصابئة

¹⁸ سورة الروم - آية رقم 10

عباد النجوم في الشمال وتدمرو دمشق، وفي مصر عبادة الاصنام، ثم من دين إبراهيم الحنيف الذي يعرف بدين الحنفية؛ وكان الدين الجديد دين المسيح - النصرانية بعد عيسى عليه السلام. وبلغوا كل من هذه الأديان الكتب السماوية والصحف ابراهيم والتورات والزبور والإنجيل، وكان الحواريون لعيسى بن مريم بلغوا الدين الجديد - المسيحية فانتشر هذا الدين في طول الشام كله ومصر وحبشة والسودان وروما و أنطاكية وغيرها قد أحدث بين دين المسيح الخلف بعد ثلاثمائة عام فادعوا ان المسيح هو الله وابن الله وترأس هذه العقيدة رهبان القسطنطينية ثم دخلت النصرانية ارض الجزيرة العربية في الحيرة والغسان ونجران ودخل أهل نجران في ملة النصارى فكثرت عددهم ونقلوا الإنجيل وأحكامه إلى الجزيرة وناصبوا اليهود العداوة ووقع مل بين النصارى مع اليهود - ذنواس - وهم أصحاب الأخدود حتى قتل من النصارى اكثر من عشرين ألف. وفر من بقي من النصارى إلى قيصر الروم، ثم وقع ما وقع بين فرس وروما واليمن حروبا متطاولة.

وفي مكة ان النضر بن كنانة هو قريش، أن القصي الذي جمع من ولد فهر، فهو موحد قريش ومؤسس مجدها وقد كبرت في عهده حتى أصبحت قلب الحجاز النابض ونشأ في أرض قضاة ببلاد الشام بعيد عن وطنه أم القرى، وقد انجب عبد مناف أربعة ابناء منهم نوفل هو و عشيرته جميعا كانوا على الحنفية ومنهم عبد الدار وولده وعبد شمس و ولده جميعا أصحاب أصنام وعبد مناف وولده هاشم كانوا كفاراً وتلك الايام ان مكة

مملوءة بصنوف الباطل في الكعبة، ولكن يعظم شأنها وترفع مكانتها ويكثر الحجيج إليها وكانوا يعبدون هبل، ومناة، ويغوث، وأساف، ونائلة، واللات والعزى وغيرها من الاصنام والأوثان.

الفصل الثالث الإسلام و محمد صلى الله عليه وسلم عند الكعبة

1. الكعبة وأم القرى ومحمد الأمين صلى الله عليه وسلم

ولد محمد الصادق الأمين، محمد بن عبد الله القرشي، صلى الله عليه وسلم عام الفيل في وسط أم القرى وهو من إحدى الانتاج للكعبة المعظمة ياقوت الخلق، وعام الفيل هذا يشير إلى واقعة عجيبة تتجلى فيها قدرة الله الباهرة، بينهاها في الباب الأول في الفصل الثالث تحت عنوان "وقعة أصحاب الفيل". ويعلق العلامة أبو الحسن الندوي على هذا قائلا: " يمكن أن يكون السبب في حملة أبرهة أهم وأوسع من حادث أريد به تنجيس معبد، وأن يكون قصد أبرهة فتح مكة لربط اليمن ببلاد الشام، وتوسيع حكم النصرانية ونفوذها في الجزيرة العربية وكان ذلك في صالح الروم والحبش وهم نصارى على السواء، وكانت هذه الخطة مهما كانت الدوافع إليها تؤدي إلى خراب البيت الذي قدر له أن يكون هدى ومثابة للناس، ومصدر النبوة الأخيرة، وتجريد مكة من سيادتها الروحية، وذلك ملا يرضاه الله. ويجوز أن يكون الروم هم المحرضين لأبرهة على فتح مكة لماربهم السياسية، ومنها إضعاف نفوذ الفرس المنافس الوحيد للنفوذ الرومي على بلاد العرب".¹⁹

قد أوقعت الكعبة على أبرهة وجنوده ما أوقعت، ورجع أبرهة إلى اليمن وهو يتساقط أنملة، فما كاد يصل حتى إنصدع صدره ومات. وبقي

¹⁹ أبو الحسن على الندوي/ سيرة النبوية/ ص 90

من بقي منهم عبرة لمن يخشى. ويروي ابن اسحاق عن عائشة رضي الله عنها انها قالت: لقد رأيت قائد الفيل- وسائسه بمكة أعميين- مقعدين يستطعمان!²⁰

2. أي الفريقين أهدى

وسوف يتسائل البعض عن أبرهة وأصحاب الكعبة أي الفريقين كان أهدى سبيلاً، أبرهة بنصرانيتها، أم قريش بوثنتها؟ فيجيب له الإمام ابن كثير في تفسيره: "وكان دينهم- أي اصحاب الفيل - اذ ذاك أقرب حالا مما كانت عليه قريش- من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه في ذلك العام ولد- على أشهر الأقوال- ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم يا معشر قريش- على الحبشة لخيريتمكم عليهم، لكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الانبياء".²¹

" و قد يتسائل آخرون: ان الكعبة تعرضت للهدم اكثر من مرة، ودار حولها قتال بين المسلمين، أنفسهم أيام نزاع ابن الزبير والأمويين، ولم يرسل الله طيراً أبابيل. فما الحكمة من ذلك؟

ويمكن أن نقول: ان الكعبة في العصر الجاهلي تولى الله حمايتها بنفسه ولم يشأ جل جلاله أن يقاتل المشركون وينتصروا حتى لا يقال انتصر الشرك على النصرانية، أما في العهد الإسلامي فاصبحت حماية الكعبة

²⁰ عبد الملك ابن هشام المعانري/ السيرة النبوة ص 57
²¹ عماد الدين الحافظ ابن كثير/ تفسير ابن كثير ج 4 ص

فريضة نتعبد الله بها، وأضحت حرمتها أمانة في أعناق المسلمين استحفظوا عليها تكليفا شرعيا، فمن وفى فله الجنة، ومن نكث فانما ينكث على نفسه، ولا تنسى أن عناية الله تعالى بالبيت العتيق لا تزال تشمل وتكلمه وفى كل حدث ألم الكعبة تحدث الناس عن خوارق للعادات أحاطت به".²²

3. مشاركة الأمين ببناء الكعبة

قد تجددت الكعبة أكثر من مرة، حفظ الله تعالى البيت الحرام بأيادي طاهرة، بعمارتها وسقايتها وتجديدها مرارا في مر العصور، ولما قامت قريش إلى تجديدها قبيل البعثة المحمدية شارك محمد بن عبد الله معهم بنقل الحجارة على رقبته - (بيناهل في الباب الأول: في الفصل الثالث تحت عنوان: هدم الكعبة وبنائها القريش) - وكانت سنة يومذاك خمسة وثلاثين عاماً، وورد في الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم حين جددت قريش بناء الكعبة المشرفة كان ينقل الحجارة مع قومه، يحملها على عاتقه، وازاره مشدود عليه. فقال له عمه العباس بن عبد المطلب: يا ابن أخي، لو جعلت إزارك على عاتقك؟ ففعل، فسقط مغشياً عليه ثم قال "إزاري، إزاري، فشد عليه إزاره و قام يحمل الحجارة".²³ وفي ذلك حرص على ستر العورة وحفظ حيائه وطهارة العرض أمام الآخرين .

فلما حان وقت وضع الحجر تنازعا شديدا واختصموا فيمن يحظى بهذا الشرف العظيم حتى تحزبوا وأعدوا للقتال، فمكثت قريش أخيرا على

²² د/محمد سيد أحمد الميسر/ الرسول حول الكعبة ص 13
²³ البخاري عن عمرو بن دينار/ ابن حجر. فتح الباري ج 7 ص 7

ذلك أربع ليالٍ أو خمساً ثم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا الأمر فأجمعوا على أن يجعل بينهم فيما اختلفوا فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينهم فيه بمشيئة الله جل شأنه أنه كان أول داخل عليهم هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا. هذا محمد. فقال صلى الله عليه وسلم: هلم إلي ثوباء فلما أتى أخذ بيده المباركة الحجر فوضعه في وسطه ثم أمر لهم: خذوا كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعه جميعاً - ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه، فوضعه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ثم بُني عليه. وهكذا حلت مشكلة عظيمة وختمت الأمر بكلمة الوفاق كل الشقاق بحكمة بالغة لمحمد صلى الله عليه وسلم وبعقله الحادة البصيرة ذلك كلها قبل بعثته صلى الله عليه وسلم.

حينما تجددت قريش الكعبة لم يتمكنوا من بنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام فاخرجوا منها الحجر وجعلوا للكعبة باباً واحداً من ناحية الشرق وارتفعوه يتمكنوا من السيطرة على الداخلين. فيسمحوا لمن شاءوا ويمنعوا من شاءوا²⁴ وللرسول صلى الله عليه وسلم نظر خاص فيه وظهر رأيه كمالاً روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: ألم ترى أن قومك قصرت بهم النفقة، ولولا حدّثنا قومك بكفر لنقضت الكعبة وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً وأدخلت فيها الحجر²⁵

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلم أجمرت امرأة الكعبة

²⁴ رواه البخاري ومسلم/ فتح الباري ج 7 ص 229/ وشرح مسلم ج 9 ص 97

²⁵ رواه البخاري ومسلم/ فتح الباري ج 7 ص 229/ وشرح مسلم ج 9 ص 97

فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت، فتشاورت قريش في هدمها وهابوه. فقال الوليد بن المغيرة: إن الله لا يهلك من يريد الإصلاح فارتقى على ظاهر البيت، ومعه العباس. فقال: اللهم لا نريد إلا الإصلاح، ثم هدم، فلما رأوا سالما تابعوه.²⁶

ولما أقبلت سفينة الروم وانكسرت قريب جده فخرجت قريش لتأخذ خشبها فشارك النبي صلى الله عليه وسلم معهم ليحمل الأخشاب والأحجار من أجياد، وكان بين ذلك وبين المبعث خمس سنين^{27، 28}؛
و كانت قريش تسمى محمدًا قبل أن ينزل عليه الوحي "الأمين".
هذه شهادة صدقه صلى الله عليه وسلم وأمانته حتى يوم القيامة.

4. أم القرى والوحي المحمدي

من كنز أم القرى الثمينة قطعة كبدهل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى الوحي من السماء العليا فلم يصبه شيء من سفاح الجاهلية واشتهر من قبل مبعثه في قومه بأنه الصادق الأمين، ووقعت إرهاصات كثيرة قبل بعثته، مثل حفظ الكعبة من هجمة الأحباش، وبركته عند حليلة السعدية وتنبؤات الراهب بحيراء، وما رآه ميسرة خلال رحلته التجارية إلى الشام وغير ذلك كثير.

و قد كان رسول الله قبيل تلقى الوحي يرى الرؤيا الصالحة فتحققت

²⁶ ابن حجر - فتح الباري ج 7 ص 228

²⁷ نفس المصدر

²⁸ نجم الدين نهد القرشي الهاشمي / اتحاف الوري بأخبار أم القرى ج 1 ص 144-160

كما رأها وكان يتحنث في غار حراء، هو مكان ملائم لإثارة خيال الإنسان وحرارة كان كهفا في قمة الجبل 'جبل النور' قريب مكة - أم القرى - بثلاثة أميال. وكان صلى الله عليه وسلم يحب الخلوة ويفكر ويتأمل في ملكوت السماوات والأرض، وينظر من قمة جبل النور إلى كعبة المشرفة - بيت الله العتيق - وكان محمد بن عبد الله - الرجل الأمين رديف الفقير - يجاور من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين ويطعمه ثم يجيء ويطوف الكعبة حينما يرجع من الغار ثم يدخل إلى بيته وفي هذا الشهر الذي اختاره الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للتعبد هو شهر رمضان كله أو معظمه، وفي يوم ليلة القدر - كان يوم الوحي الأول - جاء إليه الحق ولقي جبريل عليه السلام ويحدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم²⁹ عن ساعة ذلك اللقاء الفريد: فجاء الملك فقال: اقرأ. قال ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني حتى بلغ إلى آخر الحديث المشهور. فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق. إلى علم الإنسان ما لم يعلم.³⁰ ثم ذهب إلى أهله بالخير ثم حاول وزوجته الحنينة السيدة خديجة بنت خويلد أن يتفهم حقيقة ما حدث فقالت في قول ثقة كاملة: أبشرو وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. ثم أقره ذلك ورقة بن نوفل العارف بوحى الأنبياء - هو من راهب أهل الكتاب - فقال: والذي نفسي بيده إنك لنبى هذه الأمة. ولقد جائك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، وخوف تؤذى وتكذب وتخرج وتقاتل

²⁹ البخارى والمسلم
³⁰ سورة العلق - آية رقم 1-5

قومك. فتعجب الرسول، فسأله: أو مخرجي هم؟ فقال: نعم لم يأت رجل قط
بمثل ما جئت به الا عاداه الناس وحاربوه، وان ادركت ذلك اليوم وطالت بي
الحياة نصرتك نصرًا مؤزرًا. وفي رواية البخاري قال ورقة: يا ليتني فيها
جدعا،³¹ ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك!... ولكن شاء الله أن يموت ورقة
قبل ان يصدع الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة وقبل ان يتابع الوحي.
وانطلق نور الله من غار حراء، ثم مضى مدة الفترة ثم تتابع الوحي،
ومن هنا قريب حراء في وسط أم القرى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحمل الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى يتم
رسالات ربه فالله اتم نوره ولو كره الكافرون، والمنافقون، أرادوا كلهم أن يطفؤوا
نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كرهوا جميعا، فصارت أم
القرى وغلر حراء منار النور وفنار الضوء والهداية ومنبع الدين الحنيف
والشريعة والحمد لله.

³¹ جدعا : ان يتمنى شابا فتيا يتمكن من الدفاع عن الرسول صلعم ونصرته.

الفصل الرابع الدين والثقافة حول الكعبة

1. تشهد الكعبة للثقافة

تكوين. قد توظفت الكعبة المعظمة على تشكيل ثقافة باهرة أكثر من تكوين أية ثقافات عالمية أخرى، لأن الكعبة المشرفة قبلة المسلمين الوحيدة، وهي رمز وحدتهم، فتكون قلوب الأنام جالبة إليها ولو كانوا يعيشون في أنحاء شتى في العالم، فإن ثقافة الكعبة ما تكونت بنفسها وما تشكلت تصنعاً بل انهد تشكلت بتشكيل طبيعي خاص، لأنها وضعتها الله للناس جميعاً وجعلها مثابة للناس وأماناً تشملها بركة الله، وتقوم فيها آياته "فيه آيات بينات مقام إبراهيم"³²

وكذلك كانت الكعبة مركزاً دينياً لجميع أصحاب الأديان السماوية قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد مجيء الرسول كانت هذه القوائم الدينية تقوى وتجلى وقد كشف الله عن اختيار الكعبة قبلة للمسلمين يتجهون إليها في صلاتهم ويرتبطون بها بقلوبهم من تمام وسائل التمييز لهذه الأمة، بما حباها الله من نور، وبما مكّن لها من هداية، فمكانها في الأمم مكان العلم الهادي والسراج المنير، ترشد إلى دين لا غلوفيه ولا تقصير. وتقوم على أفضل النظم وخير المبادئ وأقوم المناهج، وتقع من الإنسانية مقعد الأستاذ من تلميذ تعلمها وتهديها. فهي خير الأمم وأعدلها. ويوم القيامة

³² آل عمران - رقم الآية 96

تشهد على الأمم بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم ورسول الله يشهد عليهم مثقفاً ومزكياً ومصداقاً كما أخبر جل وعلا في محكم تنزيله: "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً".³³

فصارت الكعبة المعظمة قطباً للرحل للثقافة والدين منذ العصور ثم جرت مع الدهر حتى أن كملت ثقافة الإنسان كاملة كما كملت الدين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فكان شاهداً لجميع الأمم قبله وبعده. كما رواه البخاري عنه بقول محمد صلى الله عليه وسلم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت. فيقول: نعم، فيدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغكم، فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد. فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: "محمد وأمه" قال. فذلك قوله "كذلك جعلناكم أمة وسطاً" قال: والوسط العدل افتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم اشهد عليكم.³⁴ فدين الإنسان وثقافته خالداً حتى يوم يبعثون كما تقوم الكعبة في أصلها خالداً دائماً مخلداً.

2. الدين ينتقل إلى الناس

لما نزلت: "وأذّر عشيرتك الأقربين"³⁵ سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال: يا فاطمة بنت محمد... يا صغية بنت عبد

³³ البقرة - رقم الآية 142

³⁴ رواه البخاري

³⁵ سورة الشعراء - آية رقم 214

المطلب... يا بني عبد المطلب ..لا أملك لكم من الله شيئاً سلونى من
مالى ما شئتم.³⁶ وفى رواية: دعا رسول الله قريشاً فاجتمعوا فعم وخص
فقال: يا بني كعب بن لؤي..... يا فاطمة. أنقذى نفسك من النار فانى لا
أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبليها ببلاها".³⁷

فعرف العالم كيف تبدل الدعوة وفيه قدوة صحيحة وإعلان هامة بأن
الإنسان – لو كان نبياً أو غيره – لا يملك هداية أحد، ولكنه يستطيع لمن يقوم
بالدعوة والتبليغ والنصح والبيان، والرسول قد برئ ذمته أمام الخلائق وأمام
الله.

والرسول صلى الله عليه وسلم تنفذ رسالة ربه بأسلوب خاص كما أمر
الله لموسى وهارون عليهما السلام. "وقولا له قولا لينا لعله يتذكر. أو
يخشى"³⁸ ولما اجتمع قريش بوادى الصفا فقال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم ان
خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ فقالوا: ما جربنا عليك كذبا.
فقال: فإنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد: نرى هنا لأن فى تبليغ رسول
الله عبرة عظيمة هي براعة استهلاله ولباقة عرضه وبلاغة حوارمه وحكمة
بالغمه وتأمل كيف استنطقهم بصدقهم وكيف ألزمهم بتصديقه. ثم وقعت ما
وقعت ما شاء الله.

ثم آمن من آمن وكفر وكذب واستكبر من استحق لها وأحس

³⁶ رواه مسلم
³⁷ رواه مسلم. بل رحمه: وصلها
³⁸ سورة طه – آية رقم 44

المصطفى منهم إيماناً وكفراً وإطاعة وعناداً وتسليماً وأنكاراً ولكن الله أتم نوره وأنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فاستبدل الكفر إيماناً، وغيرت العناد طاعة وتسليماً وملأت الأرض قسطاً وعدلاً وتحكمت البلاد والأقطار على دين الله والناس دخلوا في دين الله أفواجا من العجم والعرب والشرقي والغربي ومن في الأرض جميعاً ما شاء الله فانتشر الإسلام أقطار العالم كله بواسطة أطهر الأمم وأصحابها قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وانتشروا في الأرض وابتغوا من لقاء الله ورضوانه وما ابتغوا زينة الدنيا وغرتها تركوا الدنيا لجنّة الخلد وطرحوا زخرف الحياة لغرف الجنان التي تجرى تحتها الأنهار وتعرفت دين الإسلام حق المعرفة وكان في بدايته غريباً وحملت السابقون الأولون على البأساء والضراء وواجهوا مصيبات الدنيا تراكماً كالجبل الأصم ولكن الله قد انتقلها من أيدي إلى أيدي مستحقة خالصة. فاستقام في الدنيا ديناً حنيفاً وقامت الدلائل ضد الكفر والنفاق والشرك والباطل والفجور والمنكرات والسيئات، ذلك كله ذكرى للذاكرين.

اليوم وقد علا صوت الإسلام وترجف أرجاء الدنيا الأربعة بالعقائد والفلاسفة وبالعدل والاحسان وبالعلم والثقافة وبال عمران والمدنية وبالحكم والشريعة وبالعلوم والفنون وبالسياسة والقيادة والعز والكرامة. فمن الذي شدمئزره إلى الإسلام وأخذ رحاله إلى دين محمد الحنيف يسجد له فيه الإتحاد والألفة والأخوة والسواسية والمنة والكرم والجود والهمم والعزيمة

والثبات،- والجهد- والجد،- والمساعدة- والإحسان- وغيرها- من-الخيرات
والبركات متوفرة بأعلى درجة، ولكن الأسف الشديد لا نجد أحدًا أن يأخذ
هذه الدعوة التامة بحقها مع الخيرات التي وعدنا الرحمن، فان وعد الله
حق ولكن أكثر الناس بايات الله يسحرون؛ والكعبة المعظمة تقوم في مقامها
وتشهد على معانديها وتبكي هادئة وتشكو إلى ربها كما شكت من قبل، لما
رقصت- الشرك والكفر- أمامها- بدون- حياء،- وتذرف- دمعا- على- الطائفين
والعاكفين- والركع السجود، ولكنهم لا يعقلون ويدعون أنهم مسلمون، ويتبعون
ملة أبيهم إبراهيم وابنه محمد صلى الله عليه وسلم كما زعموا الجاهلين
العرب من قبل.

3. مركز فشا منه الثقافة

بعد فتح مكة صارت الكعبة تحت ظل التوحيد الخالص والدين
الحنيف مرة أخرى بعد إبراهيم عليه السلام؛ فتنورت كمنارة ساطعة توافد
الناس إليها وأخذوا منها جُل ملىشؤون من الايمان والتقوى والثقافة والتزكية
كما قال عمر بن الخطاب يوم أسلم: " فوالذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس
جلست فيه الكفر الا أظهرت فيه الايمان " فمن الذي علق قلبه مع الكعبة
فيمتلاً ذهنه ثقافة جديدة مع ايمانه وتقواه، ثقافة فشت الكعبة في العالم أولاً
- رسالة التوحيد؛ و دروس- الاتحاد والألفة ثانياً والأخوة الإنسانية الكاملة
ترقص حول الكعبة ثالثاً والوافدون الذين يأتون إليها يرجعون الا بعدما
أخذوا العلم والأدب والحضارة رابعاً والخامس يتبادلون من إخوانهم الرأفة

والود الحقيقي لا سيما إن كان معتمرا أو حاجا، وسادسا ينصرفون بعضهم بعضا كرمهم وحبهم وصبرهم، ويتبادلون قصص أسوة الرسول وأصحابه لمن اتبعه سابعاء فأمل أقواله وأفعاله ومواقفه ومناهج الصحيح الذي يلح الحاجة إلى حياته ماسة، والإنطلاق منه إلى حياة كريمة في الدارين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على تطبيق أفضل سلوك وأقوم سبيل وجعل من نفسه مثلا أعلى وأسوة لكل من أوجأ إلى جوار بيت الله الحرام فيرى في سلوكه وثقافته ومعاملته كمال السلوك وأتمه وأعدله وأمثله ومع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر إلا أنه يقوم حتى تتفطر قدماء ويقول مجيبا على قيامه أفلا أكون عبدا شكورا.

الاعتدال في الانفاق والاستهلاك بأن يكون متوسطا في المأكل والمشرب والمصروفات عموما من ملبس ومسكن وتأثيث ومركوب وغيرها، فلا التقتير ولا التبذير والإسراف وإن يكون بين كل ذلك قواما - هذمرسالة الكعبة للعالم كله - ترسلها إلى كل قلب غير متكبر جبار - لأن من تحج إلى جوار الكعبة يشاهد عن هذا المبنى غير مزخرفة وسدنتها وكسوتها سهلة لينة الجنب، (أستثنى بهذا القول على ما جرى في عادات الشعوب والأمم من مظاهر بعيدة كل البعد عن الإسلام بعضهم يفتخرون بزخارف الدنيا والإسلام برئ عنها) فالثقافة الإسلامية لا يسمحها أبدا هذه الإسرافات والتبذيرات، ولا شك أن هذا المظهر ما هو إلا رياء وضياء للثورة، والإسراف المذموم يفسد كل الثقافات والحضارات فتكون الثقافة جوفاء لا لب فيها؛

4. براءة الكعبة من الصحيفة القاسية

لما قست الإنسانية من بعض السفهاء مكة حاصروا قطعات كبدهم -
رجلا أمينا صادقا ومن معهم - في شعب أبي طالب بالجبل، وتعاهدوا فيما
بينهم على ألا يجالسوا بنى هاشم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم. حتى
يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل أو كتبوها في صحيفة فيها
عهود ومواثيق، واستحفظوها في جوف الكعبة، وظلت هذه المقاطعة ثلاث
سنين اشتد فيها البلاء على المسلمين حتى كان يسمع صوت نسائهم من
شدة الجوع، وأكل المسلمون خلالها أوراق الأشجار، في هذه المحنة القاسية
تحركت قلوب أهل الكعبة - وإن كانوا مشركين - فذاب قلب زهير بن أبي
أمية المخزومي فنادى بأعلى صوت: " يا أهل أم القرى - ويا أصحاب
الكعبة المعظمة - فانا نأكل الطعام ونشرب الشراب ونلبس الثياب وخواننا
بنو هاشم يهلكون جوعا وعطشا جوارنا، والله لا أقعد حتى تشق هذه
الصحيفة القاسية القاطعة الظالمة."

وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلم تترك اسما لله الا لحسته، وبقي
ما فيها من شرك وظلم وقطيعة، وأطلع الله رسوله بالوحي على الذي صنع
بهاء فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب، فلم يتوقف في
تصديق الخبر، وذهب مسرعا حتى أتى الكعبة، فحدث قريشا قائلا
" لأعصينكم أمرا فيه نصف، إن إبني أخبرني - ولم يكذبني - أن الله عز
وجل برئ من هذه الصحيفة التي في أيديكم، وأنه محا كل اسم له فيها، وترك
فيها غدركم وقطيعتكم، فإن كان ما قال حقا، فوالله لانسلمه إليكم حتى

نموت- عن- آخرناء- وإن- كان- الذي- يقول- باطلا- دفعناه- لكم- فقتلتموه- أو
استحييتموه"³⁹ ففتحوا باب الكعبة وطلعوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر- أبو
طالب، فخرج بنو هاشم من شعبهم وخالطوا الناس. وكان خروجهم في السنة
العاشرة من البعثة. فهكذا برئت الكعبة من صحيفة قاسية ظالمة لثقافتها
الراقية ولله الحمد.

5. الكعبة قبلة للعبادة

العبادة لله محتومة للعبادة والصلاة فريضة مكتوبة في رسالات الله
إلى البشر- دعا إليها الأنبياء جميعاء وأوحى الله بها عباده على مدى
الأجيال. دعا إبراهيم عليه السلام لربه "ربنا ليقيموا الصلاة"⁴⁰ ودعا أيضا:
"رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء"⁴¹ فأنفذ إبراهيم
عليه السلام في حياته وأدب بها ابنه اسماعيل عليه السلام وأصحابه، وأقام
بينهم حق القيام بهاء وأمر بها الناس كافة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم
علم بها وأمرها بأمته. وكان المسلمون يصلون في مبدأ الدعوة الإسلامية في
مكة صلاة بالعادة والعشي، ثم انتقل رسول الهدى إلى المدينة المنورة فأقام
بينهم الصلوات الخمس بمواقيت بقول الله تعالى: مأمورة "إن الصلاة كانت
على المؤمنين- كتابا موقوتا."⁴² تجرب بها أمته لأن- "جبريل- نزل- عليه
السلام فأمر به فصلي معه خمس مرات"⁴³ تكرر تدريب جبريل عليه السلام
بالرسول مرتين في يومين فصلي الخمس في اليوم الأول في أول الوقت

³⁹ فتح الباري / ابن حجر ج 7 ص 192

⁴⁰ سورة إبراهيم - الآية رقم 37

⁴¹ سورة إبراهيم - الآية رقم 12

⁴² النساء - الآية رقم 103

⁴³ رواه مسلم في صحيحه من أبي مسعود/ أبو داود/ والترمذي

وفى اليوم الثانى فى آخر وقت الإختيار هكذا شرع الله لأمة الأنبياء
بصلوات الخمس حتى قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا
محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت فيما بين هذين الوقتين⁴⁴
وكانت قبلة المسلمين فى الصلاة أثناء العهد المكي - برواية ثابتة -
إلى الكعبة، ثم لما وقعت الهجرة صلى المسلمون إلى بيت المقدس مؤقتا
واستمرت بعد الهجرة إلى أن صرفهم الله إلى الكعبة بأمر من الله بقوله:
"وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره"⁴⁵

جعل الله تعالى وحدة صفوف المسلمين بإستقبال القبلة إلى الكعبة
المشرفة واشتمل فيها مقاصد شتى منها كما نورد: "ولكن اذا ما أحس
المسلمون بوحدة صفوفهم وقوة إيمانهم واتخذوا موقف الدفاع وأذن لهم
بالقتال فليتجهوا - إذن إلى البيت الحرام بمكة ليحيا في وجدانهم حتى
يطهروا من رجس الوثنية ثم إن البيت هو هنا بناء إبراهيم الجد الأكبر
للعرب واليهود معاً وهو أول بيت وضع للناس، ولذا كان الرسول صلى الله
عليه وسلم يكثر الدعاء إلى الله تعالى أن يجعل قبلته إلى البيت الحرام
بمكة، وهنا نزل قوله تعالى: "قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة
ترضاها إلخ"⁴⁶

⁴⁴ المباركبورى/ تحفة الأهودى بشرح جامع الترمذى ج 1 ص 464

⁴⁵ سورة البقرة - الآية رقم 144

⁴⁶ د/محمد سيد أحمد المسير/ الرسول ص حول الكعبة 37

الفصل الخامس مناسك الحج والعمرة وتأثيرهما في الأمم

1. مقاصد الحج والعمرة

الحج والعمرة أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام ودعائمه الخمس، وفرض من فروضه، دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وهو فرض عين على المكلف المستطيع مرة واحدة في العمر، ومن أنكر ذلك فقد كفر، ويجب على من لم يحج وهو يقدر عليه أن يبادر إليه، ومن حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة؛ وإذا عزم أحد على الحج أو العمرة استحبه له أن يكتب وصيته ويبادر إلى التوبة وأن يتخير النفقة الطيبة وأن يصحب الأخيار وأن يعلم كيفية المناسك وأن لا يؤذى أحداً وأن يتجنب الرفث والفسوق والعصيان والجدال، وأن يذكر ويدعو ويعبد الله ويخلص النية. وللحج والعمرة مقاصد عظيمة سامية كثيرة، ونورد بعضها:

1. الحج ركن من أركان الإسلام وعبادة فرضها الله تعالى في السنة التاسعة للهجرة، وهو أكبر مؤتمر إسلامي يلتقى فيه المسلمون من جميع القارات على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم لأداء هذه الفريضة. ولذكر الله في أيام معدودات.

2. وهو العبادة التي يشترك في تأديتها الروح والجسم والمال والجهد والنفس، ويتطلب الجهد الذي لا تتطلبه عبادة أخرى في الإسلام.

3. للحج معنى سامية، هو ذات برامج تثقيفية وتربوية وتطبيقية مكثفة " تنظمها كل عام مدرسة بيت الله الحرام. الذي رفع قواعده أبو الأنبياء إبراهيم وابنه الحميم الحليم إسماعيل عليهما السلام.
4. الحج انعكاس حي لوحدة الأمة الإسلامية العالمية حينما يجتمعون على صعيد واحد بدون اعتبار اختلاف أسنتهم وألوانهم وشعوبهم وقبائلهم من جنس واحد ومن أب واحد وأم واحدة لا فضل لأحد على أحد أبداً.
5. رسالة الحج رسالة التوحيد الإلهي الواحد، وهي ترتب عليه في المجتمع الإنساني من الواجبات أكثر مما تمنحه من الحقوق، ويتحقق بأن تكون العبادة لله الواحد القهار، لأن العبادات التي تنسك في الكعبة والبقاع المجاورة حولها لله وحده.
6. الحج يمثل أوامر الله تعالى واطاعة محض لرسوله المرتضى صلى الله عليه وسلم بدون أي سؤال عن معنى ما يقومون به ويؤدونه من واجب، لكنه كان مختلفاً في نظرته لأداء مناسك هذه الشعيرة ولا يكون الخيرة من أمرهم ويسلموا بها تسليماً خالصاً بدون قيود.
7. الحج في الكعبة مركز ملجأ كل مؤمن يريد أن يتطهر ويغتسل من ذنوبه وخطاياهم ليبدأ طريقه من جديد بتوبة نصوح وقلب يترفع عن مغريات الدنيا وترفها.
8. الحج شعيرة جامعة للدين والدنيا معاً. وفيه تتجلى قيم الرحمة

والتعارف، وتنهمر رؤى السلام للطير- والحجر- والبشر- وهى رحلة الروح والجسد.

9. " الحج عرفة " فوقوف عرفة يذكر- المسلمين- بأنهم أمة واحدة، ويذكرهم المحشر- العظيم يوم الميعاد كأنهم يقومون أمام ربهم للحساب الأخير ثم يقضى بينهم إما إلى الجنة وإما إلى النار.

كلمة ختام عن مقاصد الحج، كما قال: علاء الدين معصوم حسن، تحت عنوان: " حكمة الزمان والمكان في خامس الأركان " ملانصه: "(ومن مقاصد الحج الرئيسية تجديد الصلة. بمؤسس- الملة إبراهيم الخليل- عليه السلام، ومن ثم تجديد الصلة بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي أصبح الحج في- ظل- رسالته- مركزا- للهداية- والجهاد- يلتقي- فيه- الحكماء- والزعماء، والرجال- والنساء- والأغنياء- والفقراء- مؤكدين- أنهم بوحدتهم أقوياء- وان هذا اللقاء هو سبيل- البناء- والعطاء- فالحج مؤتمر- عالمي- دعا إليه رب واحد، وحدد دوراته في زمن- واحد- ورسم- منهجه في كتاب واحد، واستجاب له المؤمنون- بزي- واحد- تزيدهم غبرتهم جمالا- ويزيدهم شعشهم وقاراء- مع الزحام في سلام، ودعائهم ' لبيك وسعديك، ضجيجهم ضراعة، وأملهم قبول الطاعة، سيماهم خشوع، ودعواهم خضوع، وفي جلال- وحدتهم ذابت الألوان واللغات، والفروق- والطبقات، فلا نسب الا الإسلام- ولا حسب إلا الإيمان تتعاون الطاقات، وتتكامل الامكانيات، وتتجدد الذكريات،

شعنا أتوك حداهم الإيمان والشوق والتسليم والإذعان

جاءوك يارب الأنام لعلهم

أذ يرجعون يظلمهم غفران

أصواتهم نحو السماء سعى بها فوق الخدود بدمعهم برهان.⁴⁷

2- الحاج والمعتمر

وقال تعالى: "الحج أشهر معلومات. فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، وما تفعلوا من خير يعلمه الله فتزودوا، فإن خير الزاد التقوى، واتقون، يا أولى الألباب".⁴⁸ على الحاج والمعتمر ان ينفقه في احكامها، وان يحافظ المسافر على جميع الواجبات، وان يتخلق بالخلق الحسن، وان يحافظ على الأدعية والأذكار الواردة الصحيحة، تبدأ أركان الحج والعمرة عند الإحرام من الميقات. ان يغتسل ويتطيب ويلبس ثياب الإحرام، ثم ينوي الإحرام قائلًا " لبيك اللهم عمرة" - او " لبيك اللهم حجة" - أو كيف مل أراد من النسك تمتعًا أو قرانًا أو مفردًا: ثم يلبي التلبية " لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك" ويجهر بها الرجال دون النساء، وان يأدب آداب الاحرام كلها بعد دخول الإحرام. (والبيانات للنسك تطلع في الكتب المناسك).

مواقيت الإحرام : خمسة. ذوالحليفة لأهل المدينة؛ والجحفة (رابع) لأهل الشام، وقرن المنازل (السيل) لأهل نجد؛ ويللم لأهل اليمن، وذات عرق

لأهل العراق

واجبات الإحرام : أن يحرم من الميقات؛ والتجرد من المخيط للرجال.

⁴⁷ مجلة الحج والعمرة - مقالة - عدد 57/10، ذى الحجة 1423 هـ الموافق مارس 2003 م.
⁴⁸ سورة البقرة - الآية رقم 197

سنن الإحرام : الاغتسال والتطيب؛ الإحرام في إزار و رداء؛ تقليم الأظافر؛ التلبية وتكرارها؛ ووقوع الأحرام بعد صلاة أفضل.

محظورات الإحرام : ازالة الشعر؛ تقليم الأظافر؛ تطيب بعد الإحرام والجماع وما يترتب من الشهوات؛ لبس القفازين؛ قتل الصيد؛ يحرم للرجال لبس المخيط وتغطية الرأس. ويخص للنساء لبس النقاب فاذا خالف للمحظورات بلا عذر فعليه فدية.

3- أركان الحج والعمرة وواجباتهما

اركان الحج أربعة : هي الإحرام؛ والوقوف بعرفة؛ وطواف الإفاضة والسعي بين الصفا والمروة. وواجباته سبعة : الإحرام من الميقات؛ والوقوف بعرفة حتى تغرب الشمس؛ والمبيت بمزدلفة؛ والمبيت بمنى ليالي أيام التشريق؛ ورمي الجمار الثلاثة في أيام التشريق وجمرة العقبة يوم النحر؛ والحلق أو التقصير. وطواف الوداع. ومن ترك الأركان لم يتم حجه. ومن ترك الواجبات فعليه دم؛ ومن ترك السنن فلا شيء عليه.

أركان العمرة : ثلاثة : الإحرام؛ والطواف؛ والسعي.

واجبات العمرة : الإحرام؛ والحلق أو التقصير

كيف يعتمر : اذا وصل المعتمر أو الحاج في الحرم يطوف سبعة أشواط حول الكعبة يرمل في الثلاثة الأولى - إن استطاع - ويمشى في الأربعة الباقية مبتدئاً من الحجر الأسود وينتهي به، بعد فراع الطواف يرتدي بردائه ويجعل على كتفيه وطرفيه على صدره ثم يصلى ركعتي الطواف خلف المقام

إبراهيم- - ان استطاع- - والحرم كله مقام- ويقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة 'الكافرون' وفي الركعة الثانية 'الإخلاص' ثم يشرب زمزم وبعضه يصب على رأسه ثم يصعد على الصفا ويقرأ عند ذلك " إن الصفا والمروة من شعائر الله الخ"⁴⁹ ويستقبل القبلة ويقول لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير . لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده"⁵⁰ ثم يدعو رافعا يديه يكررها ثلاث مرات ثم ينزل فيمشى إلى المروة حتى يصعد المروة ويقول ويفعل كما قال و فعل على الصفا . يفعل ذلك سبع مرات ذهابه سعية و رجوعه سعية، ويستحب أن يكثر في الطواف والسعي من الذكر والدعاء وأن يكون متطهرا في الطواف ويستحب الوضوء للسعي، وإذا كمل السعي يحلق رأسه أو يقصره، والحلق للرجال أفضل، وللنساء يقطع أطراف الشعر قدر أنملة فقط، فقد تمت عمرته وصل له كل شيء حرم عليه بالإحرام.

كيفية الحج : وفي اليوم الثامن- يوم التروبة- من ذى الحجة قبل الزوال يحرم بالحج من مسكنه ويخرج إلى منى، ويكثر بالتلبية ويصلى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، قصر الصلوات الرباعية في أوقاتها بدون جمع، ويبيت بمنى تلك الليلة، بعد طلوع الشمس في يوم عرفة يتوجه من منى إلى عرفة وينزل بنمرة إلى الزوال- إن تيسر- ثم يصلى الظهر والعصر

⁴⁹ البقرة - الآية رقم 158
⁵⁰ رواه مسلم - رقم الحديث 1218

قصرًا وجمعًا جمع تقديم بأذان واحد وإقامتين، ويخطب الإمام بخطبة، وبعد الصلوة يقف بعرفة - والعرفة كلها موقف - الا بطن عرفه، ويجتهد في الدعاء والذكر والتضرع والخشوع إلى الله ويدعوا بالأدعية الكثيرة والذكر والقرآن قيامًا وقعودًا وعلى جنوب حتى طلوع الفجر ليلة العاشر، فمن وقف نهارًا وجب عليه البقاء إلى الغروب، ومن استطاع وقوف عرفة ليلا فقط يكفيه، فاذا غربت الشمس من يوم عرفة ينصرف إلى مزدلفة بسكينة ووقار مع التلبية، ولا يجوز الانصراف قبل الغروب، وإذا وصل بالمشعر الحرام يصلى المغرب والعشاء جمعًا وقراءً ويبيت بمزدلفة عند الفجر يصلى الفجر ثم يقف ويستقبل القبلة ويكثر الذكر والدعاء وبعد الإسفار ينصرف إلى منى قبل طلوع الشمس مع التلبية ويلتقط في الطريق سبعة أحجار للرمي، وإذا وصل عند جمرة العقبة يرميها بسبع حصيات متعاقبات يرفع يده ويكبر الله بالتكبير، ثم يذبح هدية ثم يحلق أو يقصر شعره، فتحلل الأول، ثم يأتي إلى الكعبة ويطوف الإفاضة، ويصلى ركعتين للطواف، وإن كان متمتعًا فعليه أن يسعى بين الصفا والمروة؛ وإلا يكفي له بالسعي الأولى مع طواف القدوم، ثم يرجع إلى منى ويبيت بمنى فيقيم ثلاثة أيام بليالها ويرمي الجمار الثلاث في كل يوم زوال الشمس مع مراعات الترتيب بالجمرة الأولى ثم الوسطى ثم العقبة الكبرى. والرمي في اليومين الأولين من أيام التشريق واجب وكذا المبيت بمنى، إذا أراد أن يتأخر في يومين ويبيت بالليلة الثالثة ويرمي الجمرات في نهار الثالث فهو الأفضل، وإلا يرجع بعد الرمي اليوم الثاني

ينصرف من منى، ثم اذل أراد إلى بلاده فيطوف طواف الوداع هكذا ينسك الحاج (نكتفى ببيان الموجز هنا ومن أراد التفصيل فليعتمد على الكتب الفقهاء).

4 - تأثير الحج والعمرة في الأمة المسلمة

بعض المواقع جلالة لا تستطيع أن يعبرها من عبر ومقاصد، والحج منها ولعل هذا التدافع العظيم إلى بيت الله العتيق من كل فجاج الأرض واحد من أسمى تلك المواقع التي تسعى القلوب إليها هو أول بقعة على الأرض، والسعى الذي يشرع فيه عبرة تاريخ عظيم قد وقع بين أسرة إبراهيم الخليل عليه السلام وزمزم الذي يشرب الإنسان، والمقام إبراهيم الذي قام به وأذن للناس إلى الحج فأجاب لدعوته وفود من مشارق الأرض ومغاربها مذ بدأ حجته.

ومنذ تلك اللحظة الخالدة في تاريخ الانسانية اصطفى الله مكة المكرمة. حين اصطفى بيتها العتيق ليكون مهوى أفئدة الناس ومحل أمنهم، ورمز طهرهم الذي يليق بمن قصده من الطائفين والعاكفين والركع السجود. وهي تتطلب اخلاص النية لله تعالى، واعلان التوحيد له، وتعميم معانى السلام التي اكدتها النبي الأمي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة، هذه البلدة الطيبة تمنح للعالم رسالة أمن وسلامة، لأن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة، ولم يحل لأحد القتال فيه، ولا يعرض شوكة، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من

عرفها، ولا يختلى خلاها.

فالحج إلى بيت الله الحرام ليس كأي عمل آخر، انه رحلة خالصة لوجه الله تعالى. ومن يخلص يتجرد لتلك المقاصد العميقة التي قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة".

وفى يوم عرفة يوم الحج الأكبر أتم الله نعمته على أمته فأكمل دينه وأتم عليها نعمته ورضي لها الإسلام ديناً، وفى هذا اليوم العظيم يصل الحاج إلى قمة ما يتطلبه التوحيد والنقاء والطهر والوحدة والأخوة السامية يعلمون الحناجر الدعاء إلى البارى، وتعلن القلوب المؤمنة إيمانها بالله، وتمسكها بحبل الله المتين، وتقتدى أسوة رسول الثقلين صلى الله عليه وسلم، وفى ذلك اليوم يباهى الله جل وعلا ملائكته بعباد المخلصين؛

تجتمع وفود العالم بدون أية تفرقة بينهم، عربهم وعجمهم وأبيضهم وأسودهم ومدينهم وبدويهم ورجالهم ونسائهم وملوكهم ورعيّتهم، ويضم علمائهم وأمرائهم وخواصهم وعوامهم إلى آخر مرابح المتنوعة، هدفهم واحد، وهتافهم واحد، وربهم واحد، ونبينهم واحد، وملتهم واحدة، وقبلتهم واحدة، وشريعتهم واحدة. كلهم عباد الرحمن، يخشعون ربهم ويخضعون لبارئهم وينادون خالقهم ورازقهم. هكذا لا يوجد في العالم مؤتمراً عالمياً الا الحج، جميع من يشارك فيه ضيوف الرحمن، لاضيوف لأحد، ثم يرجعون هذا الجمع الغفير بأفئدة نقية صافية كأطفال يوم ولدتهم أمهاتهم.

5. تأثير الحج في الأمم العالمية

كثير من حجاج بيت الله ومجاورون ينقلون دروس الحرم الشريف إلى جميع أجزاء العالم الإسلامي إما للتعلم الدين الحنيف أو التعليم برسالة الله يتواصلون علمهم وثقافتهم لا سيما إلى أفريقيا أو الغرب أو إلى الدول الآسوية الكفرة. وكم من أخوة مسلمة ينهضون بالحياة العلمية الحرمية في بلادهم بعد أداء نسكهم يتزودون من العلوم الإسلامية والعربية. ثم يبلغونها بعد ما رجعوا إلى بلادهم سالمين. كما إنتشر عقائد السلفية إلى انحاء العالم بواسطة العلماء والمفكرين الذين غدوا من الحرم: ومدى تأثير هؤلاء الحجاج في هذا التواصل امتدادًا لدورهم في العصور السابقة في البلاد الأفريقية وغيرها.

والعلماء والمفكرون والمثقفون والأدباء والامراء الذين جاءوا إلى الحرم ثم انطلقت وفود الحج والعلوم هذه بعد عودتهم فبذلوا جهودا عظيمة للدعوة إلى الله، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن العبادات والتقاليد التي تخالف الإسلام. مركزة على توضيح العقيدة الصحيحة على التعليم الإسلامي العربي بقوى هذه لإنتشار الإسلام في بلادهم، وتحث عليها حكام الحرم منذ بداية الإسلام حتى اليوم، ويبذلونه أقصى جهودهم لهذا الهدى العظيم، برزت جهود وفود الحج والعلم في بداية النهضة أي منذ العشرينيات من القرن العشرين الميلادي، ويمثل أثرهم في الصحيح العقيدي، وفي التعليم الإسلامي العربي يبرز روافد الصحو الإسلامية الحديثة والمعاصرة علما وعملا وتعلما وبناء المدارس والكليات والمعاهد الإسلامية العربية

الأهلية كما تحقق قوله تعالى: " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين " ⁵¹ ولا تزال معاهد كثيرة من أولئك العلماء منارات علم ودعوة وحصونا منيعة للإسلام واللغة العربية.

والحج يربط قلوب المسلمين جميعا بتأثير علمي وديني إن كانوا يعيشون أقصى قطر العالم. " أن الحج يشكل في ذاته مؤتمرا إسلاميا، يتلاقى فيه المسلمون العالمى كل سنة في الأرض المقدسة المطهرة، الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى تأكيد و تأصيل روابط الصلة بين جمهور المسلمين، ورغم الخصوصيات المتعلقة بكل شعب من شعوب الأمة الإسلامية فإنهم محكومون - بطبيعة عقيدتهم وشريعتهم بروابط قوية تحدد مصيرهم المشترك، وهويتهم الواحدة التي يتحدد في ضوءها وجودهم " ⁵²

والحجاج يتوافدون من فجاج الأرض إلى البقاع المقدسة لأداء مناسكهم، فهم لا يأتون كسياح أو مؤرخين أو جغرافيين رحالة. بل انهم يطلبون الله العفو والمغفرة من الذنوب، ومع ذلك قصد الشارع منه تحقيق مصالح أخلاقية واجتماعية واقتصادية وسياسية، ولقد أسست الامبراطورية الإسلامية الكبرى تمتد إلى المحيط الأطلسى غربا كما تمتد إلى حدود الصين شرقا، ومن آسيا الوسطى وجبال القوقاز إلى جنوبى الصحراء الكبرى، ومن هنا ينبغى أن يتصور تنوع المواقع الجغرافية التي يمر منها الحاج ليصل إلى القطب، إلى المحور الذي يتجه اليه المسلمون من كل جهة إلى

⁵¹ سورة فصلت - الآية رقم 33
⁵² مجلة الحج والعمرة 57/4 جماد الآخرة 1423 / أغسطس 2002م

الجزيرة العربية. كما ينقد السيد/ عبد الهادي التازى في مقاله " طريق الحج - البعد الثقافي والحضاري " في المجلة الحج والعمرة كما نصه".

" لنضع- أمامنا- خريطة- للعالم- الإسلامى- برمته،- تتوسطه-الكعبة المشرفة، ندرك المعنى الكامل- والشامل- للآية الكريمة التي- يتحدث عن المطايا يأتين من كل فج عميق، ولنجعل أمامنا هذه الخريطة لتقرب الصورة قليلا، ولنتتبع خطوط سير- الذين- يأتون- إلى مكة من أقصى المشرق، والذين يأتون- إليها- من- أقصى- المغرب، والذين- ينزلون- إليها- من- أقصى- الشمال أو يصعدون- إليها من- أقصى-الجنوب" " ولم يكن وقوف هؤلاء عند هذه المحطات من الجهات الأربع، فقط من اجل- الراحة والاستجمام، ولكنه وقوف يتصرف بالاتصال- المباشر- بمن- يوجد من- رجال- على- تلك الارضين والاستماع إليهم- والتأثير- بهم، و التأثير- عليهم- كذلك، فكرًا ومذهبًا وأعرافًا وعادات، وربما لإقامة علاقات تجارية وإنسانية، وربما أيضا لعقد مصاهرات وبناء أسر"⁵³

6. لا لون ولا جنس إلا ألوان الحق :

وجعلنا الله لنا شعوبًا وقبائل- لنعارف بعضنا بعضًا لا لإصباغ صبغة خاصة ولا يتلون ألوانًا متنوعة الا بالتقوى، والحج يتحقق هذه العقيدة السامية النافذة الشاذة بالواقع، يقول- ناشط سياسي أمريكي مسلم من كتاب 'ملكوم أكس' سيرة ذاتية كما ورد : " وكنت في عرفات، قد جلست في خيمة كبيرة،

⁵³ نفس المصدر ص 75

مع حوالي عشرين حاجا. كنت محط إهتمامهم، بوصفى مسلما من أمريكا، وكانوا قد سألوا عما لفت إنتباهي في الحج، فبدأت أرد على أسألتهم، وراحت القلعة التي تفهم الانجليزية تترجم للآخرين، وفاجأتهم اجابتي، ولكنهم وجدوها في الصميم. قلت لهم: الأخوة ووحدة هذا البشر المنتمى إلى كل لون وجنس اكدت لى قدرة الله الواحد.

ولعلني- أخللت- بالذوق،- ولكنني- انتهزت- الفرصة- فكلمتهم- عن العنصرية الأمريكية وشرها، وأترفهم ما سمعوه تأثيرا كبيرا، هم المسلمون ذوي القلوب الرحيمة والاحساس بالحق والعدل، كانوا يعرفون محنة الانسان الأسود في أمريكا، ولكنهم لم يكونوا يعرفون أنها لا إنسانية إلى ذلك الحد، وأنها تصيب النفس- إصابة وخيمة، وكانوا يدركون- ان العنصرية شرما في الوجود، لأنها دليل على عجز- الإنسان، ولا سيما في الغرب عن العيش في وحدة.

كنت حتى ذلك الحين قد صغت في ذهني رسالة حول انعدام

الاحساس باللون في العالم الإسلامى الراجع إلى التدين والانسانية وهما الصفتان اللتان كان أثرهما على يزداد يوما بعد يوم ويغير تفكيرى في حياتى لم أشهد أصدق من هذا الإخاء بين أناس من كل الألوان والأجناس، أذهلونى خلال الاسبوع الماضى بما رأيته منهم من لطف⁵⁴

⁵⁴ مجلة الحج والعمرة 3/59 ربيع الأول 1425 هـ/مايو 2004 م "بعنوان مرايا الحج"

الباب الخامس

الكعبة المشرفة وتأثيرها في الأدب

العربي

الفصل الأول:

هبات الكعبة للأدب العالمي وتأثيرها

الفصل الثاني:

تأثير الكعبة في تطورات الأدب العربي

الفصل الثالث:

الكعبة المشرفة في الشعر العربي

الفصل الرابع:

الأدباء والشعراء حول الكعبة بعد الإسلام

الفصل الخامس:

المعلقات وتأثيرها في الكعبة المشرفة

الباب الخامس الكعبة المشرفة وتأثيرها في الأدب

العربي

الفصل الأول هبات الكعبة للأدب العالمي وتأثيرها

وهبت الكعبة للأدب العالمي هبات متوفرة، كما وهبت للعقائد والثقافة والدين والعلوم المختلفة التي بينها في الفصول السابقة، نبين هنا أولاً عن الهدايا الكعبة وآثارها في الأمم لأنه قد تبادلت في مر العصور تبادلات كثيرة في الهدايا والهبات من الكعبة إلى الأمم ومن الأمم للكعبة.

1. هدايا الكعبة وآثارها

قد أهديت الأمم المتقدمة منذ نشأت الكعبة المعظمة هدايا كثيرة مادية ومعنوية وروحية، يبنو من كلام المؤرخين المسلمين أن أولى الهدايا التي قدمت إلى الكعبة هي هدايا فارس في صدر الزمان؛ فقد أهدى الفرس إلى الكعبة لؤلؤاً وجواهر: وقالوا: إن ساسان من بابك هو الذي قدم تلك الهدايا في البيت الحرام، كما قدم إليها جواهر وسيوف، وغزلان، من ذهب، وذهب كثير - وقد دفن الغزلان الذهبيان فيما بعد في بئر زمزم، ثم استخرجها منها عبد المطلب بن هاشم، وبقي بالكعبة حتى سرق أحدهما

نفر من شباب مكة الجاهلين كان منهم أبولهب وابنه وأبومسافع وآخرون.¹

¹ المسعودي/ مروح الذهب 1/265

من تعاليق الكعبة

1. ومن الآثار العتيقة في البيت العتيق قرنا الكبش، كبش الفداء الذي فدى الله به إسماعيل من الذبح قبل بناء الكعبة، وإسماعيل يومئذ غلام، إن هذين القرنين كانا مثبتين في جدار الكعبة بداخلها، وقد احتفظ العرب بهما نحو ألفي ونصف عام. كأثر قديم لجدهم الأعلى أبى الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل من الله عز وجل، حتى جاء الإسلام فشوهدا على ما هو معروف لدى قريش إبان جاهليتهم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأهما أمر عثمان بن طلحة الجمحي يسترهما بخمار، ولكنه لم يأمر بأخراجهما من الكعبة وإتلافهما بل استبقاهما في مكانهما من الكعبة وظل به إلى عهد الحليفة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وقد رأهما كثيرون من الصحابة والتابعين، وقرر بعضهم أنهما قرنا الكبشين لذاتهما.²

2. المعلقات من تعاليق الكعبة أيضا من هدايا الكعبة وآثارها التي نظمها شعراء جاهليون معروفون من أهل الجزيرة العربية مهد العروبة والإسلام. وهي سبع معلقات أو عشر، وقد سماها العرب - المعلقات - لأنهن علقن بالكعبة في الجاهلية القريبة من عهد الإسلام تقديرا، لروعة لغتهن وجمال أسلوبهن العربي الممتاز. وهذه القصائد هي من الشعر العربي الموزون المقفى.

² أبو الوليد الزرقى / أخبار مكة - باختصاره - ص 66

ما أهدى الإنسان للكعبة كثيرا من الهبات إلا ما عرفناه ولكن الكعبة المشرفة وهبت للإنسان جميعا عديدا بدون حصر من الهبات والهدايا في مر العصور المتطاولة منذ بدأت الكعبة، نبينها مما يلي:

2. هبات الكعبة للأدب العربي

والحمد لله الذي جعل البيت الحرام ماثبة للناس وأمناء حيث قال تعالى: " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض، وأن الله بكل شيء عليم³ تدل هذه الآية على أن جعل الله البيت الحرام نافعا للبشرية كله عائد العبادة أنفسهم، والمؤمن إذا أخلص عبادته لله وحده فيسر حلاوة الإيمان والعبادة الحققة له سبحانه وأثر رضا ربه على كل ما سواه فالعامل يعمل بهل والصانع يصنع بهل والمثقف يثقف بهل والمجاهد يجاهد بهل والأديب يأدب بهل والمفكر يتفكر بها، هذه طبيعة الإنسان، فالنظر في هذه الوجهة قد وهبت الكعبة لجميع طوائف الإنسان هبات عديدة ما رغب فيه قلبه والخيال والأدب والقريحة والفصاحة وجمع خصائص أوصاف الإنسان ترقى وتعلو امام بيت الله العظيم، لأنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها فهو الهها ومعبودها. ووليها ومولاه، وربها ومدبرها، ورازقها ومميتها ومحبيها، ولا عجب في ذلك، والعبادة مطلوبة لقصد الغايات والمقاصد، وهى نوع من أنواع الخضوع لا يستحقه الا الله العظيم. فمن أحب

³ سورة المائدة - الآية رقم 97

في ذهنه روحيا حب بيت الله الحرام. يفتح فؤاده وقريحته وخياله وفكرته على ما يشاء. بمثل هذه الفلسفة الروحانية عند الأدباء والفصحاء والبلغاء، فينبثق ويخضر ويصعد قواه إلى أعلى درجة، فينظم، ويخطب، ويشعر، ويعنى، ويوصف وو كلها يرضى قلب المحبوب صبه للمحب.

قد تأثرت الكعبة على لسان العرب فصحة وبلاغة في جميع تصريفاتهم العربية مثال ذلك، " في عهد عبد المطلب لما حدث الشقاق بين بنى هاشم وبنى أمية فاستحكم العداء بينهما مما هدد بإنقسام قريش. بل توجه باللوم إلى حرب بن أمية. فقال عبد المطلب بن هاشم له بقوله: يا أبا عمرو، أتنافر رجلا هو أطول منك قامته وأعظم مثل هامة وأوسم منك وسامة وأقل منك لامة وأكثر منك ولداء وأجزل منك صفداء وأطول منك مزودًا...⁴"

فأصبحت قريش في عهد عبد المطلب صبغة دولية فقد كانت تربطها معاهدات سياسية واقتصادية بالدول الكبرى في العالم القديم بسبب دفاعه الحكيم على ملك اليمن أبرهة الأشرم حتى بلغت الهلاك التام لهم بأصحاب الفيل بسبب الكعبة المشرفة، وكان توقيع هذه الدول لهذه المعاهدات بمثابة إعتراق بقريش كوحدة سياسية لها كيانه وقوامها واقتصادها، وكانت قريش تشجع العرب على الحج إلى الكعبة، ولذا عملت على إنصاف المظلوم ونشر العدل كما وفرت الماء والطعام للحجاج بيت الله الحرام.⁵ فالقريحة

⁴ الطبري - تاريخ الطبري ج 2 ص 14؛ فؤاد على رضا/ أم القرى ص 191
⁵ فؤاد على رضا/ أم القرى ص 192

الأدبية العربية قد ربت وأنبنت وازدهرت وأثمرت وأينعت وقطفت في ميدان مستوى العقول. فانتفعت للعالم كله انتفاعاً وفوائد كثيرة لا حدود لها ولا حصر.

ذلك أجمل مثال: لما أتى أبرهة وجنوده لهدم الكعبة المعظمة فدعا عبد المطلب ربه وهو أخذ بحلقة باب الكعبة وقال: مع دمة مذرفة:
"لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدواً محالك".

3. تاريخ أدب الكعبة قبل الإسلام

كان اخفاق حملة الفيل محوراً لنشاط أدبي كبير، فقد اتخذ كثير من الشعراء موضوعاً لقصائد عصماء، نذكر منهم عبد الله بن الزبير، وأبلقيس بن الأسلت، وطالب بن أبي طالب بن عبد المطلب، وأبل الصلت بن ربيعة الثقفي، والفرزدق، وعبد الله بن قيس الرقيات وغيرهم. أشار علماء اللغة المسلمون والمستشرقون إلى عدد من الألفاظ العربية ذكروا أنها من أصل حبشي، وهي من الألفاظ التي كانت مستعملة ومعروفة قبل الإسلام. وقد ورد بعضهما في الشعر الجاهلي.⁶

وقد كان قوم جاهلية يتواصون باجتناّب الظلم في البلد الأمين، ومن وصاياهم في ذلك قول احدي نسائهم توحى ابنا لها بقولها:

أبني لا تظلم بمك قد لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها بني ولا يغرنك الغرور

⁶ جواد على/ تاريخ العرب قبل الإسلام ج 6 ص 193

أبني من يظلم بمكـ

الشرور

أبني يضرب وجهه

أبني قد جربتها

الله أمنها وما

والله أمن طيرها

ثبير.⁷

ة- يلق- أطراف

ويلح- بخديه- السعير

فوجدت- ظالمها- يبور

بُنيت- بعرضتها- قصور

والعصم- تأمن- في

⁷ فؤاد على رضا/ أم القرى ص 150-151

وتواصيهم بالنهاى عن الظلم يغيرنا بتعرف فلسفة القوم التي كانت تحفزهم إلى ذلك.

لم يكن معظم العرب يهتمون بتعليم أطفالهم القراءة والكتابة فلم يكن التعليم منتشرا في الجزيرة العربية مجملأ ولكن قريش أهل الكعبة المشرفة بمكانتها وعظمتها كانت أكثر هذه القبائل اهتم بالتعليم اهتماما بالغاً نتيجة الحضارة التي وهبت الكعبة لأصلها وصلتهم مع الوافدين لأجل الكعبة إليها من الدول أرجاء العالم، والى جانب حاجة القرشيين إلى التعليم ليقوموا بواجبهم التجارية، وقد كان عبد المطلب مثله في ذلك مثل معظم القرشيين بجيد القراءة والكتابة والحساب.

وصف الآلوسى في بلوغ الإرب: " والحاصل إن العرب لما كانوا أتم الناس عقولا واحلاما وأطلقهم وأوفرهم أفهاما استتبع ذلك لهم كل فضيلة وأورثهم كل منقبة جليلة."

وقد مهرت قريش في عدة علوم منها في علم الأنواء وعلم الأثر، وعلم الانساب وغيرها. فذاع صيتهم بين العرب بأن قربة البيت وجوارها حظهم على ان يتحملوا هذه العلوم النادرة الفذة بحاجات التجارات والسفارات والعلاقات مع الغرباء من أطراف الأرض من مشارقها ومغاربها، وعدد الجاحظ صفات العرب لا سيما القرشيين وعدد العلوم التي اشتغلوا بها فقال:

" اذهان حداء ونفوس مفكرة. فحيث جلول حدهم ووجهول قواهم إلى

قول الشعر، وبلاغة المنطق، وتصاريف الكلام. وقيافة البشر بعد قيافة الأثر، وحفظ النسب والاهتداء بالنجوم والاستدلال بالآثار، وتعرف الأنواء، والبصر بالخيال والسلاح وآلة الحرب، والحفظ لكل مسموع، والإعتبار بكل محسوس واحكام المناقب والمثالب - بلغوا في ذلك الغاية وجازوا كل أمنية، وببعض هذه العلل صارت نفوسهم أكبر، وهممهم أرفع، وهم من جميع الأمم أفخر ولأيامهم أذكر..... الخ⁸

نعم، هذه جل التوهلات لهم بجاء هذا البيت العتيق لا غيره، لأن هذا البيت " أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا " فخالق البيت الحرام قد وهب لهم هذه الصفات الممدوحة لأنهم ما زالوا حراسين، وما برحوا حافظين، وكانوا يحبونه - حبا جما - أحب - من - أرواحهم - وأنفسهم، - فكبرت قريحتهم وعقولهم وخواطرهم أكبر من الآخرين، وتزايدت قواهم أقوى من قوى غيرهم. " فأرتفع شأن قريش في أرجاء الجزيرة العربية والدول المعاصرة في عصر عبد المطلب، ونظر الجميع إليها بعيني الحرمة والاجلال لشرف المحتد، وسمو الفكر، ولأنهم حماة الكعبة وسدنتها وعظم أمرها بعد اخفاق أبرهة الحبشي في غزو مكة وهدم الكعبة، فارتفع شأن عبد المطلب وقبيلة قريش"⁹

فبراعة قريش في اللغة وآدابها أقوى وأجل، وهم أهل فصاحة وبلاغة، ويعرفون ما هي اللغة وانواعها، وما هي الشعر، وأقسامها، ما هو النظم

⁸ الجاحظ/ تاريخ الإسلام ج 1 ص 68
⁹ فؤاد على رضا/ أم القرى ص 174

وفروعه، وما هي القوافي والأوزان دليل واضح على ذلك، وعند ما أصاب الجذب مكة وشعر الناس بوطأة هذا الجذب، أخذ عبد المطلب حفيده واتجه إلى الكعبة المعظمة وطاف بها هو والناس بالحرم سبع أشواط، وبحمل على عاتقه أكباد قلبه، ويشخص ببصره إلى السماء فنطق بكلمة أدبية جلابة القلوب قائلاً: " اللهم كاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسئول غير منجل، وهذه عبدائك وإماؤك، بعذرات حرمك، يشكون إليك سنتهم، فاسمعن اللهم وأمطرن علينا عيشا مريعا مغدقا"¹⁰

هذه الكلمات البليغة الجذابة ككلمات الوحي السماوية نزلت من علياء الملكوت، إلى الرسل فقط. ولكن أنه أحساب من قلب ربها الكعبة وثقتها، وأدبت ظل هذه البقعة المباركة مع حماية بيت الرحمن، بدون تدريس رسمي، بل طبيعي خالص خرد من صفاء وطهر فطري.

4. أدب الكعبة بعد الإسلام

بعد ظهور الإسلام علت مكانة الكعبة ومنزلتها إلى أعلى درجة، فعلت قوتها الأدبية إلى حد لا نهاية، سببت لهذه الرفعة القرآن العظيم وكلام النبي الكريم كرحلة الروح والجسد، فكل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها له شعور خاص نحو هذه البقاع الطاهرة المباركة المقدسة. فليس حدود القرآن والسنة في العرب فقط بل لحدولا حصر بمكان أو زمان أو بيئة أو سياق، وجميع الأزمنة والأماكن والبيئات والجو يلاحق لهما فكبرت وازدادت

¹⁰ الشيخ مأمون غريب/بيوت الله ص 8

وعلت آدابها مع العظمة والإزدياد والعلاء إلى أعلا ملكة وسلطنة، فانفجرت
منهما مئات من العيون الأدبية النقية الصافية، فعلقت كلها بالكعبة المشرفة
بعلاقتها القوية أكثر من الزمن القديمة، فولدت في رحم الكعبة جميع أنواع
الأدب والفصاحة والبلاغة والفنون المختلفة.

5. فكرة الحج قضاءً أدبيا

الكعبة والحج كانتا رصيدتان ضخمتان من الإبداعات الأدبية، سواء ما
كانتا حافزة للقول الأدبي، كشعر الحنين إلى الديار المقدسة، أو كتب
الرحلات الحجازية. أو ما كان الحج فيها وعاء تلك الإبداعات، كما في
أسواق العرب الأدبية في الجاهلية والإسلام، وعدّ العرب مكة المكرمة
والحج المكان الذي تتوج فيه الإبداعات الشعرية، كما في تعلق العرب
بعض غرر أشعارها على جدران الكعبة المشرفة.

ويستطيع الراصد لميسرة الأدب العربي، وآداب الشعوب الإسلامية أن
يلمح مدونة لأبأس بها من الإبداع الأدبي - شعرا ونثرا - قيلت في مناسبات
كان الحج عمود الارتكاز فيها. خاصة أن الرحلة إلى الحج، ولاشوق إلى
الأماكن المقدسة يختزنان طاقات محرّكة للإبداع، بل إن هناك أدبا في
الحنين إلى الحج انبني على الخيال المحض، فيما يمكن تسميته ب'الحج
المتخيل' وأبرز نصوصه 'هدية الحجاز' للشاعر والمفكر المسلم 'محمد

إقبال،¹¹

¹¹ مختصر من مقالة 'مجلة الحج والعمرة' عدد 58/12 صفر 1424 هـ إبريل 2003 م بعنوان 'فكرة الحج قضاءً أدبيا' لمنصور حازمي.

وقد ألف كثير من الأدباء عن المواقع والآثار الإسلامية في مكة المكرمة وعن الكعبة المعظمة وعن شعارها التي تقوم حولها، ويشرح جمال الكعبة بالتعبيرات الأدبية، وعن الأعمال للحج وعن المنظر الحرم المكي والطائفين بالبيت العتيق والساعين بين الصفا والمروة، والفائزين من عرفة ومزدلفة وعن رامين الأحجار والساكنين في الأماكن المقدسة وغيرها. حتى بدت في زماننا الفن الجديد "الأدب الروايات". وأدبائهم كثيرة جدًا في كل البلاد، لا سيما في الدول العربية، ونموها فنا من الفنون الجديدة، كالروايات في الرواية المكية السيد أحمد السباعي له فيه تأليف يسمى "مطوفون والحجاج"؛ وحامد دمنهورى في "ثمن التضحية"؛ وفؤاد عنقاوي في لا ظل تحت الجبل" وحمزة بوقري في "سقيفة الصفا"، هؤلاء كلهم من السعوديين؛ وكذلك من الرواة والروايات أفريقيا الغربية، كمثل كاتب السنغالي 'بيراغو ديوب' بعنوان روايات "أمادو كومبا" وهي رواية عن الظالمين المؤذنين على الحجاج في موسم الحج، والكاتب "الإيفوارى يتجانديم" المسماة "مرىما" هذه الرواية تنقل عادات وتقاليد شعوب غرب أفريقيا في شتى المراحل احتفالية الحج من إعداد ووداع واستقبال، وتركيز على إبعاد الحج الروحية والوظائف الاجتماعية والثقافية. وكذلك من كتاب الرواية المصرية كنجيب محفوظ، رضوان الحسين، وعبد الحميد وجودة السحار ويوسف إدريس، وعبد الرحيم عيسى وثروت أباظة؛ وبهاء طاهر وغيرهم.

فاتسعت هبات الكعبة المعظمة منذ الآن سنة إهداء كثيرة، وتترى

تكرارها حتى تقوم الكعبة المشرفة في الأرض إن شاء الله، واشتهرت قريش بشعرائها وأدبائها في العهد الجاهلي، وكما اشتهرت الشعراء والأدباء الإسلاميين، ثم عهد الأمويين والعباسيين ومن سار على نهجهم حتى يومنا هذا، يشتهرون أدبائهم وشعرائهم وكتابهم كلهم بسبب دين الكعبة وثقافتها، لا شك أنها تدور حول الكعبة، لأن الكعبة مركز العالم جغرافيا ومركز العالم دينيا وهداية وثقافية مع لاسيما لمسلمين العالم.

6. الحج في أدب الرحلات

لقد استمر اهتمام الأدباء القدماء والحدثاء والمؤرخين بأدب الرحلات غير مختلف العصور والحقب التاريخية بسبب طابعها الأدبي الشائق والرحلات ذخائر نفيسة، فهي من أهم فنون الأدب العربي، وكان لأسلافنا رحلات برية وبحرية تنوعت بتنوع أسبابها وحوافزها السياسية والدينية والإقتصادية، واهتم الرحالة المسلمون بوصف البلاد التي دخلت مع فتوحاتهم، وعن عباداتهم، وعن قبلتهم، وعن مناسكهم وغيرها من الاحداث ما يتوقع ابان رحلاتهم، فتحدثوا عنها في كتاباتهم التاريخية والأدبية، ودعاهم ما في القرآن الكريم من إشارات إلى الأمم السابقة وعن الكعبة المعظمة وتاريخ ابراهيم الخليل عليه السلام وأن يطلعوا على ما عند اهل الكتب السماوية قبلهم من أخبارها وأصبحت كتبهم التاريخية والجغرافية كتبا أدبية تعتمد على المشاهدة وهي من هذه الناحية كما يقول الدكتور شوقى ضيف أقرب إلى أن تكون كتب رحلات يغلب عليها الطابع القصص، وتجد لذة في

قراءتها؛ كما تجد في الأدب الروايات.

الفصل الثاني تأثير الكعبة في تطورات الأدب العربي

1. خواطر الأدباء ترتقص عند الكعبة

الحج عبادة، والكعبة المعظمة قبلة مسلمي العالمي؛ والرحلة إليها جهاد، وسمو بالنفس المؤمنة، ومن خلال مناسك الحج تغمر نفوس المؤمنين من الأدباء والشعراء والكتاب الملهمين إشراقات روحية جليلة، تشع حناياهم بأسمى معانى الإيمان والطمأنينة والخشوع والتقوى والأوصاف الممدوحة كلها،

وقد كانت ولا زالت عرفات ومنى، ومشعر الحرام، والصفو والمروة، والكعبة كلها وبقية المشاعر المقدسة في الأرض الطاهرة التي بارك الله حولها مليئة بالتسبيح والذكر من أفواه كثيرة من الشعراء الذين كتب الله لهم أن يزوروها فلم يخلو على هذه البقاع بأبياتهم الشعرية أو قصائدهم المطولة أو دعواهم سعادتهم بهذا الخط العظيم الذي نالوه وضمنوها من مشاعر الإيمان والعبودية والطاعة والخضوع ما فاضت به مشاعرهم، فإنهم ترتقصون حول الكعبة بخواطرهم و- خيالاتهم الأدبية والشعرية ويظهرون قريحتهم بها، واضطربت به نفوسهم، وعبروا عن تحقيق أشواقهم ومواجدهم.

والشعراء العرب- المسلمون المعاصرون- ليسوا أقل تشوقاً إلى الحج وأماكنه المطهرة من الشعراء السابقين، ولذا امتلأت دواوين الشعر العربى الحديث والمعاصر بقصائد تفيض حبا وهياما وشوقا إلى الحج وأماكنه، ومن ظفر منهم بتلك الرحلة عاد وسطر لنا شعرا رائعا إبتهلوا به وأنشدوه

فبقي في الذاكرة.

كأمراء- القبائل- الجاهلية- وأصحاب- المعلقات- وشعراء-الجاهلية
والإسلامية والخطباء المصاقع بينهم في صدر- الإسلام- وبعده، ثم في- عصور-
العباسية والأموية والمعاصرين- منذ آلاف سنة إلى- يومنا هذا- فمن- أجلاء
الشعراء- منهم- من- المعاصرين- كحسن- عبد الله- القرشي- المكي-، وأمير
الشعراء أحمد شوقي، والشاعر- عبد الله السقاف، والشاعر- المصري- رفعت
عبد الوهاب- المرصفي-، والشاعر- خالد البيطار- وغيرهم- عديدة-، فقائمة
أسمائهم طائلة، كما نورد منها كثيرا من قبل سنين الأكثر منها إن شاء الله.

2. الكعبة في الناحية الأدبية

و مارسد قريش- في جاهليتها ألوانا من الأدب العالى، فقد كانت من
أبلغ العرب وأفصحها وكان حظها في الشعر- والخطابة والوصايا والأمثال- لا
يستهان به، وقد حفظت لنا أمراء الأدب واللغة في الكتب الأدبية القديمة من
أمثال- الأمايلى- وطبقات ابن- سعد، والعقد الفريد، والأغانى، وأمثال- العرب،
ومجموع الأمثال- وغيرها، طائفة كبيرة من نفيس- الأدب في- عهد قريش،
واشتهرت قريش- بشعرائها المبرزين- في العهد الجاهلى، ومن- أظهرهم- أبو
طالب جد النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو سفيان بن حرب، وعبد الله بن
حذافة، وهبيرة بن أبى وهب المخزومي، وعبد الله بن الزبيرى والزبير بن
عبد المطلب، كما اشتهر حول مكة من شعراء هذيل- جنادة وجندب وعروة
والمتنخل- وأبو ذئيب وأبو خراش- وأسامة ابن- الحارث والعجلان- بن- خليه،

كما اشتهر في بادية مكة ومدنها القريبة ما يطول سرد ولا يصعب متابعته لمن شاء في مآانه من كتب الادب المعروفة.¹²

ومن الأمثال القليلة التي نوردها فيما يلي يستطيع القارئ أن يكون فكرة مختصرة عن المستوى الأدبي الذي بلغته مكة المكرمة وعلاقتها مع الكعبة المشرفة في عصرها الذي ندرس.

مثال ذلك: من أحمل قليلا سمع جميلا؛ أنفك منك وان كان أذن؛ إن البلاء موكل بالمنطق؛ عند جهينة الخبر اليقين. الجزء من جنس العمل؛ اذا عزّ أخول. فهن؛ كل خاطب على لسانه تمرّة؛ الحرب سجال؛ حظ في السحاب وعقل في التراب؛ ما حيلة الرامي اذا انقطع الوتر؛ من خان هان؛ كما تزرع تحصد؛ من سابق الدهر عثر؛ لكل عود عصارة؛ ما كل عورة تصان؛ غدرك من ذلك على الإساءة؛ كل الصيد في جوف الفراء؛ مكره أخاك لا بطل؛ كل شاة برجلها معلقة؛ زارع لنفسه حاصد لسواه. لا فرار على زار من الأسد.¹³

كانت تفيض إلى مكة في جاهليتها أدياء القبائل و شعرائهم وخطباتهم للتنافس في الأسواق المشتهرة. ومنها سوق عكاظ ومجنة، وذي المجاز وغيرها؛ كانت هذه محافظة أدبية ومجالات الفخر والمنافس والمناقش.

3. شخصية مكة الشعرية

ومكة المكرمة مكان مقدس، حفر وجوده في أعماق التاريخ، وتغلغل

¹² أحمد السباعي/ تاريخ مكة ج 1 ص 44
¹³ مصدر السابق ص 45

حبه في سويداء قلب كل مسلم، واستقر في وجدان الجماعة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، وإد غير-ذى-زرع. ولكنه احتضن بنات الإسلام، وتعهده بالسقيا دعوة وجهادًا عبر القرون. وقد كانت أصوات الدعاة والمجاهدين في شتى-المواقف-والمواقع-تستحضر-لفظة-’مكة‘ في-خليها-وأهازيجها ومنظوماتها، ساعة الحداء، وساعة لقاء الأعداء، ولعل التاريخ يعود بنا إلى كلمة عبد المطلب بن هاشم حين قدم أبرهة ليهدم الكعبة فقال-عبد المطلب: "أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه" فانطلقت فكرة الحماية مثلما، انطلقت فكرة حب الناس للمكان ورزق أهله قبل ذلك في كلمة إبراهيم عليه السلام حيث هفت الأفئدة إليه وجاءت الثمرات، وارتبطت به عواطف القوم حتى صح لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تقول:

"إني لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة"

وقد عاشت قبيلة قريش بمكة المكرمة وأطعمهم الله من جوع وآمنهم من خوف، وتلك أفكار هامة على المستوى الشعري باعتبارها تخص مكة المكرمة.

وكانت مكة ذات ارتباط بأشهر أسواق العرب عكاظ ومجنة، وذو المجاز، مثلما كانت مرتبطة بالمدن والقرى الكبرى وفي مقدمتها المدينة المنورة والطائف. وكثيرا ما تنفتح أودية مكة في الشعر على وادي العقيق بالمدينة المنورة مثلما يلتقى في الشعر جبل أحد بجبال مكة، مثل جبل النور، وثبير، وغيرهما محملة بمعاني الشموخ والصفود ومثلها شاهدة على

ما كان.

وأراك نعمان المجاور-لعرفات يؤخذ منه السواك ويسرى في الآفاق مع
الحجاج يحمل عبقا خاصا باعتباره قادما من الأماكن المقدسة، ولذا فهو أحد
عناصر العالم الشعري لشخصية مكة الشعرية.

دعوني بقضبان الأراك التي أتى بها الركب من نعمان أيام عزّفوا
وهذه المعانى- استقرت- في- الثقافة- ووصل- الكثير- منها- إلى- مثل
جمالية يقصد إليها الشعراء في تشكيل المعانى والصور كما في قول الشاعر:
حور حرائر ما هممن بريية كظباء مكة صيدهن حرام
ويقول آخر:

ترنو إلى وجهك أبصارنا معجبة يا كعبة الحسن
تمسح خالا منك في وجنة كالحجر الأسود في الركن
وواضح أن كل ما تقدم من حديث يبرز المظاهر الجوهرية التي تغذي
الوجود الروحي لمكة المكرمة في السياق الثقافي الذي ينتزع منه الشعراء
المعانى والصور الشعرية التي تشكل شخصية مكة المكرمة الشعرية، ولعله
يحق لنا أن نستحضر كيف تحركت الأشياء حول مكة من خلال علاقتها بها
على نحو ما نجدهم، يقولون إن الطائف قطعة من الشام حملها جبريل وطاف
بها حول الكعبة ثم وضعها على جبل غزوان. وهكذا يكون هنا الصيف البديع
وهناك الشقاء والربيع.

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

فهذه الخاصية الروحية لمكة المكرمة ذات نفاذ يحرك ما حولها، ليس فقط معنويًا وإنما على المستوى المادي. ولقد كانت هذه الحقيقة الكبرى ذات حضور في الخيال الشعري بما لا يكاد له مثيل.

مثلاً: إن منظر الإبل التي تحمل الحجاج متجهة إلى مكة المكرمة أو بهيمة الأنعام للهدى، فهو أصيل من التكوين الشعري في خواطر الأدباء والشعراء كجعل عبارة مثل: " حلفت برب الراقات إلى منى " تجري مجرى الأمثال لشهرتها" كقول الشاعر:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح الأركان من هوسامح
فإن شخصية مكة الشعرية هي جماع القيم والمعاني الروحية التي تحتضنها. الكلمات والأفعال، كالحج والطواف والسعي ورمي الجمرات وسواها مما تتضح اللغة على الوجود. كمثل الشاعر:

هل ركب مكة حاملون تحية تهدى إليها من معنى
مغرم؟

رد الجفون على كرى متبدد وحنى الضلوع على جوى
متضرم

إن لم يبلغك الحجيج فلا رموا بالجمرتين ولا شقوا من
زمزم.

إنها المعاني الروحية التي سرت في الكلمات وجعلتها تنبض بوجود غريب وحركة وجدانية مجيبة نحسها ونعرفها غير أن الكلمات لا

تكاد تفى بالقليل حين نرغب التعبير عنها وذلك سريقتاً دون العلم
المحدود.¹⁴

4. وحدة اللغة العربية والكعبة المعظمة

إن الكعبة مركز العالم، ومكانة الأمن والسلام، وهى بيت الله الحرام
أول بيت وضع للناس في الأرض لعبادة الله وحده، وكانت مقر أكثر الأنبياء،
ودعوة إبراهيم عليه السلام ومهبط الوحي، والأرض المباركة التي قدر الله أن
تكون حرم الإسلام، وكانت لغة أهل الكعبة منذ العصور العربية، ونزل وحي
السماء الأخير في العربية الفصحى في بقاعها، فانتشر الإسلام أنحاء العالم
مع لغة الوحي السماوى، والعربية لغة الجنة ولغة الدين الإسلامى، والله ما
أضاع أهلها أبداً، وكانت جزيرة العرب في عصر القديم عزلة موحشة. ولكن
الله شرف أهلها وشرف لغتها، ولغة المسلمين العالم في الحقيقة العربية،
وإن كانوا من أقطار العالم بعداً وقرباً يناجون ربهم في العبادات في هذه
اللغة الطاهرة.

فلما شهرت الكعبة شهرت لغتها ولغة أهلها. فوحدة الأمة المسلمة
من جانب تقع بوحدة لغتهم ولو لم تكن الكعبة ما تحققت وحدتها أبداً،
فوحدة اللغة توحد قلوبهم كما وحدت الكعبة قلوبهم إلى ذى العرش المجيد،
ونختار هنا كلمة الشيخ أبوا الحسن الندوى عن وحدة اللغة يقول في السيرة
النبوية صفحة 73 ما نصه:

¹⁴ مختصر من مقال: شخصية مكة الشعرية/ كاتبه جريدى منصورى/ في مجلة الحج والعمرة/ عدد 4/57 -
جماد الآخرة 1423 هـ الموافق سبتمبر 2002 م

"ويأتى الحديث عن وحدة اللغة، حيث كانت هذه الجزيرة التي تكاد تكون شبه قارة، خليقة أن تتعدد فيها اللغات، وتتنوع لبعدها المسافة بين مواطن القبائل وبين جنوبي الجزيرة وشمالها، وقلعة اتصال أهل الجنوب بأهل الشمال، وأهل الشرق بأهل الغرب، وبحكم العصبية القبلية والسلالية السائدة عليهم، وتأثر القبائل المتأخمة للروم والفرس بلغاتهم، وقد كثرت عدد اللغات في أوروبا الوسطى، وفي شبه القارة الهندية، كثرة هائلة. ولا يزال عدد اللغات المعترف بها في دستور الهند يبلغ "15" (خمسة عشرة) لغة اقليمية تختلف فيما بينها اختلاف لغات مستقلة، قائمة بذاتها، حتى يحتاج أبنائها للتفاهم إلى ترجمات، أو لغة أجنبية كالإنجليزية.

بيد أن الجزيرة العربية قد امتازت على سعتها وترامى أطرافها، وتشتت قبائلها بوحدة اللغة التي كانت ولا تزال أداة تفاهم والتقاء لجميع أبناء هذه الجزيرة، حضرمهم وبدوهم، والقحطاني، منهم والعدناني، وهي اللغة العربية على اختلاف لهجاتها وفروعها الإقليمية التي تقتضيها طبيعة اللغات وفلسفتها، وطبيعة الأقاليم والأجواء، وطبيعة الانعزال والانطواء، فاللغات تختلف في لهجاتها بمسافات، قد تطول وقد تقصر، وكانت هذه الوحدة اللغوية التي امتازت بها هذه الجزيرة من أهم أسباب تيسير مهمة الدعوة الإسلامية، وسرعة انتشار الإسلام فيها، ومخاطبة الوجدان العربية المنتشرة، في لغة وحداء هي اللغة العربية الفصحى، وبكتاب واحد، هو القرآن العربي

فلا شك، فالكعبة والقرآن ووحدة الدين الإسلامي تتوحد وتترابط في سلسلة رتيبة للأمة المسلمة العالمية تتسبب لهذه الوحدة لأصلها الأصيل بيت الله الحرام - كعبة الله العتيق المعظمة.

5. وحدة الأمة تحت ظل الكعبة

إن معمل الحج في المشاعر حول الكعبة المعظمة تشرع والحج مناسكهم جميعاً يوحد المؤمنين إذ نبصر في الحج وحدة إسلامية تظهر في إصالتها كل عام وفي بقاء هذا الدين القيم بعيداً عن التحريف والغموض والإلتباس، وبقاء هذه الأمة بعيدة عن الإنقطاع عن الأصل والمصدر والأساس بقول الله جل وعلا: " وأذن في الناس بالحج إله " ، محفوظة من المؤمرات والمغالطات التي وقعت أمم كثيرة فريستها في الزمن الماضي.

فالأمة المسلمة أن تكون محتفظة بالحنفية السمحة، وتكون نائرة على الأباطيل، وأن تكون تتوارثها جيلاً بعد جيل إلى الشريعة المحمدية الصافية وإلى الدين الخالص، وبها تستطيع أن تحافظ هذه الأمة على وحدتها الدينية والفكرية.

والأمة تعيش في بيئات مختلفة وفي دول عديدة وتجتاز أدواراً كثيرة جداً مختلفة جداً من حرارة وبرودة وجمود ولين، وإغراءات مادية وسياسية وضيق ووسع وتسلط عدو قاهر وحكومات محررة، ولكن الحج ينجو أن يكون

¹⁵ د. سعد المرصفي / الكعبة مركز العالم ص 54

ربيعا تزدهر فيه هذه الأمة من الوحدة والترابط.

يقول شاه ولي الله الدهلوى:

" ولما أن الدولة تحتاج إلى عرضة بعد كل مدة، ليطمئن الناصح من الغاش، والمنقاد من المتمرد، ليرتفع الصيت، وتعلو الكلمة، ويتعارف أهلها فيما بينهم، فكذلك الملة تحتاج إلى حج، ليطمئن المؤمن من المنافق، وليظهر دخول الناس في دين الله أفواجا، وليرى بعضهم بعضا، فيستفيد كل واحد ما ليس عنده، إذ الرغائب إنما تكتسب بالمصاحبة والترائى.

وإذا جعل الحج رسما مشهودا، نفع عن غوائل الرسوم، ولا شئء مثله

في تذكر الحالة التي كان فيها أئمة الملة والتحضيض على الأخذ بها".¹⁶

ويقول أيضا: " والحج- عرضة المسلمين، وظهور- شوكتهم، واجتماع

جنودهم، وتنويه ملتهم".¹⁷

فينتفع الحج للذين جاءوا من كل صوب بعيد، وفج عميق، ولو كانوا ربانيين- الأمة، والصالحين- الأعراء، والدعاة المرشدين- والعلماء الراسخين، والأغنياء المتواضعين، وغيرهم، والناس- العامين- جميعهم يترف قلوبهم ان كانت قاسية وتحشع النفوس- العاصية وتفيض العيون- الجامدة، وتنزل عليهم الرحمة وتغشى عليهم السكينة، بفضل الحج- ومناسكهم، ويأخذون زاد من إيمان، ثم يعيشون عليه في حياتهم- الباقية حينما عادوا إلى ديارهم، ثم يتبادلون هذا الزاد إلى إخوانهم الذين قعدوا في الجهل- والضعف، فتكتسب الأمة بذلك قوة جديدة على تأدية رسالتها فسوف ينجون في حياة الدارين

¹⁶ شاه ولي الله الدهلوى/ حجة الله البالغة ج 1/ ص 60

¹⁷ نفس المصدر ج 2/ ص 42

إن شاء الله.

"والحج انتصار للقومية الإسلامية على القوميات الوطنية والعنصرية واللسانية التي قد يصبح بعض الشعوب الإسلامية فريستها تحت ضغط عوامل كثيرة، وهو إظهار لشعار هذه القومية الإسلامية، فتتجرد جميع الشعوب الإسلامية عن جميع ملابسها وأزيائها الإقليمية التي تميز بعضها عن بعض، ويتعصب لها أقوام، وتظهر كلها في مظهر واحد هو الإحرام، هي لغة الدين والفقهاء وفي مصطلح الحج والعمرة، حاسرة رؤوسها ما بين رئيس ومرؤوس، وصغير وكبير، وغني وفقير، وتهتف كلها في لغة واحدة، تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما عن نافع عن ابن عمر (رضي الله عنه) أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. (البخارى ومسلم)¹⁸.

الفصل الثالث

الكعبة المشرفة في الشعر العربي

فرض الله سبحانه وتعالى على الناس الحج في العام السادس من الهجرة، وأن الحج قد فرض سلفنا على لسان إبراهيم عليه السلام بإعلانه على العالم: 'وأذن في الناس بالحج' إلخ، وقد حدد الله وقته وزمانه ووقت مواعيته وأمكانه، وقد فرضه على المسلمين في العام السادس على أرجح الروايات، واستحب رسول الله صلى الله عليه وسلم التعجيل بأداء الحج،

¹⁸ سعد المرصفي/ الكعبة مركز العالم/ ص 238

ولسنا هنا بصدد التعرض للحج فقها؛

وانما يعيننا بيان إهتمام شعرائنا قديما وحديثا بهذا الركن العظيم الذي تعلق بالبيت الله الحرام والكعبة والحج كتوأمين متلاصقين، إذا وصف الشاعر والأديب الكعبة فيكون الموصوف حج واذ انعت عن الحج فمصدره بصدق إلى الكعبة وأول ما يلقانا في هذا الباب عن كسوة الكعبة " فأول من كسا الكعبة الديباج نائلة بنت جناب " ، والدق العباس بن عبد المطلب، كانت أضلت العباس حينئذ فنذرت، أن وجدت ان تكسو الكعبة بالديباج الخ¹⁹ وقيل: أن أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تبع وهو أسعد، أرى في النوم أنه يكسوها فكساها الانطاع ثم أرى ان يكسوها فكساها والوصائل، وجعل لها بابا يغلق. قال أسعد في ذلك:

وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء معصبا

وبرودًا

وأقمنا من الشعر عشرا وجعلنا لبابه اقليدا

وخرجنا منه نؤم سهيلا قد رفعنا لواءنا معقودا.²⁰

→ قال مضا بن عمرو الجرهمي مفاخرًا عن بنائهم الكعبة والدفاع لها

على الأعداء فأنشد:

فنحن عمرنا البيت كنا وولاته نحامي عنه من أتانا وندفع

وما كان يبغى أن يلى ذاك غيرنا لم يك حي قبلنا ثم يمنع

¹⁹ فتح الباري/ حافظ ابن حجر/ ج 3 ص 459
²⁰ ابو الوليد الأزرقى/ تاريخ الكعبة المعظمة/ ص 230

وكنا ملوكا في الدهور التي مضت ورثنا ملوكا لا ترام فتوضع.²¹

◀ وقال قصي بن كلاب حينما يبينها فأنشد:

أبني لقومي بيتارفعتها وليبن أهل وراثها

بعدي

بنيانها وتمامها وحجابها بيد الإله وليس

بالعبد.²²

◀ فبناهاء وسقفها. بخشب. الدوم. الجيد. وبجريد النخلء. وبناهاء. على

خمسة وعشرين ذراعا، فلذلك يقول أعشى بكر بن وائل:

إلي وندبي راهب الشام والذي بناها قصي وجده بنى جرهم

لئن شب نيران العداوة بيننا ليرتحلن منى على ظهر شيهم.²³

◀ قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش

تهاب عند بنيان الكعبة فأنشد:

عجبت لما تصوبت العقاب إلى الثعبان وهى لها

اضطراب

وقد كانت يكون لها كشيح وأحيانا يكون لها وثاب

إذا قمنا إلى التأييس شدت تهيبنا البناء وقد نهاب

فلما ان خشينا الزجر جاوت عقاب تتلئب لها

²¹ الفاسى/ شقاء الغرام ج 1 ص 361

²² السهيلي / الروض الأنف ج 1 ص 224

²³ ابو الفرج الاصفهاني/ الاغانى ج 4 ص 172

◆ حينما اعتدى أبرهة لهدم الكعبة فأنشد عن المطلب- (أنظر- في الباب الثاني - في الفصل الاول ص 73,74) -

◆ عن مهلهل الدمياطى الشاعر في سواد كسوة الكعبة والقفل فقال:

يروق لي منظرا لبيت العتيق اذا بدا
كأن حليتها السوداء قد نسجت
من حبة القلب أو من أسود المقل.

1. شعر الحنفى الحزين

وكان سيد كل العرب عمرو الخزاعى، وكان أبو الآلهة الذي أدخل الأصنام في داخل الكعبة وخارجها، واستورد لها من الشام الأصنام، وأراد أن يتزوج هذه الآلهة العذراء التي احتفظ بها لنفسه، ووضعها في بيته، أنها أجمل من زوجته، وأذاع في الناس هذه الفعلة، حينئذ قد ضعفت لمكة المكرمة معالم الحنفية ودين ابراهيم، فخرجت أبناء إسماعيل صوتا خفيفا ضعيفا ضد انتشار الأصنام، وتلوموا عمروا، فأنكر عمرو فسكت الحنفيون بشدة ضعفهم وبقوة سيدهم، وأسرع عمرو إلى الكعبة لإلقاء غطاء على فم آخر رجل حنفى فصرخ فيهم، فسكتوا جميعا، وتوعدهم بالقتل والضرب، فأسر من خشية ربه في قلبه من رجل حنفى فأنشد بقوله الحزين الأنين:

"يا عمرو إنك قد احدثت آلهة شئى- بمكة- حول- البيت

²⁴ ابن هشام/ السيرة ج 1 ص 199

أهأبا

وكان للبيت رب واحد أبدًا فقد جعلت بها في الناس

أربابا

لتعرفن بأن الله في مهل سيصطفى- دونكم- للبيت

حجابا²⁵

2. قتالا على المياه في بلد الله

وكان بين سعد العشيرة وبين معد بن عدنان قتالا على المياه، بان كنانة أقامت بهذا لحرم، فقال عامر بن الظرب العدوانى في حرب معه: وسعد العشيرة يذكر قرابتهم وفضل معد فيهم، ويستمر إلى عوف من البيت على صلة معد، فأنشد:

"أبونا مالك والصلب زيد
معد ابنه خيرا لبينا
أتاهم من ذوى شمران آت
فظلت حولها أمد السينا
فيا عوف بن بيت بالعوف
وهل عوف لتصبح

موعدينا

فلا تعصوا معدًا إن فيها بلاد الله والبيت

اللمينا.²⁶

3. نعي على رؤوس الجبال

فلما حضرت الوفاة لوكيع بن سلمة بن زهير بن إياذ جمع إياذًا فقال:
اسمعوا وصيتى، الكلام كلمتان، والأمر بعد البيان من رشد فاتبعوه، ومن

²⁵ فؤاد على رضا/ ام القرى ص 140

²⁶ الإمام الفاس/ شفاء الغرام بأخبار بلد الحرام ص 37

غوى فارضوهء وكل شاة معلقة برجلها. فكان أول من قالها فارسلها مثلاً؛

فمات وكيع فنُعي على رؤوس الجبال. فقال بشر بن الحجر وأنشد:

ونحن إِياد عباد الإله ورهط مناجيه في سلم
ونحن ولاة حجاب العتيق زمان النخاع
على جرهم

ثم قال. وقامت نايحة وكيع على أبي قبيش فقالت:

"ألا هلك الوكيع أخو إِياد سلام المرسلين على وكيع

مناجى الله مات فلا خلود وكل شريف قوم في وضع"²⁷

4. الذبيح إسماعيل لا إسحاق

وكان الذبيح اسماعيل عليه السلام لا إسحاق. ذكر في ذلك شعر أمية

بن أبي الصلت الثقفى حيث يقول:

ولإبراهيم الموفى بالنذر إحتساباً وحامل الأجزاء
بكره لم يكن ليصبر عنه لو رآه في معشر إقبال
بينما يخلع السراويل عنه فكّه ربّه بكبش حلال.²⁸

5. في أسماء مكة المكرمة

لمكة المشرفة أسماء كثيرة. ومنها اسم 'صلاح' وأنشد له قول أبي

سفيان بن حرب بن أمية لابن الحضرمى:

أبا مطر هلم إلى صلاح فيكفيك الندامى من قريش

²⁷ الفاسى/شفاء القرام ص 43

²⁸ الفاسى/شفاء القرام ص 43

وتنزل بلدة عزّت قديما وتأمن ان يزورك ربّ جيش
ومن أسمائه بساق: فذكره ابن رشيق في العمدة في تفسير قول أمية بن
حرثان، فقال:

سأستعدى على الفاروق ربّا له عمد الحجيج إلى بساق

ومن أسماء مكة 'المكتان' ، فذكره الشيخ برهان الدين القيراطي
المصري في ديوان شعره البديع. ولعله أخذ ذلك من قول ورقة بن نوفل
الأسدي:

ببطن المكتين على رجائي حديثك أن أرى منه خروجا.
وقال السهيلي بعد أن ذكر شيئا من حال عبد الله بن سعد بن أبي سرح
القرشي العامري. وهو الذي يقول في حصار عثمان بن عفان (رضي الله
عنه) فقال:

أرى الأمر لا يزداد إلا تفاكما وأنصارنا بالمكتين قليل
وأسلما أهل المدينة والهوى إلى- أهل- مصر- والدليل

ذليل²⁹

6. تحديد الميقات للحرم المكي

ذكر تحديد حد الحرم من جهات، وقد نظم بعض الكتاب في حدود
الحرم أبياتا وهي:

²⁹ نفس المصدر ص 83

وللحرم التحديد من أرض طيبة
وسبعة أميال عراق وطائف
ومن يمن سبع تقديم سينها
وقد زيد في حد لطائف أربع
ثلاثة أميال اذا رمت إتقانه
وجدة عشر ثم تسع جعرانه
فسل ربك الوهاب يرزقك غفرانه
ولم يرض جمهور لذا القول رجحانه.

7. داخل الكعبة في أمن الله

في ثواب دخول الكعبة المشرفة، قد روى عن الحسن البصري في رسالته قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من دخل الكعبة، دخل في رحمة الله، وفي حمى الله تعالى وفي أمن الله عز وجل، ومن خرج خرج مغفورًا. وأنشد الحافظ أبو طاهر السلفي لنفسه بعد دخول الكعبة:

أبعد دخول البيت والله ضامن
بنفي قبيح والخطايا

الكوامن

فحاشاه كالأبل يسامح كلها
ويرجع كل وهو جذلان

آمن³⁰

8. عوتب من غير دين الحنفية في الشعر

وكان عمرو بن ربيعة أول من غير دين إبراهيم عليه السلام، فلما قدم الشام نزل 'البلقاء'. فوجد قوما يعبدون أوثانًا، فلما سئلوا قالوا: أربابا نتخذها نستنصر بها على عدونا، فننصر، ونستشفى بها من المرض فنشفي، فوقع قولهم في نفسه فقال: هبوا في منها واحدًا نتخذه ببلدي، فاني صاحب بيت

³⁰ المراجع السابق ج 1 ص 256

الله الحرام، والي وفد العرب من كل صوب، فأعطوه صنما يقال له "هبل"
فحملة حتى نصبه للناس بمكة، فتابعه العرب على ذلك.

وكان بمكة رجل من جرهم على دين إبراهيم الحنفية، وكان شاعرا،
فقال لعمر بن لحي حين غير دينه الحنفية، بغيرة شديدة ودفاعا حرمة
الكعبة، وأنشد:

يا عمرو لا تظلم بمكـ	ة انها بلد حرام
سائل بعاد أين هم	وكذلك تخترم الأنام
وبنى العمالق الذـ	ين لهم بها كان السوام.

فأخرج عمرو بن لحي ذلك الرجل الحنيف الجرهمي، من مكة، فنزل بإضم
من أعراض مدينة النبي صلى الله عليه وسلم. فقال الجرهمي وتشوق إلى
مكة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة وأهلى معا بالمأزمين

حلول

وهل أرين العيس تنفخ في الثرى	لها بمنى والمأزمين زميل
منازل كنا أهلها لم يحل بنا	زمان بها فيما أراه يحول
مضى أولونا قانعين بشأنهم	جميعًا وغالتنا بمكة

غول.³¹

³¹ الازرقى / أخبار مكة ج 1 / ص 100 و 101

فلما وليت الكعبة من بعد جرهم عمرو بن الحارث الغبشاني من
خزاعة فكانت بكر بن كنانة لهم عضداً وناصرًا ممن بغى عليهم، وكان الذي
يلى البيت من غبشان عمرو بن الحارث بن لؤي بن ملكان بن قصي. وهو
الذي قال عن حماية بيت الله فأنشد:

نحن ولينا البيت من بعد جرهم لنمنعه من كل باغ وظالم
ونمنعه من كل باغ يريد فيرجع منا عنده غير سالم
ونحفظ حق الله فيه وعهدنا ونمنعه من كل باغ وآثم
ونترك ما يهدى له لا نمسه تحاف عقاب الله عند
المحارم

وكيف نريد الظلم فيه وربنا بصير بأمر الظلم من كل
غاشم

فوا الله لا ينفك يحفظ أمره ويعمره ما حج أهل المواسم
ونحن نفينا جرهما عن بلادها إلى بلدة فيها صنوف
المآثم³²

9. تجمّع قريش يمدح بالكعبة

كان قصي أول رجل من بنى كنانة أصاب ملكا، وأطاع له قومه فكانت
إليه الحجابة والرفادة والسقاية واللواء والندوة والقيادة، فلما جمع قريشا
بمكة سمى مجمعا، وفي ذلك يقول حذافة بن غاثم الجمحي يمدحه:

أبوهم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر
همو نزلوها والمياه قليلة وليس بها الا كهول بنى عمرو

وزاد فيه:

³² شفاء الغرام/ الفاسي ج 2 ص 84

أقمنا بها والناس فيها قلائل وليس بها الا كهول بنى عمرو
همو ملكو البطحاء مجدًا وسؤددًا وهم طردوا عنها غواة بنى بكر
وهمو حفروها والمياه قليلة ولم يستقوا إلا بنكدٍ من الحفر
حليل الذي عادى كنانة كلها وربط بيت الله بالعسر واليسر
أحازم أما قد هلكنا فلا تزل لهم شاكرًا حق توسد في

القبر³³

10. الخدمات للكعبة في الشعر

الحجاجة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة هذه كلها خدمات
جليلة للكعبة المشرفة، يتنافسون بعضهم بعضا لهذه الحقوق بشرف بيت
الله العظيم، ويذكرون عن هذه الخدمات ويتفاخرون بها ويمدحونها في
خطبهم وشعرهم. وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش في كل موسم من
أموالها إلى قصي بن كلاب، فيضع طعاما للحاج، فيأكله منه من لم يكن له
سعة وزاد، وذلك أنه قصيًا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به، بقول
بليغ: "يا معشر قريش، إنكم جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرم، وإن الحاج
ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا
أيام الموسم والحج حتى يصدروا عنكم".³⁴ ففعلوا وجرى ذلك في الجاهلية
وفى الإسلام فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى
ينقضى الحاج، وكذلك السقاية، حق السقاية كان لعبد مناف، والحجاجة واللواء

³³ الأزرقى/ أخبار مكة ج 1 ص 107/ شفاء العزام ج 2 ص 110

³⁴ الفاسى/ شفاء العزام ج 2 ص 121

والندوة لبني عبد الدار؛ ثم كانت السقاية والرفادة لهاشم بن عبد مناف،
وقال شاعر من قريش

عمرو الذي هشم الثريد لقومه قوم بمكة مستنين
عجاف

سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأسياف
بعد هاشم كانت للمطلب بن عبد مناف، ثم هلك المطلب بردمان³⁵ فقال
رجل من العرب يبكيه بتذكار خدمتهم للبيت،

قد ضمن الحجيج بعد المطلب
بعد الجفاف والشراب المنتضب
ليت قريشا بعده على نصب.³⁶

11. الرفادة والسقاية والسدانة

قد وقع بين القبائل قتالا كثيرة لسيادة هذه الحقوق أحيانا، وقال أبو
طلحة عبد العز بن عثمان بن عبد الدار شعر ذكره عن الأحلاف هو بخلطهم
نعالهم وتحالفهم عند بيت الله الحرام³⁷ ثم قال:

"بنو سهم نحن نكفيهم إن قاتلوا قتلنا
وان ردوا رددنا وان فعلوا فعلنا"

وقد أعطي قصي السدانة لعبد الدار وهي الحجابة، ودار الندوة اللواء وأعطي
عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة، ولما أصاب الناس سنة حذب شديد،

³⁵ ردمان: مكان باليمن

³⁶ معجم البلدان/ للياقوت الحموي ج 3 ص 40

³⁷ راجع القصة في السيرة ابن هشام ج 1 ص 163، 164

فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام، فاشترى بما اجتمع عنده من ماله
دقيقا وكعكاء فقدم به مكة في الموسم، فهشم ذلك الكعكاء ونحر الجزور
وطبخها، وجعله تريداً وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمى بذلك: هاشم وكان
إسمه الأولى عمرو وفي ذلك يقول ابن الزبيرى السهمى فانشد:

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمحخ خالصها لعبدمناف
الرائشين وليس يوجد رائش والقائلين - هلم - للأضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يعود فقيرهم كالكافى
والضاربين الكبش ببرق بيضه واللازمين - البيض - بالأسياق
عمرو العلاء³⁸ هشم الثريد لمعشر كانوا - بمكة - مسنتين

عجاف³⁹

وحفر - قصي - لسقاية حجاج بيت الله البئر، وكذلك حفر هاشم

بئرا فقال فيها بعض ولد هاشم:

نحن حفرنا بئر بجانب المسور نسقى بمائها الحجيج الأكبر

12. تنزيه الكعبة في الشعر

قد تأثر عليهم الكعبة المشرفة تأثيرا عظيما في تحركات حياتهم
كاملة وتنزهوا كثيرا من الظلم والفجر - بشرف الكعبة وجوارها. وتأثر في
كلامهم وأدبهم: يمثل ذلك ذكر الله أن من سبب حلف الفضول: إن قيس
السلمى باع متاعا من أبي بن خلف، فلواه وذهب بحقه، فاستجار برجل

³⁸ عمرو العلاء - يريد هاشما

³⁹ الفاسى / شقاء الغرام ج 2 ص 141

من بني جمح، فلم يقم بجواره فقال قيس:

يا لقصي كيف هذا في الحرم وحرمة- البيت- و-أخلاق

الكرم

أظلم لا يمنع مني من ظلم

وبلغ الخبر عباس بن مرادس فقال:

إن كان جارك لم تنفك ذمته وقد شربت بكأس الذل أنفاسا

فإن البيوت وكن من أهلها صدداً ولا تبديهم فحشا ولا باسا

وتم كن بناء البيت معصما يبغى ابن حرب ويبغى المرء

عباسا

ساقى الحجيج وهدايا سر فلاح والمجد يورث أسداسا

وأحماسا⁴⁰

13. إستحياء أهلها في الشعر

وكذلك يحترم الناس الكعبة إجلالا ويستحيون الفواحش والسوء عندها

فتأثر في قلوبهم وكلامهم وأدبهم ومعاملاتهم تأثيرا شديداً، مثال آخر يتأثر في

شعرهم، وقد ذكر- 'كان سبب حلف الفضول' أن رجلا من أهل اليمن قدم

مكة ببضاعة فاشتراها رجل من بني سهم فلوى الرجل عنقه فسأل ماله،

فأبى عليه، فسأله متاعه، فأبى عليه، فقام على الحجار وقال:

يال فيهر لمظللو بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر

⁴⁰ مصدر السابق ج 2 ص 158، 160

ومحرم أشعث لم يقض حرمة بين الإله وبين الحجر والحجر

أقائم من بنى سهم بدمتهم أم ذاهب في ضلال سال

معتمر⁴¹

فلما دفعوا المظلمة لمن يستحقها بعد الحلف، فقال قريش: إنه قد

دخل هؤلاء في فضل من الأمر، فسمي: حلف الفضول، فقال الزبير بن عبد

المطلب:

حلفت لنعقدن حلفا عليهم وإن كنا جميعا

أهل دار

تسميه الفضول اذا عقدنا مقربة الغريب لذي

الجوار

ويعلم من حوالى البيت أنا أباة الصيم نمنع كل

عار

قال أبو بكر بن أبي شيبه: حدثني عمرو بن أبي بكر قال: كان يقال:

كان في جرهم مثل هذا الحلف - فمشي فيه رجال. منهم فضل وفضال

وفضالة، فسموه حلف الفضول، وقال الزبير بن عبد المطلب:

إن الفضول تحالفوا وتعاقدوا أن لا يقيم ببطن مكة ظالم

أمر عليه تعاقدوا وتواثقوا فالجار المظلوم فيهم سالم

14. فوق كعبتها ينادي

⁴¹ مصدر السابق ج 2 ص 158، 160

كان ابو زهير- عبد الله بن جدعان- من رؤوس قريش- وكان صعلوكا
ترب الديدن- فلا يزال يجني ويبيغي، فنفاه أبوه وحلفدان لا يأويه أبداً، فخرج
من مكة وأراد أن ينتحر- وصعد على أبو قبيش- فرأى شقلا في الجبل- فظن
فيه حية فدخل- فيه فوجد منه كثيرا من الكنوز- الذهب والفضة والياقوت
واللؤلؤ من ملوك جرهم فأخذ منه ما أخذ، وأرسل إلى أبيه بالمال الذي خرج
به يسترضيه ويستعطفه، ووصل عشيرته كلهم، وجعل ينفق من ذلك الكنز،
ويطعم الناس- ويفعل المعروف. وكان ابن جدعان غنيا من أغنياء العرب
وكان يطعم الحجيج التمر والسويق ويسقي اللبن، وسمع من أن أمية بن أبي
الصلت (شاعر جاهلي متدين، طلب النبوة، فلما بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم حسده له ولم يسلم به) يمدح بنى الديان من بنى الحرث بن
كعب لجوده الذي يطعم الحجيج من البر- والشهد والسمن- وبلغ شعره عبد
الله بن جدعان. فأرسل ألفي بعير- إلى الشام- تحمل إليه البر- والشهد
والسمن- وأمر مناديا ينادى على الكعبة. ألا هلموا إلى جفنة عبد الله بن
جدعان، فقال أمية بن أبي الصلت عند ذلك:

له داع بمكة مشمعل وآخر فوق كعبتها ينادى

إلى ربح من الشيزى عليها لباب البر يلبك بالشهاد⁴²،⁴³

هؤلاء ما كانوا مؤمنين- بيوم القيامة ولكنهم يحبون البيت حبا جما

⁴² مشمعل: بعيد الصوت أو سريع، الربح: حفاء الكبيرة، الشيزى: نوع من الخشب تتخذ منه القصاع، يلبك:
يخلط أو يعجن، الشهاد: عسل.

⁴³ الفاسى / شفاء الغرام ج 2 ص 166

واحترموا الكعبة ودار جميع أعمالهم وفكرتهم حول الكعبة وتأثر لغتهم وأدبهم بشرف الكعبة وفى الحديث الصحيح قد ورد عن ابن جدعان هذا بعض الروايات وروته عائشة رضي الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال لا أنه لم يقل يوما: " رب اغفرلى خطيئتي يوم الدين" ⁴⁴

1. الرجوع الأخير إلى الكعبة

" وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمناً يجبى إليه ثمرات كل شئ و رزقا من لدنا، ولكن أكثرهم لا يعلمون" ⁴⁵

لما أخلفت قريش عهودا مع المسلمين، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقاد جيشه العظيم إلى فتح مكة ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم خذ العيون والأخبار من قريش حق نبغتها في بلادها " فتجهر الناس فقال حسان بن ثابت عنه يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خزاعة:

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم يسلو سيوفهم وقتلى كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي سهيل بن عمرو حرها

وعقابها

⁴⁴ رواه مسلم في كتاب الايمان

⁴⁵ سورة القصص 57

ولا تأمننا يا بن أم مجالد إذا أقبلت صرفا وأعضل نابها
ولا تجزعوا منا فإن سيوفنا لها وقعة بالموت يفتح بابها⁴⁶
ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره، وآلاف من
المسلمين شاركوا مع رسول الله وآلفت معهم قبائل العرب وقريش لا
يعلمون شيئا فلا يأتيهم خبر من رسول الله ولا يدرون ما هو فاعل؟ ولما
نزل رسول الله مر الظهران وقع ما وقع من قصة الفتح، وأسلم أبو سفيان،
فقال عباس بن عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أبا
سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا. فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: "نعم" من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. ومن أعلق عليه بابه
فهو آمن. ومن دخل المسجد فهو آمن. " فلما ذهب لينصرف قال رسول
الله: يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل، حتى تمر به جنود
الله، فيراها، فخرجت ثم مرت القبائل، وجنود الله مع رسول الله وهو يسأل،
وعباس يجيب، أخيرا قال أبو سفيان: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا
أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما، قال قلت: يا أبا سفيان
إنها النبوة. قال فنعمة إذا. قال. قلت النجاء إلى قومك. حتى إذا جاءهم صرخ
بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيملا قبل لكم به فمن
دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه هند ابنة عتبة. فاخذت بشاربه،
فقالته ' اقتلوا الجميت الدسم، الأحمس، قبح من طليعة قوم! قال. ويلكم لا
تغرنكم هذه من أنفسكم، فانه قد جاءكم مالا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي

⁴⁶ ابن هشام/ السيرة ج 4 ص 84

سفيان فهو آمن- قالوا قائلك الله وما يغنى عنك دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ففرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد الحرام....

أنظر ما دخل أحد هذا اليوم في دار أبي سفيان ولكن أهل مكة- قريش- دخلوا صغيرهم وكبيرهم رجالهم ونسائهم في مكان لهم الذي مكن الله لهم حرماً آمناً فرجعوا كلهم تحت ظل الكعبة وحولها سالمين آمنين تائبين حامدين لربهم ساجدون.

ذاك اليوم وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد وأجيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلاً. أو ثلاثة عشر، ثم انهزموا فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ثم قال لأمرأته: أغلعي على بابي، قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة
وأبو يزيد قائم كالمؤتمة
إذ فر صفوان وفر عكرمة
واستقبلتهم بالسيوف

المسلمه

يقطعن كل ساعدٍ وجمجمة
لهم نهيت حولنا وهمهمه
ضربا فلا يسمع إلا غمغمه
لم تنطقي في اللوم أدنى

كلمه

نعم أهل مكة خافوا شديداً لأنهم عرفوا بأن محمداً وجند الله قد دخلوا في مكة فاتحين معززين لهم قوتاً لا قبل لهم ولكن رسول الله صلى

الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله. حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح المبين. حتى أن عثونه ليكاد يمس واسطة الرحل.

وظنت قريش هذا اليوم يوم نهايتهم من الدنيا أبدًا. لأنهم أيقنوا اليوم أذل الله قريشا لأنهم سمعوا من بعض الصحابة، يقال: "اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة".

ولكن رد لهم رحمة للعالمين ردا جميلا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا سفيان ، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله فيه قريشا" هذا شعار المصطفى صلى الله عليه وسلم الكريم طول حياته المرحمة والعطف والشفقة بكل إنسان، حتى ولو كان العدو المحارب، والوثني المشرك كأبي سفيان وغيره. لأنه رؤوف رحيم عزيز عليه ما عنتم.

2. الحج في الشعر العربي

لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك
كل بني وملك وكل من أهل لك
وكل عبد سألك سبح أولبى فلـك

" والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ". " الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ": فرض الله تعالى على الناس الحج في العام السادس من الهجرة، علم بأن الحج قد فرض سلفاً. وقد حدد الله وقته وزمانه، يستحب للمسلمين التعجيل بأداء هذا الركن العظيم من استطاع إليه سبيلاً، ولسنا هنا بصدد التعرض للحج فقهاً. وانما يعيننا بيان اهتمام شعرائنا قديماً وحديثاً بهذا الركن العظيم، ووروده في أدبهم وأشعارهم، تعلقاً بالكعبة المعظمة، أقدم إلى عنايتكم أولاً عن قصيدة لأبي بكر بن محمد بن محمد بن عبد الله بن مرشد البغدادي في ديوانه سماها: " الذهبية في الحجة المكية والذروة المحمدية " جاء فيها:

فشدوا مطايانا إلى الربع ثانياً فان الهوى عن ربعم ثنينا
ففى ربعم الله بيت مبارك إليه قلوب الناس تهوى

ونهبوا

يطوف به الجاني فيغفر ذنبه ويسقط عنه إثمه وخطايا

وكم لذة كم فرحة لطوافه فالله ما أحلى الطواف

وأهناه⁴⁷

نطوف كأننا بالجنان نطوفها ولا هم ولا غم جميعا نفيناها

فيها شوقنا نحو الطواف وطيبه فذلك طيب لا يعبر

معناه

ومنها قوله عن اذن إبراهيم قبل العصور للحج:

وسرنا نشق البيد للبلد الذي بجهد وشق للنفوس بلغناه

رجالا وركبانا على كل ضامر ومن كل فج مقفر قد أتيناها

نخوض إليه البحر والبر والدجا ولا مفضع إلا اليه قطعناه

والحج قد بدأ منذ عصر الرسل قبل بعثة الرسول فقال:

نحج لبيت حجه الرسل قبلنا لنشهد- نفعا- في-الكتاب

وعدناه

دعانا إليه الله عند بنائه فقلنا- له- لبيك-داع

أجبناه

فقال في الآداب الطواف الفقهية:

وطفنا به سبعا رملنا ثلاثة وأربعة مشيا كما قد أمرناه

كذلك طاف الهاشمي محمد طواف قدوم مثل ما طاف طفناه

وقال أيضا عن المبيت بالمنى والوقوف بعرفة كما نصه:

⁴⁷ الفاسى / شفاء الغرام ج 2 ص 455

ويوم منى سرنا إلى الجبل الذي من- البعد قد حياكما- قد عهدناه
فلا حج إلا أن يكون بأرضه وقوف- وهذا- في- الصحاح- رويناه
ومنها: وبعد زوال الشمس كان وقوفنا إلى- الليل- نبكى- والدعاء قد أطلناه
على عرفات قد وقفنا بموقف به الذنب مغفور وفيه محونا

ومنها قوله عن الشعر الحرام ومبيته هناك:

فظل حجيج الله لليل واقفا فقبل- انفروا- فالكل- منكم

قبلناه

أفيظوا وأنتم حامدون إلهكم إلى- مشعر- جاء- الكتاب

بذكراه

وسيروا إليه واذكروا الله عنده فسرنا- ومن- بعد- العشاء

نزلناه

فقال عن طواف الإفاضة وتقبيل الحجر الأسود وتسليم الركن اليماني:

وبالحجر الميمون لذننا فإنه لرب السماء في أرضه يمناه

نقبله من حبنا لإلهنا فكم لثمة طي الطواف لثمناه

□

ونستلم الركن اليماني طاعة ونستغفر- المولى- اذا- ما

المسناه

□

وصلى باركات المقام حجيجنا وفى زمزم ماء طهور وردناه

□

ومن بعد ما طفنا طواف وداعنا رحلنا إلى قبر الحبيب ومغناه
وأنشده أبو اليمز ابن عساكر- نزيل مكة لنفسه بقراءة بمسجد الخيف بمنى
قوله:

يا جيرتى بين الحجون إلى الصفا شوقى اليكم مجمل ومفصل
أهوى دياركم ولى بربوعها وجد يؤرقنى وعهد أول
ومن قول أبى بكر الحافظ ابن محمد بن يوسف بن مسدى لنفسه من قصيدة
له:

لبيك لبيك توحيداً يؤكده
توابع- الشوق- في- سر
وإعلان

وللاجابة سمع ليس بشغله
شأن كثير من القول عن
شأن

وينفرون إلى الزلفى بمزدلف
جمعا- بجمع- ووجدانا
بوجدان. الخ
ومنها قوله:

وفى الإفاضة فيض الجود من ملك يلقى المسيئ إذا استعفى بإحسان

3. بئر زمزم ومائه في الشعر

قد ذكر المؤرخون أسماء عديدة لبئر زمزم حسب ما يلى تبيانها: هزيمة
جبريل، بركة، سيدة، نافعة، مذنونة، صافية، برة، عون، عصمة، ميمونة،

مغذية، حرمية، مؤنسة، طعام، طعم، شقاء، سقم، طيبة، طبية، شباعة، شراب
الأبرار، هزمة إسماعيل، حفيرة العباس، نقرة الغراب.

وقد ذكر من أسماء زمزم أكثر من 54 إسما.

وقد نظم بعضهم جملة من أسماء زمزم فقال:

لزمزم أسماء أتت فهي برة
وعصمة فاعلم
وسيدة بشرى

ونافعة مذنونة عوننة الورى
وهزمة جبريل وهزمتة كذا
ومؤنسة ميمونة حرمية
ومغذيه عدت وصافية غدت
ومروية سقيا وطبية فافهم
مباركة أيضا شفاء لأسقم
وكافية شباعة بتكرم
وسالمة أيضا طعام

لأطعم

شراب لأبرار وعافية بدت
وطاهرة تكتم فاعظم

بزمزم⁴⁸

وقال الزمزمي في نشر الآس: رأيت في بعض التعاليق نظم أسماء زمزم،
ونسبها للأديب البرهان القيراطي وهي:

لزمزم أسماء منها زمزم
طعام طعم وشفا من

يسقم

سقيا نبي الله إسماعيل
مغذية عافية كافية
سالمة وعصمة وصافية
نافة سر يعيشي ناسكة
مروية هزمة جبرائيل
وبرة بركة مباركة

⁴⁸ السيد سائد بكداش / فضائل زمزم ص 75

مؤنية حرمية ميمونة وظبية طاهرة مذنونة

سيدة وعونة قد دعيت شباة العيال قدما

سمية⁴⁹

قد تفخر السيدة صفية بنت عبد المطلب عن أبيها بحفر زمزم بقولها:

نحن حفرنا للحجيج زمزما شفاء سقم وطعام مطعما

ركضة جبريل ولما تعظما سقيا نبي الله فيما حرما

ابن خليل ربنا المكرما⁵⁰

قال الأعشى:

فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا ولا لك حظ الشرب من

ماء زمزم

قال الشاعر محمد بن العليف في ديوانه: وهو يرجو زيارة مكة المكرمة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلية وأضحى— ويهنا نبي

هناك مقبل

وهل أردت من حوض زمزم شربة تميت— سقامي— فالفؤاد

غليل

و اسم زمزم " مختلف في سبب تسمية بئر زمزم به. فقيل لكثرة ماء البئر—

الزمزم عند العرب الكثرة والاجتماع. أو أن احل تسميتها بزمزم هو من

صوت الماء. أو لأن الفرس كانت تحج في الزمن الأول فتزمزم عليها.

⁴⁹ نشر الآس 9/أ. الجواهر المنظم ص 27 الأعلام 1/49

⁵⁰ سائد بكداش / فضائل زمزم ص 234

والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء على مقاله
المسعودى. وروى أن عمررضي الله عنه. كتب إلى عجاله بأن ينهول الفرس
عن الزمزمة وأنشد المسعودى في كتابه "مروج الذهب"

زمزمت الفرس على زمزم وذاك في سالفها الأقدم⁵¹

وقد زاد ياقوت الحموى في أسماء زمزم: زممء وزمزم وزمازم - هي ركضة
جبريل - أي ضرب برجله فانخفض المكان فنبع الماء.

وقد ورد اسم زمزم في الشعر الجاهلي ومن ذلك قول مسافرين بن عمرو بن
أمية ابن عبد شمس، يمدح عبد المطلب.

فأى مناقب الخيرا ت لم تشدد به عضداً

الم تسقى الحجيج وتذ حر المدلاية الرافد؟

وزمزم من أرومتها وتفقأ عين من حسدا؟⁵²

أنشد الأديب أبوبكر- مرشد البغدادى- في قصيدته "الحجة المكية والدروة
المحمدية" جاء فيها عن شرب زمزم الحجاج بيت الله الحرام.

"وصلى باركات المقام حجيجنا وفى زمزم ماء طهور وردناه

وفيه الشفا فيه بلوغ مردنا لما نحن تنويه اذا ما شربناه"

وأنشد الإمام أبوبكر الحافظ المسدى في قصيدته عن زمزم:

ولي بزمزم سرّ فيه زمزمه عنوانها عند أزمات وأزمات.

وروى عن القاضى بدر الدين جماعة، قال عن زمزم:

⁵¹ محمد جار الله لابن ظهيرة الترشى المخرومى/ الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها ص 114
⁵² جواد على/ تاريخ العرب قبل الإسلام ج 5 ص 188

يصبو اذا ذكر الحطيم وزمزم والركن والبيت المكرم جاره
ذكر قاضى مكة جمال الدين محمد بن ظهيرة عن القيراطى سماعا وقال.

واشرب من شراب زمزم كاسًا دب منه السرور في الأعضاء
فهى حقا طعام طعم لجوع ولها للسقيم أي شفاء
فسقى المسجد الحرام غمام ورعى عشنا على

البطحاء

وقال أيضا في قصيدة نبوية:

أديروا أديروا ماء زمزم خالصا فذاخير كأس في ألد مقام
ونادوا على رأس بأبواب شاربي عبيد دليل مثقل بأثام
وطاف بكأسات الأمانى سرورنا فطيب عيش في المقام

وزمزم

كلمة أدبية عن زمزم- قول النبوة: كمل قال ابن عباس- عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم: "يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم- أوقال- لو
لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا. قال فشربت وأرضعت ولدها."⁵³
"خير ماء على وجه الأرض- ماء زمزم. فيه طعام من الطعم وشقاء من

السقم"⁵⁴

كان الزمزم حوضان في الزمان الأول. فحوص بيتها وبين الركن يشرب
منه الماء. وحوض من ورائها للوضوء له عيد باب الصفا. قال الخراعى: وفي

⁵³ جامعة أم القرى - كلية الدعوة/ البلد الحرام فضائل وأحكام ص 75
⁵⁴ مصدر السابق

ذلك يقول الشاعر:

كأنني لم أقطن بمكة ساعة
ولم- يلهنى- فيها- ربيب
منعم

ولم أجلس الحوضين شرقي زمزم
وهيهات- أنى- منك- لا أين
زمزم⁵⁵

وانشد الشيخ ابن ناصر الدين الدمشقي:

خير المياه بلا نزاع زمزم
لا السلسبيل وكوثر يتقدم
علم النبي مياه جنة ربه
ويقول زمزم خير ماء فافهموا
لا يلتقي أبدًا ونار جهنم
في جوف من هو في الحقيقة
مسلم

ينفى النفاق تصلع من شربه
يشفى- السقام- طعام
طعم يعلم⁵⁶

هكذا يكثر النظم في زمزم في الكتب القديمة والحديث.

4. الحجر الأسود في عيون الشعراء

عرفنا ما مضى من الفصل فضائل الحجر الأسود كثيرا من الأخبار عنه
صحيحا كان- أو ضعيفا يعتبرها العلماء والقصاص. ومنها أن الحجر الأسود
يمين الله في الأرض يصفح بها عباده؛ وأن الحجر الأسود ياقوته من يواقيت
الجنة؛ أن الحجر الأسود نزل من الجنة. وله نور عظيم: ثم عوده إليها؛

⁵⁵ الأزرقى/ أخبار مكة ج 2 ص 60
⁵⁶ سائد بكداشى/ فضائل زمزم ص 236

للحجر- الأسود شرف- وفضل- بتقبيل- رسول- الله صلى- الله عليه وسلم- وأن
مسح الحجر- الأسود مكفر- للخطايا؛ وأن- الحجر- الأسود يؤتى- يوم- القيامة مثل
جبل- أحد وشهادته لمن- استلمه بحق؛ وأن- جنب الحجر- الأسود من- مواطن
إجابة الدعاء؛ وأن- الملائكة تزدحم لتقبيله؛ وعنده تسكب العبرات، وغيرها
من النعوت والأوصاف والفضيلة؛ فيها الأخبار مختلط بالصحيح والموضوع.

وقد وصف الأدباء- والشعراء- عن- الحجر- الاسود كثيرا. ومنها: أنشد

أبوبكر محمد بن مرشد البغدادي في قصيدته "الذهبية في الحجة المكية".

وبالحجر الميمون لذنأ فإنه لرب السما في أرضه يمناه

نقبله من حبنا لإلهنا فكم لثمة طئي الطواف لثمناه

على لثمة للشغيث والقبر رحمة فكم أشعث كم أغبر قد

رحمناه

وذاك لنا يوم القيامة شاهد وفيه لنا عهد قديم

عهدناه⁵⁷

وقال الإمام أبوبكر بن مسدي لنفسه من قصيدة له:

"من فاوض الركن قد فاوضته بيدي هذا يميني فحيوها بأيمان⁵⁸

وقال جمال الدين محمد بن ظهيرة عن القبراطي سماعا قال:

قبّل الخال لا أبا لك عشرا يا أخا حيّها بغير إباء

⁵⁷ الناسي / شفاء الغرام ج 2 ص 459
⁵⁸ المصدر السابق ج 2 ص 461

واملاً الحجر بالآلى من الدمع ونزّهه عن عقيق

الدماء.⁵⁹

والامام بدر الدين يثبت بأن كون الحجر الأسود من ياقوت الجنة الذي لا يبالى بالنار، ويحصل منه التبريد المعنوى والحسنى وقال:

وطالما أحمى الياقوت جمر غضا ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت.⁶⁰

يقول صاحب شفاء الغرام. أنشدني العلامة بدر الدين أحمد بن محمد بن

الصاحب المصرى لنفسه إجازة قوله:

للحجر الأسود كم لائم وساجد مرغ فيه الجباء

يزدحم الأفواه في ورده كأنه ينبع ماء الحياء

وقال أيضا:

كم أودعت أسرار أنس في علوم الغيوب

يزدحم الأفواه في لثمه كأنه يلفظ

قوت القلوب

وقال أيضا:

للحجر الأسود سرّ خفي وقد بدا للعين فيه شهود

قد ضمت قلوب الورى كأنه قلب سواد الوجود

وقوله فيما أنبأنا به:

أقول وقد زوحت عن لثم أسود من البيت إن تحجب فما السر

⁵⁹ المصدر السابق ج 2 ص 464

⁶⁰ الفاسى / شفاء الغرام ج 1 ص 273

يحب

فإنك منى بالمحل الذي به محل- سواد- العين- أو- أنت

أقرب

يقول الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري في قصيدته:

الحجر الأسود قبّلتُه بشفتي قلبى وكلى

وله

لا لإعتقادى أنه نافع بل لهيامى بالذى قبله

محمد أطهر أنفاسه كانت على صفحته

مرسله

قبله والنور من ثغره يشرق آيات هدى منزله

قبلت ما قبله ثغره النا طق بالوحى ابتغاء

الصله⁶¹

يقول الأديب محمد ابن نباتة، يذكر في قصيدة:

الم تر خالها المسود أضحى يفوق على الصباح

المستطير

تقبله الطوائف طائفات فيا شرف المباسم والثغور

تكون درة بيضاء لكن تسود من ذنوب أولى

القصود

⁶¹ سائد بكداش/ فضل الحجر-الأسود ومقام ابراهيم ص 48

أقبله لغل فمى يلقى مكانا فاز بالهادى البشير
محمد الذي ساد البرايا واخجل طلعة القمر

المنير⁶²

قال أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدته المشهورة في
مدح النبي صلى الله عليه وسلم وقد تعرض لذكر البيت الحرام والحجر
والمقام ومما قاله:

وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله أن الله ليس بغافل
وبالحجر المسود إذ يمسخونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطئى إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير

ناعل⁶³

والإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى في ساجعة
الحرمين:

قف واستلم ركنا لأشرف منزل واخضع وذل تفز بكل مؤمل
وإذا خلا الحجر المعظم قدره فاليمن في تلك اليمين فقبل⁶⁴

5. مقام إبراهيم في الأشعار

ومقام إبراهيم هو الحجر الذي قام عليه نبي الله إبراهيم الخليل
عليه السلام حين ارتفع بناؤه للبيت، وشق عليه تناول الحجارة، فكان يقوم

⁶² نفس المصدر السابق

⁶³ ابن هشام/ السيرة مع الروض الأنف ج 2 ص 13

⁶⁴ سائد بكداش/ فضل الحجر الأسود ص 97

عليه وبينى، وإسماعيل عليه السلام يناوله الحجارة، وقام عليه أيضا للنداء والأذان بالحج- في- الناس- اذا- أمره- الله- عليه- " وأذن- في- الناس- بالحج يأتوك....الخ " وفي هذا الحجر أثر قدمي إبراهيم الخليل عليه السلام حيث جعل الله تعالى تحت قدميه من ذلك الحجر- في- رطوبة الطين، حتى غاصت فيه قدماه. ليكون ذلك آية بينة ظاهرة. هو الحجر الذي يعرفه الناس إلى اليوم عند الكعبة المشرفة، الذي يصلون خلفه ركعتي الطواف: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "

ولم تزل آثار قدمي إبراهيم عليه السلام حاضرة في المقام معروفة عند أهل الحرم في الجاهلية أيضا حتى قال أبو طالب - عم النبي صلى الله عليه وسلم - في قصيدته المشهورة:

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على- قدميه- حافيا- غير

ناعل⁶⁵

وقال العجاج بذكر مقام إبراهيم والأثر الذي فيه:

الحمد لله العلي الأعظم السموات بغير سلم
ورب هذا الأثر المقسم من عهد إبراهيم لم يطسم

بحيث دلى قد ما لم تذأم⁶⁶

و روى محمد ابن اسحاق قال: قال حمزة بن عبد المطلب في قتل عمرو

بن الخضرى يحث قريشا ويذكر حرمة زمزم والمقام:

⁶⁵ سائد بكداش / فضل الحجر الأسود ص 112-114
⁶⁶ أحمد جاد / وصف الكعبة المشرفة وتاريخها ص 89. المقسم: المحسن. لم تذأم: لم تعب.

وقالوا حرمة ربهم أبا حوا وهم فحلت حرمة الشهر الحرام

كانوا هناك أشد حرما بمكة بين زمزم والمقام⁶⁷

يروى- أبو الوليد الأزرقى- في- "أخبار- مكة"- ج- 2 ص 31: حدثنا محمد بن

يحيى- عن- محمد بن- عمر- عن- ابن- أبي- سبرة- عن- موسى- بن- سعيد- عن

نوفل- بن- معاوية- الديلي- قال: رأيت المقام في عهد عبد المطلب، وهو مثل

المهاة، قال- أبو محمد الخزاعى: سئل- أبو الوليد- عن- المهاة. فقال: خرزة

بيضاء، وأنشد أبو الوليد:

مهاة كمثل البدر بين السحاب

تعلقها قلبى وماطر شاربى

إلى أن أتى حلمى وشابت ذوائبى⁶⁸

و من شعر أبى بكر بن مرشد البغدادى عن المقام والقيام فيه، أنشد:

وطوبى لمن ذاك المقام مقامه وبشراه- في- يوم- التغابن

بشراه

نرى موقفا فيه الخزائن فتحت ووالى علينا الله منه عطاياه⁶⁹

وقال أيضا:

وصلى بأركان المقام حجيجنا وفى زمزم ماء طهور وردناه

وفيه الشفا فيه بلوغ مرادنا لما نحن ننوى اذا ما شربناه.

⁶⁷ مرجع السابق ص 93

⁶⁸ السحاب: الكواكب

⁶⁹ شفاء الغرام/ الفاسى ج 2 ص 458

6. الكعبة قلب الكون

أنقل إلى حضرتكم شعرا رائعا من قول الشاعر المشهور

الدكتور غازي طليمات بحمص كما نصه في المجلة القافلة:

ظعن الحجيج، فغضت في برحائي
كيف السلوعن الحجاز و في دمي
لم تلمس أذني بتكبيـري يدي
عقد الخشوع عروقه فتجمدت
وجثت قوافي الكليلة ركعـا
يا طائفين بها، لقد طافت بكم
والعاشقون التائقون إلى الهدى
كل يطوف بها، ويرنو نحوها
فالببيت قلب الكون حبة قلبه
ظعن الحجيج، فكل وجهي مقلـة
ظعنوا وألقوا في حشاي من الظمـل

أرجو العزاء، ولات حين عزاء
شوق يوجه نحو اعضائي
إلا بدا "الببيت العتيق" إزائي
حيرى قنوت مطرق وحياء
خرساء بين مهابة ورجاء
وبها القلوب على مدى الغبراء
في كل أرض ثوبت لنداء
نظر المحب إلى الحبيب النائي
وسراجـه الموار بالاضواء
أهدابها من ديمة وطفاء
ما تترك الرمضاء في البيداء⁷⁰

⁷⁰ المجلة القافلة ، ذي الحجة 1420هـ يونيو-يوليو 1990م.

الفصل الرابع الأدباء والشعراء حول الكعبة بعد الإسلام

1. مكة المكرمة في نظر الشعراء المعاصرين

لمكة المكرمة مكانة عظيمة في نفوس المسلمين، وجعل الله فيها أول بيت وضع للناس، وجعلها مهوى الأفئدة مدى الدهر، ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا، منذ دعا إبراهيم عليه السلام: "ربنا إنى أسكنت من ذريتي الخ"⁷¹ وجعلها حرماً آمناً حتى للطيور والشجر والبشر. هي أحب بلاد الله إلى أحب خلق الله. قد ظهرها حينما أخرج منها، فقال صلى الله عليه وسلم: "علمت (يا مكة) أنك خير أرض الله، وأحب الأرض إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت".⁷²

وليس بلد في الأرض يتوجه إليه الناس على مدار الساعة غيرها، يأتون إليها الخلق بزيارتها حاجين ومعتمرين معظمين شعائر الله وملبين تلبية التوحيد: "لبيك اللهم لبيك" فلا غرابة بعد هذا أن يتغنى بحبها الشعراء، وبسطر في الشوق إليها الأدباء، فنوفى بنماذج - بإقدام بعض الشعراء المعاصرين من أبناء مكة ومحبيها - ومنها: الشاعر أحمد قنديل أجمل الذكريات في رحاب مكة: ينشد في قصيدته، "مكتى قبلتى"⁷³:

⁷¹ سورة إبراهيم، رقم آية 37

⁷² أخرجه أحمد 5/294

⁷³ أحمد قنديل / مكتى قبلتى ص 13 اصدار الرفاعي 1402هـ/1983م

الشباب الذي قطفناه زهرا وقطفناه في المسيرة

عمرا

فيك يا مكة الحبيبة فينا لم يزل للنفوس أجمل

ذكرى

قد مشيناه بين واديك يوما فاق- عاما- لدى- سواك

وشهرا

ويجعلنا الشاعر أحمد نحس- معه أنه تشرب حب مكة، وتغلغل- ذلك الحب

في شرايينه حين يقول:

مكتي قبلتي هواها طريفا وتليدا بالروح حل فقرا.

ثم يقول:

عرفته أجياد يخطر فيها ملئ عين اليه تينظر شزرا

واصطفته النقا وقد حل منها بين أحبالها العلية صدرا

ورنا الشعب باسمنا يترجى منه ما يبتغي وقد مد نحرا

واحتويه المعلاه يهجع فيها بالخرق المعانق السهد فحرا

ودعته سويقة حيث يبقى حيث مهوى الجمال

يقطر سحرا

قد دعاه من جرول كل ساح بين أرجائها تبرج

عصرا

وتنسب أبيات القصيدة لدى أحمد قنديل انسياب السيول من جبال

مكة بغزارة ودفق وسلامة وعفوية، فيعود بنا بعد تلك الحولة في انحاء مكة
إلى قلبها الحي، ومهوى الأفئدة، يعود بنا إلى البيت الحرام الذي هو سر
مكة وجهرها الذي أعطاه هذا العبق الرحمان والروحاني، فيسجل أثره في
نشأته وحياته، فيقول:

نحن كنا ذاك الشباب تروى بهواك الزاكي فاينع زهرا
كم سبانا المطاف كالحلم سرنا بين أكنافه الوضيئة فجرا
لم تلونا بصحن مسجذك العامر بين آلايات ما شع سحرا
واحتبنا لدى الرواق قرآنا ما نظمنا ما قد نثرناه درًا
ما حفظناه ما رويناه نقلًا ما استعدنا ما قد كتبنا

ليقرا

في جوار البيت العتيق لقانا بكرة ضحوة أصيلا وظهرا
فهو- يصور- في- هذه- الأبيات- طلبة- العلم- في- رحاب- المسجد- الحرام،
ومراجعاتهم وتناشدهم الأشعار وتدارسهم العلم رواية ودراية.

الشاعر حسين عرب يرسم معالم المشاعر المقدسة (قصيدته "أم القرى) أنه
يعبر عن مكة بلقبها أو إسمها الآخر – أم القرى – منذ مطلع قصيدته فيقول:

قف بأم القرى لمجد الزمان قد تلاقى فيها بمجد

المكان

وحراء وزمزم والمصلى ومنى والمقام والمروتان
والمحاريب والمشاعر كون باطق بالتقى وبالايمان
وغناء الحمائم الفتان في لقاء المواسم

النشوان

ثم يصور طوافهم بالبيت العتيق فيقول:

فاذا ما نظرت للكعبة الغراء فاسجد لفاطر الأكوان

فهنا بيته وهذا حماه فازمنه الحجيج بالغفران
قد أطافت به الخلائق والتفت بأطرافه كعقد

الجمان

ويطلب حيسن عرب من جبال مكة اشرافة نورالدعوة من غار حراء

في مكة فيقول:

أوبّي يا جبال مكة للذكرى جلالا وكبرى للعيد
واذكرى كيف أشرق النور من غار بعيد في الأفق غير

بعيد

وأطلى على حمى الكعبة الغراء إطالة الرفيق الودود
وانظري للوفود من كل فج قد تلاقت كرامة

بالوفود

نهلت من رواف الحرم الآمن من منهل الندى

والجود

وأفاضت إلى الشرق والغرب نميرا معطرا للورود

الشاعر فؤاد شاکر في موكب الحجيج؛ قال:

هتف الحجيج وأشرق الحرمان وهفت على كنف القلوب

أمانى

وتطلعت زمر الحجيج تشوقا للبيت في حل من الإيمان

ومشت كتائبها تروح وتغتنى تختال في أمن وبين أمان

في موكب خشعت له أبصارنا عضا بكل جوارح وجنان

الشاعر أحمد الفزادى وتصوير الموكب من الخارج. يقول

سبحان من جمع الحجيج فلا فسوق ولا جدال
لبي خلائقك الدعاء من كل فج بامتثال
وتتابعوا زمر على متن البحار أو الجبال
شعث النواصي حسرا لم تلههم ديننا ومال
يتسابقون لموقف خلت القرون وما

استحال

لا فرق بين عظيمهم وحقيرهم بين التلال
كل امرئ منهم تساوى في اللباس وفي

الظلال

الشاعر حبيب المعلا المطيرى ولهفة الأمنية. فيقول:

ألا أيها البيت العتيق تحية إليك على الأيام ما ناح نائح
سرت نحوك الركبان من كل وجهة قد ابيضت الأثواب والقلب

صالح

يؤمن نحو البيت تهمة عيونهم كأن مدار العين فيهن ناضح
ينادون يا لبيك لله سعيهم فتسمعهم تلك الجبال النواطح
لك الحمد يا رباه ما طاف طائف ومسح بالركن اليمانى

ماسح

ويقول وهو يتصور أنه مع الحجاج

كأنني في تلك الربوع ملبيا مع القوم حتى يبلغ القرب

طامح

لدى الكعبة الغراء طاب مزارها أتاها من الناس الكرام

الججاجح

ففي عرفات الله يمحوون حوبة لها في صميم القلب لذع

يراوح

وفى المشعر القدسي مدوا أكفهم أيارب في الأعتاب تأتي

المنائح

الشاعر محمد حسن فقي ، والقرب في الزمان والمكان ، فيقول في قصيدته

"مكة":

أمكة، يا هذى الرحاب تألقت بنور الهدى الهادى لنا من

محمد

لقد عشت فيها منذ ستين حجة فاطربنى أنى بمكة

مولدى

لقد ولد المختار فيها فأشرقت ديا جيرها من خير

محتد

ويذكر بعده الخلفاء الراشدين الأربعة على التوالى فقال:

فما كان كالصديق في الناس رقة وحزما أطلا منه في كل مشهد

ولا كان كالفاروق عدلا وحكمة فما ثم من عبد لديه وسيد

وليس كعثمان الشهيد سماحة على كل خصم حوله ومؤيد

ولا كعلي جرأة وزهادة وعلما به السارى اذا ضل

يهتدى

وقد ولد الأمجاد من كل ملهم بشق- يراع- أو- بحد

مهند

الشاعر- طاهر- زمخشري والحسين- اللاهب، وهو حنينلا هبل إلى مكة في

قصيدته "مناجات الرحاب الطاهرة في مهبط الوحي" فيقول:

في دمي ثورة الحنين لهيبا ليس يطفئه من عيونى نمير

وبنفسى لواعج من جوى الشجو على خافقى لظاهر يشور

وهو يتخيل عن مكة بكلمة العروس ويقول:

يا عروس التي بها هتف القلب وغنى بها الفؤاد الكبير

يا عروس المنى الطروب لمغنى عاث فيه الشجا وعز النصير

ويقول عن الصفا والمروة:

أهيم بروحى على الرابية وعند المطاف وفى المروتين

وأهفو إلى الذكر يا غالية لدى البيت والخيف

والأخشبين

فيهدر دمعى بآماقيه ويجرى لظاه على الوجنتين

ويصرخ شوقى بأعماقيه فأرسل من مقلتى

دمعتين

الشاعر- محمد حسن- عواد ينادى حفيلا لطيفا يعبر- عن- خيرية مكة وإيمانيتها

قصيدته "مكة" فيقول:

مكة الخير والهوى والحفيف واللقاءات— كالسنا

كالرفيق

يا ملاذ الايمان يا موطن النور تهادى— من— الإله

اللطيف

يكرر في نداءاته بعد ذلك كلمة "بلدى" إشارة إلى ما ورد في القرآن من ذكر

مكة بكلمة 'البلد' و'البلد الأمين' و'البلدة' ومنها قوله:

بلدى بالهوى وبالدين والحب وبالعطف من أبر عطوف

يا بقاع الجزيرة العربية من اغدير للرؤى اللؤلؤية

الشاعر- حسن- عبد الله القرشي، يطل- من جبل- النور- فيقول- في قصيدته

"مكة":

هيا جبل النور كم ذا شهدت من المعجزات ولم ذا ظهر

تحدث ففى الغار شع اليقين وقد ننطق

الذكريات الحجر

أيا قمة فوق هام الخلود سمت بسناها الشذى

العطر

إلى أن أطل على الكائنات كإطالة الفجر بعد

السحر

أمكة فيك انطلاق الحسين وفيك الشعور لمن قد

شعر

الشاعر محمد عارف يرسم مسيرة الإسلام فيقول في قصيدته "مكة"

هتف الشعر صادحا بالحداء في هوى مكة هوى البطحاء.

ويقول أيضا:

مكتي كعبتي وقبلة إبراهيم - هيم أعظم بسيد الأنبياء

في الصفا منسك الحجيج المرتجى في الحطيم المكتظ

بالأنبياء

الشاعر محمد علي مغربي في خدمة الحجيج (قصيدته "إبتهاال") يقول فيه:

فما كان هذا البيت إلا مثابة يحج إليها كل ساع

وطائف

ونحن بنوها بل وخدام وفدها شرفنا بها في سيدها

والمشارف

ثم يقول:

فزدنيا إلهى عن حمال وروضة معطرة الأنفاس ربا القطائف
حماها إله العرش من كل طارق وأمن في أكنافها كل واجف
أما بعد، فالحديث عن مكة كما قال الشاعر:

يعاد حديثها فيزيد حسنا وقد يستقبح الشيء المعاد
"وحديث مكة ذو شجون، وحديث السامر عن مكة يبدأ من نشأتها، وبدايتها
الأولى، متصل الحلقات، عابر الأزمنة الغابرة ليحط ركابه في زماننا محملا
بكل ألوان الطيف."⁷⁴

2. الحج في نظر الشعراء المعاصرين

فأول ما يلقنا في هذا الباب قول الصحابي قيس بن الأسلت بعد
إسلامه، مذكرا بفضل الإسلام فقال:

ولكنا خلقنا اذا خلقنا حنيفا دينا عن

كل جيل

نسوق الهدى نرسق مذعنات مكشفة المناكب

في الجلول

فمعلوم بديهى أن سوق الهدى يريد الشاعر به 'الحج'.

وكان مما عرف عن الخليفة العباسى هارون الرشيد أن كان يغزو

⁷⁴ مختصر مهمقالة "مكة المكرمة في عيون بعض شعرائها المعاصرين/ كاتبه: الأستاذ شمس الدين حسين درمش" في مجلة "الجندي المسلم" عدد 35/124 جماد الثانى 1427 هـ الموافق يونيو 2006 م مطبوعة: وزارة الدفاع والطيران - المملكة العربية السعودية

عاما. ويحج عاما، كان يضع على رأسه قلنسوة مكتوب عليها (غاز..حاج)
فمدحه الكثير من شعراء عصره متناولين في أشعارهم هاتين الصفتين، يقول
أبونواس في مدحه:

في كل عام غزوة ووفادة تنبت بين نواهما الأقران
حج وغزومات بينهما الكرى بالعملات شعارها
الوخذان

أما أشجع السلمى فيمدحه يقوله:

ألق الحج والجهاد فما يذ فك من سفتين في كل
عام

سفر الجهاد نحو عدو والمطالـياالسفرة

الإحرام

وكذلك يمدحه أبو المعالى الكلابى مخاطبا إياه يقوله:

فمن يطلب لقاءك أو برده فبالحرمين أو أقص الثغور

فأذا ما انصرفنا عن الرشيد، ومن تحدثوا عن حجه وغزوه، نجد آخرين من

شعراء هذا العصر يتعرضون للحج، ويذكرونه في أشعارهم.

يقول عيسى بن عبد العزيز:

و يأتون من كل فج عميق على أينق ضم كالثقنا
فكم من ملب بصوت حزين يرى صوته في الهوى قد

علا

ويقول قاسم بن يوسف

إله الخلق رب الناس يملكهم وما ملكوا
له النسيح والتقديس والصلوات والنسك
وإهلال الحجيج له وما سفحوا وما سفكوا.

وهذا شاعر آخر يرى أن الحج ركن عظيم، فيه وحدة المسلمين يقول:

إن يكن في الحياة مبدأ خير يزرع الناس خطوهم فيه ذرعا
فمن الحج قوة وشعار هو للمسلمين بالخير أدعى
يجمع الشمل يرهب الكفر يدعو أن ضعوا الإصرار والخلاقات وضعا
أما ابن الفارض فتثير أشجانه وآلامه عودة الحجيج إلى ديارهم يقول:

صب منى قفل الحجيج تصاعدت زقراته بتنفس الصعداء
كلم السهاد جفونه فتبادرت عبراته ممزوجة بدماء
واذا مل طويلا صفحة هذه العصور، وانتقلنا إلى العصر الحديث، يلقانا أمير
الشعراء أحمد شوقي يقول في قصيدته "إلى عرفات":

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم لبيت طهور الساح

والعرصات

أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة إليك انتهوا من غربة

وشتات

تساووا فلا الأنساب فيها تفارت لديك ولا الأقدار مختلفات

عنت لك في الترب المقدس جبهة يدين لها العاتى من

الجبهات

أما شاعر حزرموت ومفتيها ابن عبيد الله السقاف، فيقول:

خلفت أهلى وأطفالى على مضمض من الفراق لهم طول الدجى أرق

وفى الحشا نار وجد من نذكرهم لكن خبت عند رؤيا الكعبة

الحرق

لم يبق في خاطرى أهل ولا ولد لما تجلى لعينى المنظر

الأنق

شاعر الجزائر الكبير محمد عبد الخليفة يتحدث عن أهداق الحج وفوائده

فقال:

الحج عنوان الإخاء مكبرا الحج منهاذ الولاء

قويما

الحج مدرسة التعارف شادها رب الورى وأدارها

تعلوما

وما هو ثانية يستقبل الحجاج العائدين، بقوله:

حياكم بحج البيت أكرم من حبا فاهلا وسهلا بالحجيج

ومرحبا

ذهبتم وجئتم ظافرين بمأرب شريف وجل الناس ينحط

مأربا

عرفتم شعوب المسلمين بمعرض عظيم لهم هال النفوس

وأرهابا

قضى بولاء المسلمين جميعهم ووحدهم في الأرض شرقا ومغربا
وإذا وصلنا سيرنا في طريق رحلة الحج في شعرنا العربي، نجد أن الشاعر

محسن عبد الله محمد يتشوق إلى البلاد المقدسة، فيقول:

يا جموع الحجاج يا من قصدتم كعبة الله واحتموا بحماها

ألهذا الجروح بالشوق برئ؟ خبروه متى ينال رؤاها؟

ويقول في قصيدة أخرى:

والله حج البيت في خير موقف يزيل خطايا المذنب المتأسف

إذا رمت حج البيت فأقصده مسبقا وداوم على الخيرات دون تكلف

وسابق جموع القاصدين إلى هنا تكن دائما في دربك المتكشف

أما الشاعر رفعت عبد الوهاب المرصفي، فينساق باندفاع إلى البيت العتيق

وقال:

أت إليك يسوقني منى اندفاعي

ينساب قلبي ساعيا بين البقاع

وشذا الطواف يهزني حتى النخاع

يا فرحة الحجاج في طوف الوداع

وهذا أحمد مبارك يحن إلى أم القرى: يقول:

فؤادى يهفو لأم القرى فهل أبلغ الأمل المرتجى؟

وأنعم بالحج أروى صدى حنين بقلبي قد أججا.

وأما أسامة الزينى فيتمنى أن يتمتع في مكة بساعة يطوف فيها حول البيت.

فقال:

لمكة قولوا كم أحبك شاعر وللحب نار ما تبيت فتصبح

تسنيت لو متعت فيها بساعة ولو طغت حول البيت والقلب

يفرح

الشاعر- السيد الدسوقي- سعيد يصور لنا- إقبال- الحجيج- على- البيت ذمراً.

يقول:

على الجوانح هبت نسمة الحرم وهام كل فؤاد للضياء ظمى

والناس من كل فج أقبلت زمرا كموج بحر بفيض النور ملتظم

تفيض أعينهم بالدمع من وله وكلهم في حمى البارى على

قدم

وفى حمى عرفات كلهم رجل والكل مستغفر في أدمع

سجم.⁷⁵

3. بين الصفا والمروة

والأدب العربى يدور حول الكعبة، والبيت الله الحرام، يتمركز. للأدب

⁷⁵ مختصر من المجلة العربية/ العدد 311/27 ذى الحجة 1423 هـ. مقالة/ الحج في الشعر العربى الكاتب/ السعيد السيد عليوة - وادى الدواسر - السعودية.

العربي على مدى العصور، ولولا الكعبة لا ترتقى اللغة إلى حد الذي نراها اليوم، لأن الكعبة المشرفة قبلت العالم، ومدحياة المسلمين وجزرها يرتفع وينحط بإرتفاع- درجة- أدبها- وانحطاط- مكانة- لغتها، والأدباء- والشعراء- لا يستطيعون- لهم- أن- يتركوا- أبدًا- من- أدبيتهم- بالكعبة- فنرى- جميع- الشعراء والنظام- يوصفون- ويتصورون- عن- الكعبة- في- تعبيراتهم- في- كل- عصر- ومنها أشعار- محمود- محمد- كلزي- الأديب- السوري- يوصف- الصفا- والمروة- بقوله
الوضاحة:

بين الصفا والمروة جمعت خيول محبتي
هرولت أستبق الفؤاد، مضخما باللهفة
هذي الجموع تسابقت للملتقى في نشوة
وتناثرت غرر الدعاء بروحة وبغدوة
ترجو اعتاقا من إسار الذنب بعد التوبة
هرولت. منعقا من الاصفاد تنقل خطوتى
أجرى وقلبي خاشع يعنو لرب العزة
متبتل يرتاد روضا من رياض الجنة
وظمان يرتشف الغمام يطل فوق الكعبة
ويطوف بالبيت العتيق على جفون الغيمة



سافرة مع سرب اليمام مسربلا باللهفة

وعبرت صحراء من الأشواق تضرم مهجتي
حلفتُ خلفي غصة بين الفرات ودجلة
ورشفت من بردى فما انطفات مجامر غلتي
الا وهذى الروح مبحرة تعل بنعلة
من زمزم وتضلعت هذى الضلوع بحرقه
من حوضه عبت مرئيا وارقت للسدره
خلفت ما عشق الورى من فتنة من شهوة
وسبحتُ في دنيا من النفحات فوق اللذة
وتركت قلبى ساعيا بين الصفا
والمروة⁷⁶

4. من وحي الحج

الشاعر- الدكتور- جمال محمد مرسى السعودى- ساكن حفر الباطن-
يصف الحج- والكعبة وعرفات- والشعائر- الإسلام- في مكة المكرمة وانابة
الحجيج إلى الله وغيرها في قلمه الراحنة ويقول:
صباح جديد قد أطل على الدنى
يبشر بالغفران والرحمات
وشمس بدت حسناء للناس تزدهى
تشع الضيا والخير في عرفات

⁷⁶ نفس المصدر السابق ص 61.

وريح من الجنات هبت زكية
فله من أطارها الرائعات
وسالت دموع العين تجرى كأنها
هي الدر منثورًا على الطرقات
وتحسبها ماء السماء منزلاً
إلى الأرض بالخيرات والبركات

إلى مكة الغراء ترنو بصائر وتهفو لبيت الله للرحمات
وتصبو قلوب المسلمين لقبلة توحدنا من بعد طول شتات
فتصطف في نظم بديع كأنها فرائد عقد نظمت بأناة
وتعنو باجلال لمبدعها الذي يقلبها تدعوه كل صلاة
تعاليت يارب الحجيج فما لنا سوى بابك المفتوح في

الأزمات

قصدناك يحدونا رجاء وفرحة وجئنا وفودًا من بعيد جهات
فلم يثنا بحر ركبناه مائج ولا وحشة الديجور في

الفلوات

فقد كنت يا رب الانام أنيسنا بنورك حزنا داجي

الظلمات

وقد تصر الشاعر لأن المسلمين بأمس الحاجة إلى رحمة الله الخاص بهم،
لأن الكعبة قبلتهم الوحيدة، ولكن قلوبهم شتت وافتترقت، فيطلب من رحاب

ربه المساعد العاجلة ويدعو الله عن القبلة الثانية- القدس المبارك- في

أيدي أعداء الله فيرجو إنقياده من الباعثين - ويقول:

وها نحن قد جنناك شعنا، وخلفنا

تركنا بلا من نعيم حياة

نطوف ونسعى مثلما قد أمرتنا

ونرجم إبليس بذى الجمرات

قصدناك يارب الحجيج فهب لنا

إذا ما التقى الجمعان حسن

ثبات

وهذا هو الأقصى يبث شكاته

كأنى به يبكى لبطش غزاة

كأنى به قد جاء يسعى ملبياً

ويدعوك كالحجاج في الصلوات

ومحرا به المكلوم يأس لمنبر

وباحاته تكوى بنار جناة

فهيهي له يارب أسباب نصره

وخلصه من أغلاله الموبقات

إذا ما تخلص عنه قومي فمن له

سواك وفى يمينك طوق نجاة.⁷⁷

المفكر- العربى- الشيخ عبد الركن الكواكبى سجلها في كتابه "أم القرى"
يقول الكواكبى عن رحلته إلى الحج: خرجت من وطنى من إحدى مدن
الفرات (حلب) في أوائل محرم سنة 1316 هـ ويشد عن هذه الرحلة:

"هلموا إلى أم القرى وتأمروا

ولا تقنطوا من روح رب مهيمن

فان الذي شادته الأسياق قبلكم

هو اليوم لا يحتاج إلا لألسن"⁷⁸

شاعر- مكى الكبير- حسن عبد الله القرشى يدرى أنه على موعد لا يتخلف
مع الموت، في الوقت الذي تستعد فيه أم القرى (موطنه الأثير) إلى الاحتفاء
بهاء من قبل العالم كله، ولقد ملأ شعره سمع العالم الإسلامى والعربى
روحانيات، تغنت نشيد حب بمكة، وروحي الكعبة المشرفة والرسول صلى
الله عليه وسلم، وشاعريته رومانسية خلفت شعرية متميزة، بروحانية مكية
في شعره. يقول القرش في قصيدته "مكة" مخاطباً عذيره في حبها:

عذيري هل يبلغنّ النشيد

رؤى مكة أو تحيط الفكر

أسود غطاريفها المعلمون

⁷⁷ المصدر السابق ص 105.

⁷⁸ مجلة الحج والعمرة/ مقال أحمد ابو زيد/ مؤتمر الحج كما صوره الكواكبى/ عدد 59/11 ذى القعدة 1425 الموافق،يناير 2005 م. ص 20،21.

ميامين في كل نادٍ شهر

يزين لهم يعرب من قديم

بصدق الشماح وزاكي السير

وفيها انجلى الحق للعالمين

وفاض الضياء بها وانتشر.⁷⁹

5. الصديقان في الحرم المكي

قد تتعلق- قوات- الشعرية- والأدبية- بالكعبة- مع- الخشوع- والتقوى
كمرتبة الصديقين- مرتبة عزيزة فالكعبة- والشاعر- كصديقين- حنويين- لا ينال
هذه الصدقة الخالصة الا ذو العزم- من- الشعراء- المؤمنين- كما يقرر- الشاعر
السعودي/ السيد حيدر الغدير يقول: قد رجوت فوجدت نفسي دون كعبتها مع
الشعر- هم- يذكر- أن- رحمة- الله- الواسعة- فتحت- بأنها- لأصحاب- الرخص
والمقتصدين- ليصلوا إليها- وذلك من- جلال- " الصدق- فعزمت- على- النحلي- به
وعساي فعلته، ثم يقول الشاعر:

وفى خولة حسناء في الحرم المكي

أذ من النعمى وازكى من المسك

أتانى طيف وجهه الطيب والسنا

وإشراق ذى تقوى وأغضاء ذى نسك

صموت وأسرار البلاغة صمته

وفيه بيان الأفصحين اذا

يحكى

⁷⁹ مصدر السابق/ مقال: روحانية مكية في شعر حسن القرشى ص 76،77.

ثم يقول عن الصفا وصفها مع التقوى:

رأيت الصفا والدفئ فيه ونية

هي الخير في الأقدام واللبث والترك

توالي عليه الفضل أو سمة له

مطهرة الاردان مصقولة السبك

ثم يستغفر الله لذنبه من الرحمن الرحيم ويقول:

وأستغفر الرحمن بل هو فوقها

وفوق مدى الإدراك والظن والشك

به يبلغ الانسان فوق رغبه

وهن العوالى في المعانى وفى السمك

وفيه جلال زانه الحسن والهدى

وفيه نجاة المرء في اليسر والهلك.⁸⁰

⁸⁰ مجلة الحج والعمرة عدد/ 59/7 رجب 1425 سبتمبر 2004/ من شعر حيدر الغدير.

الفصل الخامس المعلقات وتأثيرها في الكعبة المشرفة

1. علاقة الكعبة بالمعلقات

هذا ومن تعاليق الكعبة قبل الإسلام على ما روته لنا بعض المراجع التاريخية، المعلقات التي نظمها الشعراء الجاهليون المعروفون من أهل الجزيرة العربية مهد العروبة والإسلام، وهي سبع معلقات أو عشر، وقد سماها العرب - معلقات - لأنهن علقن بالكعبة في الجاهلية القريبة من عهد الإسلام. تقديراً لروعة لغتهن وجمال أسلوبهن العربي الممتاز - هذا قول مختصر على ما ورد في بعض المراجع التاريخية والأدبية العربية - وكانت هذه القصائد تلقى في ثلاث أسواق عربية، هي سوق عكاظ، وسوق مجنة، وسوق ذي المجاز، وهذه الأسواق الثلاث تقع في أماكن متقاربة قريبة من مكة المكرمة، وتحوز القصيدة الملقاة في سوق من هذه الأسواق الثلاث استحسان الجمهور العربي المستمع لها في السوق الملقاة فيها فتغوز بتقدير خاص وعام، ويتمثل هذا التقدير المزدوج في تعليقها بالكعبة بعد أن تكون كتبت على الحرير المصري بأحرف من الذهب، "وموضوعات هذه المعلقات غالباً هي الحب والحرب والغزل، وربما الحكم والصيد ومغامرات الشاعر في رحلاته إلى شبيء من وصف الشاعر لمناظر الطبيعة للبلاد العربية التي ارتسمت في مخيلته بعد أن أعجبه ثمرة تكراره للمرور بها والنزول في مرابعها والاستمتاع بهوائها

الطلق العليل وشمسها وبدرها المشرقين ونجومها الزاهرة وظبائها الجميلة العين، من الانسيات والوحشيات في ضوء وفي جمال الليالي المقمر ذات الهواء السجيح العليل أو عكس ذلك⁸¹ وهذه القصائد هي من الشعر العربي الموزون المقفى، وقد أقر ابن عبد ربه، قضية تعليق القصائد السبع في الكعبة ونفاة ابن خلدون، ومثله آخرون على أنه لم يرد اسم المعلقة في مادة - علق - لا في 'القاموس المحيط' ولا في 'لسان العرب' ولا في كثير من مصادر الشعر العربي والأدب العربي القديمة.

2. آراء مختلفة في المعلقة

اختلف العلماء القديمة والحديثة في سبب تسمية تلك القصائد التي جمعها "حماد الراوية" باسم المعلقة، وكان حماد أول من جمعها في أواخر عصر بني أمية وأوائل عصر بني العباس 'وذلك أنه رأى زهد الناس في الشعر فجمع لهم هذه القصائد السبع' وقال هذه "هي المشهورات" فسميت "القصائد المشهورة" وكان الشعراء المحدثون في ذلك العهد لا يحصون من كثرة، وقد ابتدأوا يخرجون على الشعر القديم ويزهدون فيه ويهجرون مذاهبه وأساليبه "وكان أول من فعل ذلك 'بشار بن برد' الذي يعد في رأس الشعراء المحدثين، وكان من أصدقاء حماد المقربين. فدعا هذا حمادًا إلى محاولة إحياء ذلك الشعر المهجور وترغيب الناس في حفظه وروايته، فجمع هذه

⁸¹ مجلة المنهل عدد 475 - السنة 52/51 رمضان 1410 هـ أكتوبر 1989 م. جدة/ السعودية صاحب المقال: عبد القوس الأنصاري - الموضوع: هدايا الكعبة وآثارها.

القوائد لهم، ولعلها كانت أول ما جمع من هذا الشعر".⁸²

إن- شعراء- الجاهلية- كانوا- يقصدون- أسواق- العرب- بجوار- مكة
فيتناشدون الأشعار- كل- سنة، وكان- ينصب للشاعر- فيها ربوة فيصعد إليها ثم
ينشد قريضه على الناس- حتى- يأتي على آخره فلا يقطعه احدولا يستوقفه،
فاذا ما أحكم القول، وبلغ من الفصاحة والبلاغة ما وقع اتفاقهم على حسنه
واجادته كتبوه. بحروف الذهب على نفيس- الديباج ثم يعلقوه على الكعبة
المشرفة تنويها وتكريما بشأن- صاحبه، وتخليدا لذكره، فممن- قال- بهذا أو
نحوه في سبب تسمية تلك القوائد "بالمعلقات" ، هذا يقررہ أحمد بن عبد
ربه القرطبي صاحب العقد الفريد؛ وابن خلدون، وابن رشيق وغيرهم.

قال ابن عبد ربه " وقد بلغ من كلف العرب بالشعر- وتفضيلها له أن
عمدت إلى سبع قوائد تخيرتها من الشعر- القديم، فكتبتها بماء الذهب في
القباطي المدرجة، وعلقها بأستاد الكعبة، فمنه يقال- ' مذهبة امرئ القيس'
ومذهبة زهير؛ والمذهبات سبع يقال لها المعلقات"⁸³

وقال ابن خلدون بعد كلام له في ذلك "حتى انتهوا إلى المباهاة في
تعليق أشعارهم بركان البيت الحرام، موضع حجهم وبيت أبيهم إبراهيم، كما
فعل- امرؤ القيس، وطرفة ابن- العبد، وعلقمة بن- عبدة، والأعشى- ميمون،
وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع"⁸⁴

⁸² مجلة الرسالة/ عدد 52/2 ربيع الاول 1353هـ/ يوليو 1934م للاستاذ عبد المتعال الصعيدي القاهرة بمصر.

⁸³ مرجع السابق ص 1264

⁸⁴ مرجع السابق ص 1264

ولكن اختلف أبو جعفر النحاس المتوفى سنة 338 هـ صاحب العقد الفريد وابن خلدون على هذا المذهب في علة تلك التسمية وقال من شرحه "واختلفوا في جمع القصائد السبع، وقيل أن العرب كانوا يجتمعون بعكاظ فيتناشدون الأشعار، فإذا استحسن الملك قصيدة قال علقوا لنا هذه، واثبتوها في خزانتي، وأما قول من قال إنها علقت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواه"⁸⁵

وعلمنا بأن أبا جعفر لم يذكر من هو هذا الملك، ولكن رجح بعض الرواة أنه النعمان بن المنذر الذي جمع أشعار العرب من ملوك المناذرة، وكان عنده ديوان مكتوب جمع فيه أشعار الفحول. في هذا الموضوع لكل حزب بما لديهم فرحون.

إذًا نثبت من هذه كلها، لأن علاقة الكعبة المعظمة بالأدب العربي الجاهلي وتأثيرها علاقة قوية لا يهمل أبدًا.

3. لماذا علقت المعلقات؟

معنى المعلقة كما يقول البغدادي في الخزانة (الجزء الأول ص 61) أن العرب كانت في الجاهلية، يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلا يعبأ به، ولا ينشده أحد؛ حتى يأتي مكة في موسم الحج فيعرض على أندية قريش، فإذا استحسنوه روى وكان فخراً لقائله، وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر إليه، وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به .

⁸⁵ مرجع السابق ص 1264

على- أن- هذه- المعلقات- سميت- أيضا- السبع- الطوال،- وسميت
'السموط'؛ وسميت "المذهبات"؛ كما سميت سبع قصائد غيرها المذهبات
في جمهرة أشعار العرب؛ وحتى أصحاب المعلقات مختلف في إحصائهم،
1. امرؤ القيس، 2. طرفة، 3. زهير، 4. وعنتر، 5. والحارث ابن- حلزة أو
النابغة الذبياني، 6. والأعشى، ميمون، ثم 7. عبيد بن الأبرص. ولهذا نجد كتبنا
اسمها 'المعلقات السبع' وكتبنا إسمها المعلقات العشر، ومما يذكر أن حماد
الراوية هو الذي جمعها أولاء أو ان بعض بنى أمية أمر من اختار له سبعة
أشعار فسامها المعلقات"⁸⁶

" المعلقات هي ما كان يعلقها تخليدا لذكراها، وعرفانا بجميله وتقديرها
لعظيم أمرها، ورفع لمنزلتها ومكانتها بين الناس، لأن الكعبة كانت وما
زالت مهوى الأفئدة، ومقصد الناس يأتون إليها قبل الإسلام، وبعده حاجين
معتمرين، ومن كل حدب وصوب، فقد جعلت كمركز للإعلان، تعلق قريش
على أستارها ما تتفق عليه في مؤتمراتها"⁸⁷

فقافيتها الرأء وأبياتها 115 بيتا، وقد حرص الشاعر على اجتناب الألفاظ
الفصحى وان كانت غريبة غير متداولة."⁸⁸

4. فحول المعلقات الشعرية

كانت تقام في الجاهلية، أسواق أدبية، كسوق عكاظ وذى المجنة وذى

⁸⁶ المجلة العربية / عدد 101 / ذى الحجة 1386 هـ 1967 م أبريل - المقال للسيد على حسين على / عدن /
جوابا للسؤال من القراء.

⁸⁷ يوسف عبد الكريم عسائي / مكة المكرمة عبر التاريخ ص 99

⁸⁸ المجلة العربية / عدد 8/5 / محرم 1402 هـ / نومبر 1981 م. من مقال 'العرب والملاحم الشعرية' / لحسن
حسن سبجان / بعرعر / السعودية.

المجاز. يتوافد إليها الشعراء من كافة أنحاء الجزيرة العربية، ليعرضوا بضاعتهم الشعرية وليتنافسوا ويتبارزوا في أيهم الأفضل أسلوباً وبلاغة وفصاحة، فاذا حظيت إحدى هذه القصائد على القبول والرضاء كتبوها على الرقاع وعلقوها على أستار الكعبة المعظمة، ولذلك سميت هذه القصائد السبع أو العشر بالمعلقات. وكانت شعراء فحول، اشتهروا اشتهاراً واسعاً في تاريخ أدبنا العربي. وهم:

1. امرؤ القيس: ومطلع معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول

فحومل

2. طرفة بن العبد البكري: ومطلع قصيدته:

لخولة أطلال ببرقة ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر

اليد

3. زهير بن أبي سلمى المزني: ومطلع قصيدته:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

4. ليبيد بن ربيعة العامري: ومطلع قصيدته:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها ورماحها

5. عمرو بن كلثوم التغلبي: ومطلع قصيدته:

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

6. عنتر بن شداد العبسي: ومطلع قصيدته:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

7. الحارث بن حلزة اليشكري: ومطلع قصيدته:

أذنتنا ببيتها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

8. ميمون بن قيس الملقب بالأعشى: ومطلع قصيدته:

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

9. النابغة الذبياني: ومطلع قصيدته:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

10. عبيد بن الأبرص: ومطلع قصيدته:

أقفر من أهله ملحوب فالقطيبات فالذنوب.⁸⁹

5. الكعبة عند أصحاب المعلمات العشر

كان امرئ القيس أول طبقة ودرجة في الشعراء الجاهلين، ويدل على تقدمه في الشعر. ما روى أنه وفد قوم من اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يارسول الله أحيانا الله ببيتين من شعر امرئ القيس بن حجر قال: وكيف ذلك. قالوا. أقبلنا نريدك فضلنا الطريق فبقينا ثلاثا بغير ماء فاستظلنا بالطلح والسمر فاقبل ركب متلثم بعمامة وتمثل رجل ببيتين وهما:

ولما رأيت أن الشريعة همها وأن- البياض- من- فرائصها

دامي

⁸⁹ يوسف عبد الكريم العسائي/ مكة المكرمة عبر التاريخ ص 102-103.

تيممت العين التي عند ضارج يفيئ عليها الظل عرمضا طامي
فقال الراكب من شاعره قال: امرئ القيس بن حجر قال: والله ما
كذب هذا ضارج عندكم. قال: فجتونا على الراكب إلى ماء كمل ذكره عليه
العرمض يفيئ عليه الطلح فشربنا رينا وحملنا ما يكفيننا وبلغنا الطريق. فقال
النبي صلى الله عليه وسلم: ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها! منسي
في الآخرة حامل فيها! يجيء يوم القيامة ومعه لواء الشعراء إلى النار.
وروى: يتدهدئ بهم في النار.⁹⁰

لم نعثر أن امرئ القيس يمدح الكعبة يصف البيت الحرام في شعره،
ولكنه احترام الحرم الشريف، وقد ورد عنه بأنه إذا جاء عند الكعبة كان
يطأ رأسه ويمر مع الورع، لا يمازح للأحد، ولم يقل لأحد، والجاهليون ما
احترم أبداً هذا الشاعر الخبيث، ولكن أحبوا حباً جما شعره بفصاحته
وبلاغته وعلو مرتبة الشعرية ولذا علقوا شعره في جدار الكعبة المشرفة مع
المعلقات.⁹¹

وكان طرفه بن العبد أشعر الشعراء بعد امرئ القيس ومرتبته ثانياً
مرتبة، ولهذا ثنى بمعلقته قال عبد القادر البغدادي، هو أجود الشعر قصيدة،
وله بعد المعلقة شعر حسن وليس عند الرواة من شعره الا القليل لأن ما
عاش الا قليلا فانه قتل ابن ست وعشرين سنة كما قالت اخته عنه:

عددنا له ستا وعشرين حجة فلما توفاهما استوى سيدياً

⁹⁰ من مقدمة شرح المعلقات العشر/ ترجمة امرئ القيس وأخباره ص 4.
⁹¹ المرجع السابق.

ضحما

فجعنا به لما رجونا إياه على خير حال لا وليدًا ولا قحما
ما ورد عنه شيئًا أن قال عن الكعبة المشرفة أو غيرها من الكلام
المشهور- كما مرئ القيس- ولكن كان أحسن من امرئ القيس- في أن يتمايل
إلى روح ديني كمثل ذكر الميتة وفناء الحياة في الدنيا والرحيل إلى الآخرة.
كمثل قوله:

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي
ويقول أيضا عن الموت:

كريم يروى نفسه في حياته ستعلم- إن- متناعداً- أينا
الصدى

ويقول عن عدم بخله، ويعاتب البخلاء:

أرى قبر نحام بخيل بما له كقبر- غوي- في- البطالة
مفسد

ترى جثوتين من تراب عليها صفائح صم من صفيح منضد
ويقول:

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكأ طول المرخى وثيناء باليد
وأيضاً مشهور عند أدباء العالم كلامه يقول:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار ما لم يزود

ونأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتا ولم تضرب له وقت موعد.⁹²
وزهير- بن- أبي- سلمى- أحد الشعراء الثلاثة المتقدمين- على- الشعراء
بالإتفاق- وانما اختلفوا في- تعيين- أيهم- أشعر- على- الآخر- وهم امرئ-القيس،
وزهير- والنابغة- الذبياني- كذا- قال- عبد- القادر- البغدادي- وقال- عمر- بن
الخطاب يوما لإبن عباس رضي الله عنه: هل تروى لشاعر الشعراء قال ومن
هو قال الذي يقول:

ولو أن حمداً يخلد الناس خلدوا ولكن- حمد- الناس- ليس

بمخلد

قال- ابن- عباس- ذاك زهير- قال- فذاك شاعر-الشعراء- قال- ابن- عباس،
وبم- كان- شاعر- الشعراء- قال: لأنه كان- لا- يعد- ظل- في- الكلام- وكان- يتجنب
وحشى الشعر ولا يمدح أحداً إلا بما فيه.

وقال ابن قتيبة: وكان زهير يتأله ويتعفف في شعره، ويدل على ايمانه
بالبعث قوله المشهور:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب ويدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
لزهير بن أبي سلمى شعر متوفر عن الكعبة والطواف وغيرها، ومنها:
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قریش وجرهم
يمينا لنعم السيدات وجدتما على كل حال من سجيل ومبرم

⁹² المرجع السابق/ ترجمة طرفة ابن العبد ص 17

وشاعر- الشعراء- المجيدين- لبيد- بن- ربيعة- وكان- من-الفرسان
المشهورين- ومن- المعمرين- وعده ابن- سلام- من- الطبقة الثالثة وقرنه بنابغة
بنى جعدة وأبى ذؤيب الهذلي والاشماخ.

قال- للبيد النابغة اذهب فانك أشعر-العرب- وروى- أن- الفرزدق- مر
بمسجد بنى أقيصر بالكوفة وعليه رجل ينشد قول لبيد:

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها
فسجد فقيل- له- ولم- يا أبا فراس؟! فقال- أنتم- تعرفون- سجدة القرآن،
وأنا أعرف سجدة الشعر.⁹³

إنه أقل- الشعراء لغوا في شعره، وحكمه في شعره كثيرة. وروى- ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أصدق كلمة قالها شاعر، كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
لما عاش لبيد حتى بلغ مائة وعشرين سنة فانشأ يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد
تقول عائشة رضي الله عنها رويت للبيد اثنى عشر ألف بيت.

فلا نعثر على معلقة لبيد يصف الكعبة أو تعظمها شيئاً. إلا بالإشارة
إلى سند آباء الانسان كما قال:

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها
لا يطبعون ولا يبور فعالهم اذا لا يميل مع الهوى أحلامها

⁹³ المرجع السابق/ ص 19

علامها

وكان عمرو بن كلثوم شاعرا فارسا وهو أحد فتاك العرب وهو الذي فتك بعمر بن هند، وكان سيدهم وهو ابن خمس عشرة سنة ومات هو ابن مائة وخمسين سنة، والسبب في قول معلقته، لما فتك عمرو بعمر بن هند، قال معلقته وخطب بها في سوق عطاء وفي موسم مكة. وبنو تغلب يعظمونها جدًا؛ ويرويها صغارهم وكبارهم حتى هجاهم بذلك بعض بنى بكر بن وائل فقال:

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

ترؤونها أبدًا من كان أولهم يا للرجال لشعر غير مشئوم

مجمل شعره في المدح عن قبيلته والخمر وحببته وغيره لا يوجد في شعره وصف ولا مدح عن البيت الحرام والحرم المكي، ولكن قصائده جميلة وافرة بالبلاغة والفصاحة فعلقها بالكعبة لإحترامها.

كان عنتر بن شداد شاعرا جاهليا، وهو أحد فرسان العرب المشهورين وأجوادهم المعروفين، وكان من فحشاء الشعراء الذين يتبعون الغاوين، أكثر شعره في الهجاء، كان أبوه نفاذ واستعبده على عادة العرب مع أبناء الاماء، فانهم يستعبدونهم إلا اذا ظهرت عليهم النجاسة وكان إخوته من أمه عبيدا. وكانت امرأة أبيه واسمها سمية حرشت عليه أبناه وادعت أنه راودها عن نفسها فغضب أبوه وضربه ضربا شديدا، فوقعته عليه سمية،

وكان أبوه يريد أن يقتله فقال فائيته التي أولها:

أمن سمية دمع العين مذروف لو- أن- ذا- منك- قبل- اليوم

معروف.

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال ما وصف لى أعرابي وأحببت أن- أراد الا عنتره. وكانت العرب تسمى معلقته المذهبة لحسناها وعلقها بالكعبة. شعره عن وصف الخيل والحرب وغيرها من الموضوعات، ولا نجد في شعره شيئاً من البيت الحرام وصفاً أو مدحاً أو غيرها.

وشاعر- صاحب المعلقة الحارث بن حلزة من أجود الشعراء قصيدة واحدة حيدة طويلة. ثلاثة نفر- عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وطرفة بن العبد، يضرب بالحارث المثل- في- الفخر- فليل: "أفخر- من- الحارث- بن- حلزة". ولما وقع بعض الأمور- بينه وبين عمرو بن هند قام الحارث بن حلزة فار- تجل- معلقته هذه إرتجالاً، وتوكل على قوسه وأنشدها، واقتطم كفه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها، ومات وله به السنين مائة وخمسون سنة. وكان- في- قصيدة معلقته عقائد- عن- الملك- والجن- وعن- الاخلاق

الممدوحة يحتاج للانسان السوى كما نراها في معلقته يقول:

إرمي بمثله جالت الجن فأبت لخصمها الأجلء

ملك مقسط وأفضل من يم شي ومن دون مالدیه الثناء

ولكن لا نجد عن الكعبة شيئاً مذكوراً في معلقته.

وكان الأعشى ميمون- صناجة العرب- من- فحول- الشعراء الجاهلية،

وصاحب المعلقة، وكان شعره جودة وكان يقال لأبيه قتيل الجوع سمي بذلك لأنه داخل غارا يستظل فيه من الحرء فوقعته صخرة عظيمة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا. وهجاه بعض بنى عمه فقال:

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل وخالك عبد من خماعة راضع.

وسئل يونس بن حبيب النحوي من أشعر الناس فقال: لا أومى إلى رجل بعينه، ولكن أقول امرؤ القيس إذا ركب، والنابعة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب، وهو أول من سأل بشعره، وكان حجائه شديداً في الجاهلية، فادرك الإسلام في آخر عمره ورحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية فبلغ قريشا خبره فرصدوه على طريقه، وقالوا هذا صناعة العرب ما مدح أحدا قط إلا رفع قدره، فلما ورد عليهم قالوا أين أردت يا أبا بصير، قال أردت صاحبكم هذا لأسلم، قالوا أنه ينهاك عن ذلك ويحرمها عليك، وكلها لك موافق، قال وما هي: قال أبو سفيان ابن حرب: الزنا، قال لقد تركنى الزنا وملت تركته. ثم ماذا قال: القمار. قال لعلي أن لقيته أن أصيب منه عوض من القمار، ثم ماذا قال: الرباء، قال ما دنت ولا أدنت قال ثم ماذا قالوا: الخمر. قال أو أرجع إلى صباقة قد بقيت لي في المهراس فاشربها، فقال له أبو سفيان هل لك في خير مما هممت به، فقال وما هو، قال نحن وهو الآن في هدنة فتأخذ مائة من الإبل، وترجع إلى بلدك سنتك هذه، وتنظر ما بصير اليه أمرنا. فان ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفا وان ظهر علينا أتيته. فقال: ما أكره ذلك. فقال أبو سفيان يا معشر قريش، هذا

الأعشى - والله لئن أتى محمدًا واتبعه ليضر من عليكم نيران العرب بشعره
فاجمعوا له مائة من الإبل ففعلوا فأخذها. وانطلق إلى بلده، فلما كان بقاع
منفوحة رمى به بغيره فقتله. وكان قد قال قصيدة يمدح بها النبي صلى الله
عليه وسلم مطلعها:

الم تغتمض عينك ليلة أرمدا وبت - كما - بات - السليم

مشهدا.⁹⁴

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: في حقه كاد ينجو ولما.

يقول الأعشى في خلال مدح قومه يشتمل كلامه بالبيت الحرام بقول ينشد:

وقد أخالس رب البيت غفلته وقد يحاذر منى ثم ما يئل

وكانت العرب لا تعد الشاعر فحلا حتى يأتي ببعض الحكمة في شعره فلم

يعدوا الأعشى فحلا حتى قال:

قلدتك الشعر يا سلامة ذا فائش والشيئ حينما جعل⁹⁵

والنابغة الذبيانيء هو أحد فحول أهل الجاهلية وصاحب المعلقة، عدد ابن

السلام في الطبقة الأولى مع امرئ القيس والأعشى وزهير، وهو أحد الاشراف

الذين غض الشعر منهم وهو أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام

وأحزلهم بيتا، كأن شعره كلام ليس فيه تكلف.

وروى أن عمر رضي الله عنه قال: يا معشر غطفان من الذي يقول:

أيتك عاريا خلقا ثيابي على خوف تظن بي الظنون

⁹⁴ المرجع السابق ص 37

⁹⁵ المرجع السابق ص 38

فقالوا: النابغة. قال ذاك أشعر-شعرائكم. وفي شعره يذكر بقية تاريخ الأنبياء معجزيتهم قبل. وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لجلسائه يوماً من أشعر الناس. قالوا أنت أعلم يا أمير المؤمنين. قال من الذي يقول:
"إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحدها عن الفند
وخيس الجن إني قد أذنت لهم يبنون - تدمر - بالصفاح
والعمد"

فقالوا النابغة، ويقول في معلقته عن الكعبة المشرفة والمكة المكرمة وعن المؤمنين العائدين إليها، وينشد:

فلا لعمر الذي مسحت كعبته وما هريق على الأنصاب من جسد
والمؤمن العائدات الطير تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد⁹⁶
عبيد بن الأبرص هو من فحول شعراء الجاهلية، عدده ابن سلام في
الطبقة الرابعة وقرنه بطرفة، وعلقمة، وعدى بن زيد العابدی. قال: وعبيد بن
الأبرص قديم عظيم الشهرة، ولكن شعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله:
أفقر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب
قال أدري ما بعد ذلك.

وفي شعره يظهر عفة نفسه ويسئ سؤال الناس بلا حياء ولا سبب
وينشد بقوله:

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب
ويؤمن أن الخير كله من الله يؤتیه من يشاء. ويقول:
بالله يدرك كل خير والقول في بعضه تلغيب

⁹⁶ المرجع السابق ص 43-44.

ويؤمن بالله وحده ولا يشرك فيه شيئاً ويقول:
والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب.
ولا نوجد في شعره عن الكعبة شيئاً...

الباب السادس

إعتراف القرآن بالكعبة المعظمة

الفصل الأول

الكعبة في القرآن العظيم

الفصل الثاني

القرآن يدور حول الكعبة

الفصل الثالث

خليل الله ومحمد الأمين في رحاب الكعبة

الفصل الرابع

الرسالة المحمدية حول الكعبة

الفصل الخامس

تبكي الكعبة بانقطاع محبيها

الباب السادس اعتراف القرآن بالكعبة المعظمة

الفصل الأول الكعبة في القرآن العظيم

إن إسم الكعبة متخذ من مادة التعكيب في اللغة العربية وهو التربيع، أو مع الإرتفاع، وقد ذكر عشرة أسماء الكعبة في كتاب "الكعبة قبل الإسلام" للشيخ الأديب الأستاذ عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله) وبين أن بعضا قد ورد في الكتاب والسنة والشعر مثل 'القبلة' البيت، وبكة. يقول الله عز وجل: " سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها"¹ ويقول سبحانه: إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك وهدى للعالمين.² أما الكعبة وقد ورد هذا الإسم في القرآن المجيد في سورة المائدة في الآيتين (95-97).

1. ... ومن قتله منكم متعمداً فجزاءً مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا

عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مسكين... الخ.

2. جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس... الخ.³

أما في السنة " لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم: يوم فتح

مكة دخل المسجد الحرام والأصنام منصوبة حول الكعبة. فجعل يطعن بسية

¹ البقرة 142

² آل عمران 46

³ المائدة 95-97.

قوسه في عيونها ووجوهها ويقول " جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " ثم أمر بهل فكفئت- اى ألقيت على وجوهها ثم اخرجت من المسجد فحرقته، واستشهد أيضا ببيتين- من الشعر- الجاهلى للنابغة الذبياني:

فلا لعمر الذي مسحت كعبته

وما هريق على الأنصاب من جسد

والمؤمن العائذات الطير تمسحها

ركبان مكة بين الغيل والسعد.⁴

1. بيت الله الحرام في كلام الله الكريم

قد ورد في القرآن العظيم وصفا للكعبة " بالبيت " نقرأها فيما يلي:

1. واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا. واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.

وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل- ان- طهرا-بيتي للطائفين-والعاكفين

والركع السجود (سورة البقرة آية رقم 125)

2. واذ يرفع إبراهيم- القواعد من-البيت وإسماعيل- ربنا تقبل- منداإنك

انت السميع العليم (سورة البقرة آية رقم 127)

3. ان الصفا والمروة من شعائرالله. فمن حج-البيت أواعتمر-فلا جناح

عليه ان يطوف-بهما. ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر- عليم(سورة

البقرة آية رقم 158)

⁴ الأستاذ عبد القدوس الأنصاري/ الكعبة قبل الاسلام ص 47

4. ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين (سورة آل عمران آية رقم 96)
5. فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا. ومن كفر فإن الله غني عن العالمين (سورة آل عمران آية رقم 97)
6. يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا أمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا... الخ (سورة المائدة آية رقم 2)
7. جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد... الخ (سورة المائدة آية رقم 97)
8. وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (سورة الأنفال آية رقم 35)
9. ربنا إنني أسكنت من دريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة. فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون (سورة إبراهيم آية رقم 37)
10. و إذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (سورة الحج آية رقم 26)
11. ثم اليقضوا تغنهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (سورة الحج آية رقم 29)

12. لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق
(سورة الحج آية رقم 33)

13. فاليعدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف
(سورة قريش آية رقم 106)

2. المسجد الحرام في محكم تنزيله

وقد ورد لفظ "مسجد الحرام" إسماً للكعبة فيما يأتي من الآيات
القرآنية:

1. قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها. فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطرة الخ
(سورة البقرة آية رقم 144)

2. ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام (سورة البقرة
آية رقم 149، 150)

3. ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه. فان قاتلوكم
فاقتلوهم. كذلك جزاء الكافرين (سورة البقرة آية رقم 191)

4. ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان
الله شديد العقاب (سورة البقرة آية رقم 196)

5. يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير. وصد عن
سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه الكبر. عند
الله ... الخ (سورة البقرة آية رقم 217)

6. ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان... الخ
(سورة المائدة آية رقم 2)
7. وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا
أولياء إن أولياؤه إلا المتقون (سورة الانفال آية رقم 34)
8. كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام الخ (سورة التوبة آية رقم 7)
9. اجعلتم سقاية الحاج وعمار المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم
الآخر وجاهد في سبيل الله الخ (سورة التوبة آية رقم 19)
10. يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد عامهم هذا... الخ (سورة التوبة آية رقم ...)
11. سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير
(سورة الإسراء آية رقم 1)
12. إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي
جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد الخ (سورة الحج آية رقم 25)
13. هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً
يبلغ محله... الخ (سورة الفتح آية رقم 26)
14. لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء

اللهم آمين، مخلقين رؤوسكم ومقصرين، لا تخافون، (سورة الفتح آية

رقم 27)

3. الكعبة المعظمة في الكلام النبوية

قد ورد في الكلمات النبوية عن الكعبة المعظمة عديدة جدًا، نورد بعضها فقط. وإن مكة المكرمة في مركزها تقوم الكعبة، وهي حرام منذ خلق الله السموات والأرض.

يقول عن حرمتها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي، وإنها أحلت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد بعدى. فلا ينفر صيدها، ولا يختلي شوكتها، ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين، إملأ أن يقدي، وإما أن يقتل. فقال العباس: إلا الإذخر. يا رسول الله، فإننا نجعله في قبورنا وبيوتنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إلا الإذخر" (متفق عليه)

يقول عن تسميتها:

روى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما سمي البيت العتيق، لأنه لم يظهر عليه جبار (الترمذي 3170)

يقول عن اقتصارها:

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لها: ألم ترى أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا من قواعد إبراهيم، فقالت يا

رسول الله الا تردها على قواعد إبراهيم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لولا حدثنا قومك بالكفر لفعلت. (البخارى 1583 ومسلم 1333)

يقول عن بابها:

قالت عائشة رضي الله عنها: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما شأت بابها مرتفعاً؟ فقال: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا ما شاءوا (البخارى 1584 ومسلم 1333)

يقول عن خرابها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرب الكعبة ذو السويقين من الحبشة (البخارى 1591)

يقول عن اخراج كنزها:

عن سعيد بن سمعان. أنه سمع أبا هريرة - يحدث أبا قتادة - قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يبائع لرجل ما بين الركن والمقام ولن يستحل البيت إلا أهله. فاذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ثم تأتي الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه (المسند أحمد؛ والحاكم)

يقول عن سدانتها:

وقال ابن عباس رضي الله عنه: لما طلب رسول الله المفتاح - الكعبة في يوم فتح مكة - من عثمان بن طلحة، فهم أن يناوله إياه، فقال له العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بأبي أنت وأمي، اجمعه لى مع

السقاية، فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس بن عبدالمطلب. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هات المفتاح فأعاد العباس قوله. وكف عثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر. فقال هاك يا رسول الله، بامانة الله، فأخذ المفتاح، وفتح البيت، فنزل جبريل بقوله: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها - النساء 58 - ثم لم يزل عثمان يلي فتح البيت إلى ان توفي، فدفن ذلك إلى شيبه ابن عثمان بن ابي طلحة وهو ابن عمه فبقيت الحجابة في ولد شيبه.⁵

يقول عن مقام إبراهيم:

عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" (البقرة 125) (رواه البخاري 4483) "وصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلف المقام" (مسلم 2/887)

يقول عن الحجر الأسود:

عن ابن عباس: قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم. (الترمذي 877) عن ابن عباس أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر: والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق (رواه الترمذي 961)

⁵ صفى الرحمن المباركفوري / تاريخ مكة المكرمة ص 39

يقول عن بئر زمزم:

قال أبو ذر الغفاري: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فرج عن سقفة بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم؛ ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا (رواه البخاري 3342). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، وفيه طعام من الطعام وشفاء من السقم (رواه الطبراني في الكبير). وقال أيضا عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بسجل من ماء زمزم فشرب منه وتوضأ. وفي رواية "وصب على رأسه" (الألباني في إرواء الغليل 1124)

هذا الباب مطول، تكتفى بهذا الحد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أخرج من بلده المحبوب وحرم الله العظيم. يامكة! واللهم إنك لخير أرض - الله وأحب أرض - الله إلى الله، ولولا أن أخرجت منك لما خرجت (رواه أحمد، والدارمي، والترمذي، وابن ماجه)

4. الكعبة في ديوان العرب

كانت للكعبة تأثير بالغ في قلوب العرب وعاداتهم وعرفهم حتى لم ينس أشعارهم عن ذكر أنسابهم ومفاخرهم وحروبهم وأيامهم و هذا ظاهر في أشعارهم، ففي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت الثقفي:

وجرهم دمنوا تهامة في الدهر فسالت بجمعهم إضم

ويقول شاعرهم الحارث بن ماض - الأصغر - القصيدة المشهورة كما

أوردناها من قبل مطلع قصيدته:

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس- ولم- يسمر
بمكة سامر...

إلى أن قال:

وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بذاك البيت والخير
ظاهر.

وقال أيضا:

أيها الحي سيروا أن قصركم
إن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
أنا كما كنتمو كنا فغيرنا
دهر فسوف كما صرنا تصيروننا
إلى أن قال:

كنا زمانا ملوك الناس قبلكمو
بمسكن- في- حرام- الله
مسكونا

ومن ديوانهم ما قال عمر بن الحارث الجرهمي:

وكنا ولاة البيت والقاطن الذي
أليه يؤدي نذره كل محرم
سكنا بها قبل الظباء وراثه
ورثنا بها حى- بن- نبتد بن
جرهم

فازعنا منه وكنا عقيلة
قبائل- من- كعب- وعوف
وأسلم

وقال أيضا:

كهننا جرهم وأية كهف
وولاية لبيته والحجاب
فسقوا في الحرام بعد تقاهم
وأستعاضوا- العقاب- بعد
الثواب⁶

⁶ أبو القاسم زين العابدين/ الكعبة والحج في العصور المختلفة ص 63-64.

الفصل الثاني القرآن يدور حول الكعبة

في سن الأربعين، وبينما محمد صلى الله عليه وسلم يتعبد في غار حراء، ينزل عليه جبريل عليه السلام، ويهتز كيانه محمد كله... وكانت أول آيات القرآن الكريم نزل عليه: " إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق؛ إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم"⁷

فعاد محمد صلى الله عليه وسلم خائفاً واجفاً... يقص ما حدث على حبيبته خديجة فقالت ما قالت، وذهبت إلى عمه ورقة بن نوفل، فبين أنه قدوس الذي نزل على موسى وعيسى عليهما السلام... فكان رسولا نبيا هاديا وبشيرا، ثم تمضى الأيام وأيام... والوحي انقطع، ولكن ما ودعه الله ربه وما قلبه... ثم أعطاه الله ربه فرضي وسرعان ما ينزل وحي السماء، وعاد إلى البيت الله العتيق يهزه الخوف، ثم بدأ إنذاراً إلى قومه وعشيرته الأقربين، فقال لهم إني أنا النذير المبين إلى كافة الناس وبشيرا لمن أطاع له الجنة... وتبدأ الدعوة... ويلقى الرسول ما يلقى من عذاب وهوان... ويلقى أتباعه صنوف العذاب والإضطهاد... وتبدو هنا عظمة محمد ومعدنه العظيم... بالقرآن الكريم المهيمن جميع الكتب السماوية في العربية الفصحى البليغة بتحدية شديدة بقول الله العزيز المقتدر " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم

⁷ العلق آية رقم 1-5.

لبعض ظهيرا⁸

فالقُرآنُ أبرزُ مثالَ لأهمية الكلمة علما ما أنزلَ اللهُ على رسوله، من أمر ونهى، وتوجيه وتنظيم، وشريعة وأحكام، وقصص وعبر، وعلوم وفنون، ومن خلال الآي القرآنية أحطنا بحياة الرسول ومجرى الأحداث التي رافقت مراحل الرسالة، وندرك القرآن مضمون الحكم الباهرة التي تزكيتها العالمين جميعاء ولا سيما العرب المخاطبين الأولين، فكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس.

1. أدب القرآن – روافده وآثاره بالكعبة

لم ترد لفظة 'أدب' في القرآن الكريم، بل وردت قليلا في كلام رسول الله كمل في قوله: ... ورجل اشترى جارية فرباهل فأحسن تربيتها وأدبها فأحسن تأديبها، ثم اعتقلها فتزوجها... الخ؛ فدللت هنا على التهذيب النفسى وتعليم ما يصلحها من أمر دينها وسلوكها، ويقول الأعشى الميمون؛

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقر

والأدب هنا صاحب المأدبة، يجتمع عليها المدعون فيطعمون ويأنسون، فهكذا تهذب القرآن نفوس الإنسان وتزكى القلوب، وكذلك حروف هذه المادة في تراكيبها الأخرى مثل "دأب" و"بدأ" و"أبد" جميعها اقترابا من مفهومها الفنئى - والأدب يكون - نثرا وشعرا - فالمفهوم الفنئى لكلمة "أدب" هو القول الجميل الذي نقرئها في كتب المفكرين أو خطب البلغاء أو شعر

⁸ الإسراء آية رقم 88

المفلقين، فمنزلة الأدب من حيث أثره وفائدته، لا بد من التذكير بأنه أكمل
الوسائل البشرية في التعبير عن عواطف الإنسان وعقله.

وأهل الكعبة كانوا أشد الناس شعورًا بفائدة الأدب وأثره في النفس الإنسانية فكانوا هم دعاة الإسلام الذين يدركون أنهم لن يصلوا إلى قلوب الناس وعقولهم إلا عن طريق الفنون الأدبية في خطابة وكتابة وقصة وشعر، وإنما يتفاوت أثرهم في النفوس تفاوت أساليبهم في عرض محسنات الإسلام واقناع الآخرين بحقائقه، كما نرى في قول الله تعالى: أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" أروع توجيه إلى أهمية الأسلوب في خدمة الدعوة الربانية، وكما أمرنا "وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً."

فتأثر أدب القرآن في لسان رسول الله تأثيراً عظيماً مع أنه كان أفصح الناس وأصله من قريش وهم أبلغ الناس بلاغة وفصاحة فكان الرافد الثاني للأدب القرآن وبلاغته كلام النبوي الطاهر الذي يقول في وصفه كاتب العربية أبو عثمان الجاحظ:

" هو الكلام الذي ألفى الله عليه المحبة وغشائى بالقول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الأفهام وقلته الكلام مع استغناء عن إعادته وقلته جاحة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يبرز الخطب الطوال بالكلم القصار ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلح إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواردية ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطن ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعمن نفعاً ولا أقصر لفظاً ولا أعدل وزناً،

ولا أجمل- مذهباء ولا أحسن- موقعاء ولا أسهل- مخرجاء ولا أفصح- معنىء ولا
أبين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم.⁹

ثم في كلام أهل الكعبة كلهمء ثم في كلام الراشدين نشأوا في كنف
الأدب القرآني والنبوة الشريفةء هذه كل أو بعض عوامل القوة لأدب القرآن
بالنسبة إلى الكعبة المشرفة.

2. أثر القرآن العظيم في لغة العرب

يقول محمد المجذوب عن أهم الآثار التي طبعها كتاب الله في لغة
العرب وآدابهم:

1. نزل القرآن العظيم بلغة قريش فكان ذلك سبباً لتثبيت سلطانها نهائياً
إذ أقبل العرب على دراسة القرآن والسنةء فتأثرت أسنتهم بطوابع
هذه اللغة وأخذوا يتخلون عن الباقيء من لهجاتهم القبلية ايثاراً للغة
القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم.
2. كان لشيوع التعابير القرآنية والنبوية أثر كبير في تهذيب اللغة الأدبيةء
اذ تأثر الخطباء والشعراء بألفاظها: فرقت مشاعرهم ورهفت أدواتهم
فهجروا الألفاظ الوحشيةء وراحت على أسنتهم ومصطلحاتها مثل
القرآنء الاسلامء- السنةء- الوضوءء- الصلاةء- الزكاةء- الكفرء-
الإيمانء- الفسوقء- الإمامء- الخليفةء- السلام إلى غير ذلك من
الكلمات التي أكسبها الاسلام معاني لم تكن معروفة من قبل.

⁹ محمد المجذوب/ تحفة اللبيب من ثقافة الأديب ص 14.

3. خرج الفكر العربي عن حدوده الضيقة بما واجه من مصادر ثقافية

تفجرت من ينابيع القرآن والسنة، فلم يعد مكتفياً بما مارسه قبل من

المدح والهجاء والفخر والرثاء، وألوان الحكمة التجريبية ... الخ

4. وفي فنون الأدب ظهر أثر الإسلام قويا: إذ جمّد بعضا وأحدث بعضا

وطوّر بعضا ... الخ

5. بدأت العربية تنتشر في الأقطار التي ضمها الفاتحون إلى الدولة

الإسلامية، وكثر الدارسون لها من فرس وروم وهنود، حتى كان منهم

الشعراء والأدباء وصفوة من الفقهاء وعلماء اللغة.¹⁰

3. تأثير النثر نحو الكعبة

النثر كالشعر قد أثر في الأدب العربي تأثيرا بالغا في أهل الكعبة في

الجاهلية والإسلام، كما نراها البيانات عنها في التاريخ الأدب العربي، ولا

حاجة إلى التوضيحات كثيرا، والشعر والنثر من الكلام الجميل، فالشعر

يعتمد على الوزن والقافية والنغم ويسلك إلى أداء المعنى المراد سبيل

التصوير الخيالي، المتمثل غالباً في التشبيه والاستعارة والكناية وضروب

المجاز، ولكن النثر يغلب على الشعر الأثر العاطفي، النابع من انفعال

الشاعر، لذكرى كمينه في أعماق القلب، أو لحادثة عارضة أثارت عواطفه

فاندفع إلى ترجمتها باللفظ المناسب، والتركيب العصور لتجربته الشعورية،

مثال ذلك كثيرة في الأدب العربي، في المقالات والخطب، والأمثال

¹⁰ المرجع السابق ص 37-38.

والقصص والتعبير وغيرها من الفنون في النثر الأدبي، كما وجدنا في مقال مرثد الخير يقول: " فقال الملك: لا تنشطوا عقل الشوارد، ولا تلقوا العون القواعد، ولا تؤرثوا نيران الأحقاد، ففيها المتلفة المستأصلة والجائحة والأليكة، وعفوا بالحلم، أتلاذ الكلم، وأنيبوا إلى السبيل الأرشد والمنهج الأqvدم، فان الحرب تقبل بزبرجد الغرور، وتدبر بالويل والثبور؛ ثم قال الملك:

الا هل أتى الأقوام بذلى نصيحة

حبوت بها منى سبيعا وميثما

وقلت أعلما ان التدابر غادرت

عواقبه للذل والقل جرهما...¹¹

4. خطبات بليغة ترتج بها الكعبة

وقد ارتجت الكعبة ببعض الخطب والأقوال المؤثرة النادرة ألقاها الخطباء المصانع عبر التاريخ، مثلا ما قيل عن عبد المطلب بن هاشم في منامه من حفر زمزم، رأى في منامه أولا " إحفر طيبة، ثم إحفر برة، ثم إحفر المذنونة؛ فقال- أخيرا- إحفر- زمزم، فقال- عبد المطلب، وما زمزم؟- قال: " تراث من أبيك الأعظم، لا تنزف أبداً ولا تدم، تسقى الحجيج الأعظم، مثل نعام جافلٍ لم يقسم، ينذر فيها نادر لمنعم، تكون ميراثا وعقد محكم، ليس كبعض ما قد تعلم، وهى بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الاعصم، عند

قرية النمل"¹²

¹¹ أحمد زكى/ جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة ص 12.
¹² ابن الأثير/ تاريخ الكامل ص 5-6. والسيرة الحلية 1/31 وسيرة ابن هشام 908.

فلما بين له شأنه ودله على موضعها وعرف أنه قد صدق فحفر-جارية

الكعبة الزمزم"

وكذلك الخطب المختارة المتأثرة عند الكعبة المشرفة: مثل-خطبة

يوم فتح مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقف على باب الكعبة ثم

قال لا اله الا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب

وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى، فهو تحت قدمي هاتين: إلا سدانة

البيت، وسقاية الحاج، ألا وقتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا، فيهما الدية

مغلظة منها أربعون خلفه في بطونها أولادها، يا معشر قريش إن الله قد

أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيها بالآباء، الناس من آدم، وآدم خلق من

تراب، ثم تلا " يا أيها الناس إننا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا

وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم " الآية، يا معشر قريش، ملأتم

أنى فاعل بكم؟ قالوا خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم

الطلاق"¹³

وكذلك خطبته في الاستقاء روى أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ في

عام جدب فقال: أتيناك يا رسول الله ولم يبق لنا صبي يرتضع، ولا شارف

تجتر، ثم أنشده:

¹³ تاريخ الطبرى 3/120: ابن الاثير/ الكامل 2/121

أتيناك والعذراء يدمى لبانها

وقد شغلت ام الرضيع عن الطفل

وألقى بكفيه الفتى لا ستكانة

من الجوع حتى ما يمر ولا يحلى

ولا شيئ مما يأكل الناس عندنا

سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل

وليس لنا الا إليك فرارنا

وأين فرار الناس الا إلى الرسل؟

فقام النبي صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر، فحمد

الله وأثنى عليه، وقال: اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا هنيئا مريعا سحا

سجالا غدقا طبقا ديملا دررا يحيي به الأرض وتنبت به الزرع وتدر به

الزرع، واجعله سقيا نافعة، عاجلا غير راث"14

فوالله ما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده إلى نحره، حتى

ألقت السماء أرواقها وجاء الناس يضحون، الغرق الغرق يا رسول الله فقال:

اللهم حوالينلا علينا فانجاب السحاب عن المدينة، حتى استدار حولها

كالإكليل، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه"14

وكذلك خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وغيره،

ومثال آخر نادرة جداء وهو خطبته صلى الله عليه وسلم في مرض

¹⁴ شرح ابن أبي الحديد/ ج 3 ص 316

موته، هي بليغة جلابة القلب تقشعر بها قلوب المحبوبين وتدمعت بها عيون السامعين، وعن فضل بن عباس قال: جئني رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت إليه فوحدته موعوكا قد عصب رأسه. فقال: خذ بيدي يا فضل، فأخذت بيده حتى جلس على المنبر، ثم قال: ناد في الناس، فاجتمعوا إليه، فقال:

"أمل بعد: أيها الناس فاني أحمد إليكم الله الذي لا اله إلا هو، وإنه قد دنأ مني خفوق من بين أظهركم، فمن كنت جلدت له ظهرًا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضًا فهذا عرضي فليستقد منه، ومن أخذت له ملا فهذا ملا لي فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء من قبلي، فإنها ليست من شأني، ألا وإن أحبكم إلي من أخذ مني حقلًا إن كان له، أو حللني فلقيت ربي وأنا طيب النفس، وقد أرى إن هذا غير مغنى عني حتى أقوم فيكم مرارًا.

ثم نزل صلى الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقالته الأولى، فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم فأعطى عوضها، ثم قال: "أيها الناس من كان عنده شيء فليؤده، ولا يقل فضوح الدنيا، ألا وإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة، ثم صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم، ثم قال: إن عبدًا خيرم الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده، فبكي أبوبكر وقال:

فدينك بأنفسنا وآبائنا" (تاريخ الطبري 2/191 والكامل لابن الاثير 3/154)¹⁵

¹⁵ أحمد زكي / جمهرة خطب العرب ص 158

الفصل الثالث خليل الله ومحمد الأمين في رحاب الكعبة

قد رفع إبراهيم الخليل عليه السلام من البيت الله الحرام، وشارك معه ابنه اسماعيل عليه السلام، ثم قال ربنا تقبل منا، فتقبل الله منهما قبولاً حسناً، ثم كفلهما ذريتهما وأحفظهما جيلاً بعد جيل، كابرًا عن كابر، بأيادي طاهرات، وحماها الله بحماية الخاصة من عدوان العادين، وكانت الكعبة مقر الرسل الكثير، وكانت قبلة ومأوى، ومثابة للناس، منذ أذن إبراهيم عليه السلام بالحج في الناس، فأتى الأنام إليها من كل حدب وصوب من فج عميق، حتى وصل الأمر إلى القريش، ومن القريش إلى رسول الله خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، واستقر في وسط العالم قبلة التوحيد والهداية والنور، الآف من الآلاف الناس يحجونها ويعتصرونها في كل صيف وشتاء، ويعبدون رب هذا البيت الذي أطعم أهلها من الثمرات، والأرزاق، وآمن حاميتها من خوف وحيران، تترى هذا في عبور العصور حتى يومنا هذا.

1. خليل الله في القرآن

قد ورد في القرآن اسم إبراهيم عليه السلام عدة مرات، وهي أما متعلقة بحياته أو بدعوته، أو بجهاده، أو بتبليغه، أو بدعائه، أو لنصيحة أولاده، مع أبو عظه بالناس عامة أم خاصة؛ وغيرها من الأمور. فميلاد محمد صلى الله عليه وسلم يرتبط بحرث إلهي يحفظ الكعبة ويصون حرمتها، فأوضح الله

تعالى في وحيه إلى الرسول أوصاف إبراهيم وأحواله الدعوية إلى الله وبينها بياناً
تأمل من تاريخه الزاهرة، فنعرف من آية القرآن الكريم " من كان إبراهيم "
" وكيف كان شخصيته ودعوته وعبقريته... فنقدم ما ورد في القرآن عنه
لإفادة طلبة العلم والقراء وغيرهم.

هو إبراهيم بن تارخ (أوآزر) بن ناحور حتى يصل نسبه الطاهر إلى
نوح عليه السلام. واسم أمه كمل ورد ابن عساكر في تاريخه "أميلة" ويكنى
إبراهيم "بأبي الضيفان".

ولد ببابل، تزوج إبراهيم سارة، وكانت عاقراً لا تلد، فانطلق أبومع
أسرته من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين وأهل بلده كانوا يعبدون
الكواكب السبعة والاصنام بأنواع من الفعال والمقال وكل من على وجه
الأرض كانوا كفاراً، سوى إبراهيم وامرأته وابن أخيه لوط عليه السلام، فأعطاه
الله في صغره سنة رشداً، وابتعثه الله رسولاً، فاتخذ الله خليلاً في كبره، كما
قال تعالى:

"ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين" (الأنبياء 51)

إبراهيم داعياً إلى التوحيد

في سورة العنكبوت من آية 16 إلى 27 يبين دعوته على الناس من
عبادة غير الله يبدأ قول الله: " وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه
ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ... إلى ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في
ذريته النبوة والكتاب، وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن

الصالحين".

وكان أول دعوته لأبيه وكان من عباد الأصنام كمل بين تعالى: في سورة مريم من آية رقم 41 إلى 48 بقوله "واذكر في الكتاب إبراهيم انه كان صديقا نبيا ... إلى ... واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا.

المحاورة والمجادلة في الدعوة:

تناظر إبراهيم مع قومه في عبادة غير الله كمل قال تعالى في سورة الأنعام من آية رقم 75 إلى 83 ، يبدأ بقوله: " وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والارض وليكون من الموقنين " ، إلى قوله: " وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء، إن ربك حكيم عليم".

في سورة الأنبياء من آية رقم 51 إلى 70 يبين الله تعالى عن مجادلة إبراهيم مع أهل الشرك الضالقة حتى أن يبهتوا أمام خليل بقوله تعالى: ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون... إلى... قلنا يا نار كوني بردًا وسلاما على إبراهيم. وارانوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين (الأنبياء 15-70)

وفى سورة الشعراء أيضا: واتل عليهم بنا إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ... إلى ... والذي أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين (الشعراء 69-72) وكذلك في سورة الصافات يقول تعالى: " وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم إلى... فأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين (الصافات 83-

دمر إبراهيم أصنامهم وأوثانهم وأنكر على قومه عبادة لهن ودخل في هياكلهم وحرقها وعاندها وصغرها وتنقصها فقال لهم " ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين " (الأنبياء-56) ، ولكن أهل الشرك والكفر غلبوا عليه وأجمعوا على أن يهلكه ويستأصله من الأرض بقولهم: " حرقوه وانصروا آلهتكم إذ كنتم فاعلين ". ولكن الله تعالى جعلهم خاسرين ، فلما خشي إبراهيم شيئا فزاد الله إيمانه فقال حسبى الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

مناظرة إبراهيم مع الملك المتمرد:

قال تعالى: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين (البقرة 258)

نعم، فهبت الملك الجبار المتمرد أمام خليل الله فابطل دليله وأجمه بالحجة الساطعة الظاهرة بآيات كونية باهرة.

2. هجرة إبراهيم إلى الأرض المقدسة

وقال إبراهيم بعد ما أنجى من نار نمرود، هاجر إلى ربه، وإلى الأرض الشام، ثم إلى الأرض المقدسة- أي إلى مكة المكرمة- ليبنى هنا أول بيت للناس العالم، لإبلاغ التوحيد الخالص، ليكون مركزا دينيا عالميا. وقبله

للعالمين لا مثيل له آخر، كما أوضع تعالى في سورة البقرة من آية 125 إلى 141 واضحا بقوله: واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا... إلى تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون. (البقرة 125-141)

وفى سورة آل عمران من الآية رقم 33، 65، 67، 84، 95، 97 وفى سورة النساء آية رقم 54، 125، 163 وفى غيرها من السور والآيات.

1. إبتلاء الله لإبراهيم:

وقال تعالى: " واذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن. قال انى جاعلك للناس إماما الخ. " (البقرة 124) يبين تعالى في سورة إبراهيم من آية رقم 35 إلى رت اغفرلى ولوالدي وللؤمنين يوم يقوم الحساب. وعن إبتلائه سبحانه بقوله: " إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم... الخ " ثم يقص الله تعالى قصة الذبيح - هو إسماعيل - فى سورة الصافات من آية رقم 99 إلى 113 آخرها: " وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ". (الصافات 99-113).

2. تبشير الرحمن إلى خليله

قال تعالى: وبشرناهم بإسحاق نبيل من الصالحين، ثم يبين الله فى سورة هود هذا التبشير ببيان بقوله: " ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام، فما لبث أن جاء بعجل حنيد... إلى إن إبراهيم لحليم أواه منيب " (هود 69 إلى 75) وقال تعالى أيضا فى مكان آخر: " هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين - من سورة الذاريات آية رقم من 24 إلى 30 بقوله:

قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم (الذاريات 24-30).

3. دعاء إبراهيم وافرة طويلة

كان إبراهيم وأهله منيباء ورجلا ذو دعاء عريض ونداء وفير طويل لنفسه وللأبويهم ولأمتهم وذريتهم وإلى المؤمنين المسلمين جميعا الذين سيولدون حتى يوم القيامة، وهي واردة في القرآن كثيرة. كمثل سورة إبراهيم من آية رقم 35 إلى 41 وفي البقرة وآل عمران وغيرها من السور كثيرة. ومن بعض دعائه يظهر حنين قلبه برحمته، ويقول: "رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر (البقرة 126)

"ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم (البقرة 127)"

"ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا واتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (البقرة 128)"

"ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، إنك أنت العزيز الحكيم (البقرة 129)"

"إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيئا وما أنا من المشركين (الانعام 79)"

"رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبني ان نعبد الأصنام (إبراهيم 35)"

"ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بينك المحرم ربنا ليقوموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" (إبراهيم 37)

"ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن، وما يخفى على الله من شئ فى الارض

ولا في السماء. الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل وإسحاق. ان ربي لسميع الدعاء، رب اجعلني مقيم الصلاة ومن دريتي ربنا وتقبل دعاء، ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب" (إبراهيم 38-41)

"وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين. رب هب لي من الصالحين" (الصفات 99.100)

"رب هب لي حكما والحقني بالصالحين. واجعل لي لسان صدق في الآخرين. واجعلني من ورثة جنة النعيم، واغفر لأبي إنه كان من الضالين، ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم" (الشعراء 83-89)

3. من كان إبراهيم عليه السلام

يخبر لنا القرآن أن إبراهيم كان إماما وأمة وشاكرًا وصالحًا وذا الأيد والأبصار والمصطفى وغيرها كما في الآيات التالية:

"قال إني جاعلك للناس إماما" (البقرة 124)

"إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين" (النحل 120)

"شاكرا لأنعمه، اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم" (النحل 121)

"وآتيناه في الدنيا حسنة، وإنه في الآخرة لمن الصالحين" (النحل 122)

"انه كان صديقا نبيا" (مريم 41)

"واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار"

"اننا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار، وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار" (ص 47-45)

"وإن من شيعته (شيعته نوح) لإبراهيم، إذ جاء ربه بقلب سليم" (الصفات 83-

"سلام على إبراهيم ... إنه من عبادنا المؤمنين" (الصفات 109،111)

"قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه" (المتحنة 4)

"وإبراهيم الذي وفى" (النجم 37)

"واتخذ الله إبراهيم خليلاً" (النساء 125)

"إن إبراهيم لأواه حلیم" (التوبة 114)

"ووهبنا له إسحاق ويعقوب، كلا هدينا" (الانعام 84)

"قال يا قوم إنى برئ مما تشركون" (الانعام 78)

"ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من

المشركين" (آل عمران 68)

"فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم" (إبراهيم 36)

"إذ قال له ربه أسلم، قال أسلمت لرب العالمين (البقرة 131)

"قل بل ملة إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين" (البقرة 135)

"ونحن له مسلمون/ونحن له عابدون/ ونحن له مخلصون" (البقرة)

"أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" (الشورى 31)

(هو أقام الدين وما تفرق في الدين شيئاً)

4. صفة إبراهيم عليه السلام بلسان رسول الله صلى الله عليه وسلم

1. عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عرض على

الأنبياء، فاذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة، ورأيت

عيسى ابن مريم، فاذا أقرب ما رأيت به شبهة عروة بن مسعود،

ورأيت إبراهيم فإذا أقرب من رأيت شبهها دحية" (أحمد في مسنده)

2. عن ابن عباس: قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت

عيسى ابن مريم وموسى وإبراهيم، فأمل عيسى فأحمر. جعد عريض

الصدر، وأمل موسى فأدم. جسيم. قالوا له: فإبراهيم؟ قال: انظروا إلى

صاحبكم، يعنى نفسه (أحمد في مسنده)

3. عن مجاهد، أنه سمع ابن عباس: وذكروا له الدجال بين عينيه: كافرا

و"ك-ف-ر" فقال، لم أسمع. ولكنه قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: "أمل إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم، وأمل موسى فجعد آدم على

جمل أحمر مخطوم بخلبه، كأنى أنظر إليه انحدر في الوادى" (رواه

البخارى ومسلم)

وفاة إبراهيم عليه السلام

قال أبو حاتم بن حبان في صحيحه: عن أبي هريرة أن النبي صلى

الله عليه وسلم قال: إختتن إبراهيم بالقدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة،

وعاش بعد ذلك ثمانين سنة" (البخارى) هذا الحديث دليل لأن إبراهيم عليه

السلام عاش مائتى سنة، وكما قاله بعض الروايات في الكتاب - البداية

والنهاية لابن كثير.

كان إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول الناس إختتن وأول الناس

قص شاربه، وأول الناس رأى الشيب. فقال: يا رب ما هذا؟ قال وقار، فقال: يا

رب زدنى وقارًا (رواه مالك)

فقبره وقبر ولد إسحاق وقبر ولد ولده يعقوب في المربعة التي بناها

سليمان بن داود عليه السلام ببلد جبرون، وهو البلد المعروف بالخليل اليوم،
وروى ابن عساكر بسنده إلى وهب بن منبه قال: وجد عند قبر إبراهيم

الخليل على حجر كتابة قلقة:

إلهي جهولا لا أمله	يموت من جا أجله
ومن دنا من حتفه	لم تغن عنه حيله
وكيف يبقى آخر	من مات عنه أوله
والمرء لا يصحبه	في القبر إلا عمله. ¹⁶

¹⁶ ابن كثير / البداية والنهاية ج 1/ص 252

الفصل الرابع الرسالة المحمدية حول الكعبة

1. محمد رسول الله من أصلاب مطهرة

نسبه النقي: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن بن عدنان¹⁷ ثم ينسب إلى صلب إبراهيم عليه السلام.

تعرف أسرته بالأسرة الهاشمية، نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف، وكان موسراً ذا شرف كبير، وهو أول من أطعم الثريد للحجاج مكة، وهو أول من سن الرحلتين لقريش، رحلة الشتاء والصيف، وفيه يقول الشاعر:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه قوم — بمكة — مسنتين

عجاف

سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأضياف

بعد وفاة هاشم صارت السقاية والرفادة إلى أخيه المطلب بن عبد مناف. ومن أهم ما وقع لعبد المطلب من أمور البيت شيئان، حفر بئر زمزم، ووقعة الفيل، وكان لعبد المطلب عشرة بنين، ومنهم عبد الله والدر رسول الله، هو أحسن أولاد عبد الله وأعفهم وأحبهم إليه، واختار عبد المطلب لولده عبد الله آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهي أفضل امرأة في قريش نسباً وشرفاً. فبنى بها عبد الله في مكة، وبعد قليل

¹⁷ ابن هشام/ السيرة النبوية ج 1/ص 2

أرسله عبد المطلب إلى المدينة يمتاز لهم تمرًا فمات بهاء ودفن في دار
النابغة الجعدى، وكان عمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة، وكانت وفاته قبل
أن يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما بلغ نعيه إلى مكة رثته آمنة
بأروع المراثى. قالت:

عفا جانب البطحاء من ابن هاشم

وجاور لحدًا خارجًا في الغمام

دعته المنيا دعوة فأجابها

وما تركت في الناس مثل ابن هاشم¹⁸

2. مولد النبي صلى الله عليه وسلم وحياته قبل النبوة

ولد محمد بن عبد الله لأول عام من حادثه الفيل في صبيحة يوم
الإثنين التاسع - أو إثني عشرة - من شهر ربيع الأول، يوافق من شهر
أبريل سنة 571 م. ولما بشر عبد المطلب بولادة حفيده، ودخل به الكعبة،
ودعا الله وشكر له، وسماه محمدًا، ثم ختنه يوم سابعه كعادة العرب، وأول
من أرضعته من المرضع بعد أمه صلى الله عليه وسلم ثويبة مولاة أبي لهب
بلى بن ابن لهاء ثم التمس عبد المطلب لمحمد الرضعا، كعادتهم، فاسترضعت
له حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية وظهرت لحليمة منه بعض العجب، بقي
رسول الله في بني سعد أربع سنوات من مولده، حتى وقع حادث شق
صدره، فخشيت حليلة فردته إلى أمه، ثم كان عند أمه إلى أن بلغ ست

¹⁸ مرجع السابق ج 1/ ص 156-157.

سنيين، لمل خرجت آمنه مع ولده وخادمتها أم أيمن لتزور قبر زوجها في
يثرب، وقيمها عبد المطلب، فمكثت شهرا وبينما هي راجعة مرضت،
فماتت بالأبواء بين مكة والمدينة.

1. كفالته: وعاد به عبد المطلب إلى مكة وكفله، ويؤثره على أولاده، لأن
كان يتيملا كاملا، قد رأى عبد المطلب فيه شأنا عظيما، فيقول اذرأى
منه شيئا: دعوا ابني هذا فوالله إن له شأنا، ويمسح ظهره بيده ويسره ما
يراه يصنع، ولثمانى سنوات وشهرين وعشرة أيام من عمره صلى الله
عليه وسلم توفي جده عبد المطلب بمكة، ورأى قبل وفاته أن يعهد
بكفالة حفيده إلى عمه أبى طالب شقيق أبيه.¹⁹ فنهض ابو طالب بحق
ابن أخيه على أكمل وجه، وضمه إلى أولاده، واختصه بفضل احترام
وتقدير، وظل فوق أربعين سنة يعز جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويصادق
ويخاصم من أجله،

2. رحلته: ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة
ارتحل به أبو طالب تاجرا إلى الشام حتى وصل إلى بصرى نزل عند
بحيرا الراهب، أكرمهم بالضيافة نعرف رسول الله بصفته فقال " هذا سيدا
العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فعجب أبو طالب فقال وما
علمك بذلك؟ فقال: "إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر
إلا وخرّ ساجداً، ولا تسجد إلا لنبي، وإنى أعرفه بخاتم النبوة في أسفل

¹⁹ مرجع السابق ج 1/ص 169

غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنه نجد في كتبنا " ونصح أن يردده، ولا يقدم به إلى الشام، خوفاً عليه من اليهود، فبعثه عمه بعض غلمانة إلى مكة.²⁰ ولخمس عشرة من عمره قد حضر في حرب الفجار، وكان يجهز للقريش وعمومته النبل للرمي، وعلى أثر هذه الحرب وقع حلف الفضول فشهد في هذا الحلف، وقال بعد نبوته صلى الله عليه وسلم: لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمير النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت.²¹

3. معيشته وزواجه: ولم يكن له عمل معين في أول شبابه للمعيشة، وكان يرعى غنماً رعاها في بني سعد، وفي مكة لأهل الثرايا، وفي الخامسة والعشرين من عمره خرج تاجراً إلى الشام في مال خديجة بنت خويلد، لأن بلغها عن محمد من صدق حديثه وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، وأعطته أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، معه أرسلت غلاماً لها يسمى "ميسرة" ولما رجع من الشام إلى مكة بعد التجارة، رأته في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل، وأخبرها ميسرة بما رأى فيه من خلق حسن وأمانة وصدق، فرغبت خديجة أن يزوجه، لأنها ثيبة مات زوجها قبل، فرضي محمد صلى الله عليه وسلم بذلك، وكلم أعمامه ثم عقدت النكاح، فكانت سنها إذ ذاك أربعين سنة، وهى أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت.

²⁰ مختصر من تاريخ ابن هشام/ السيرة النبوية ج 1/ ص 180-183

²¹ المرجع السابق ج 1/ ص 189

4. مشاركته مع الجماعة: وفي خمس- وثلاثين- سنة من مولده قام قريش ببناء الكعبة التي خربت بسيل عرم انحدر إلى البيت الحرام، فاشكت الكعبة منه على الانهيار فاضطرت قريش إلى تجديدها، فلما بلغ البنيات موضع الحجر الأسود اختلفوا فاشتدوا في النزاع حتى دخل رسول الله عليهم وصالحوا كما بينا من قبل بينهم فوضع رسول الله بيده الطاهر الحجر بمكانه، وهذا كان حل حفيف رضي به القوم.

5. إلى النبوة: وكان صلى الله عليه وسلم يستعين بصمته الطويل على طول التأمل والفكر واستكناه الحق، وكان حسن الفطنة واصالة الفكرة، ونأى عن الخرافات والمنكرات، وكان ذو بصيرة، وكان الناس يسمونه "الأمين" لأمانته وصدق كلامه، وكرمه خيرا وعهد وفاء، ويتحنث في غار حراء حتى نزل إليه خبر السماء وحيا، حتى أكرمه الله برسالته، فكان رسولا نبيا إلى كافة البشر، وختم به النبوة.

3. الرسالة المحمدية حول الكعبة

تحمل محمد صلى الله عليه وسلم على الأمانة الكبرى من عند ذى العرش الكريم، ونادى العرب والعجم إلى دين الله الحنيف، بوحي الله العظيم، فأنذر أول عشيرته، ثم قومه، ثم العالم جميعا، بدأ من الصفاء من رحاب الكعبة المعظمة، والكعبة شاهدة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ان كانت صامته، فتغيرت وجه الأرض، كانت الدعوة ثلاث سنوات سرية، ثم عشر سنوات جهرة في مكة المكرمة، - نترك هنا البيان التاريخي - ثم وقع

ما وقع، شتمًا وضربًا وإيذاءً وعداوةً جدالا ونزاعًا وفرقة عظيمة بين الأمة والأسرة، قصة هذه الواقعة طويلة، عرفناها من تاريخ الرسالة، حمى الوحي وتتابع الشريعة والأحكام الدينية، وتكون هناك جيلا جديداً جيل-لايتكرفى التاريخ، امة وسطاء لتكونوا شهداء على الناس- أو يكون الرسول-عليهم شهيداء حتى اشتدت البلاء والفتن، حتى ضاقت بهم الأرض- ورحبت، وظنوا أنهم لا ملجأ إلا إلى الله جل- وعلاء تكون قلوبهم في الحناجر، حتى ظنوا بالله الظنون، وأرواحهم وهينة عند أيادي أعداء الله ورسوله، ورسول-الله وصحبته في التنور السعير، بين لا يموت فيها ولا يحيى.

والرسول- صلى- الله عليه وسلم- يثبت قلوب المؤمنين- بالتوحيد، والإيمان- بيوم- الآخرة والقيام- بتزكية النفس- ويتغوض- الأمر- إلى- جل- جلاله، ويرتددهم إلى- صراط- سوى- إلى- النور- المبين- من- الظلمات المدلهم، ويهديهم إلى الصبر والحلم والإنابة إلى الرحيم الودود، فسدت الحيات في بقعة الكعبة سداً عظيماً أمام كل فيضان الضلالة والظلمات، ولكن ...

ا. الدعوة ليل نهار: " وقام رسول- الله صلى- الله عليه وسلم- ظل- قائماً بعدها أكثر من عشرين عاماً! لم يسترح ولم يسكن، ولم يعيش لنفسه ولا لأهله، قام وظل- قائماً على- دعوة- الله، يحمل- على- عاتقه العبئ الثقيل- الباهظ، ولا ينوء به عبأ الأمانة الكبرى- في- هذه الأرض- عبأ البشرية كلها، عبأ العقيدة كلها، وعبأ الكفاح- والجهاد- في- ميادين- شتى- عاش- في- المعركة الدائبة المستمرة أكثر من عشرين عاماً، لا يلهيه شأن عن شأن في خلال هذا الأمد

منذ ان سمع النداء العلوى الجليل، وتلقى منه التكليف الرهيب... جزاء
الله عنه وعن البشرية كلها خير الجزاء.²²

إنفجار الغضب: وكان الناس يدخلون في دين الله سرًا وعلانية مع خوف
شديد، تحت ظل السيوف والرموح والإيذاء الشديد، نفوا إلى شعب أبي
طالب، وانفجرت مكة بمشاعر الغضب، وماجت بالقرابة والاستنكار، حين
سمعت صوتا يجهر بتضليل المشركين وعباد الأصنام، فعرفوا أن معنى
الإيمان ينفي الألوهية مما سوى الله، فأمل إلههم الأصنام والأوثان، فمشى
رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب، ليدفع محمدا عن دعوته، فاجابهم
ردًا جميلا، فما نجحوا فانصرفوا، ثم كفوا الحجاج عن استماع الدعوة، وأثاروا
على الدعوة المحمدية بزعمهم أنها افتراء وكذب وشعر وكهانة وسحر،
وجنون، فعاتبوا محمداً والقرآن، بانه مفترى، وكاذب على الله، وشاعر، اكتبه
فهو تملى عليه بكرة وأصيلاء وساحر مجنون، وو.. فاثاروا على محمد سخرية
وتحقيرا، وتشويها وشبهة اثاره عليه، وعارضوا على القرآن بأساطير الأولين،
وأعمالا شتى، بالأساليب منذ دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، ورسالات
الله، وحاولوا أن تساوم بان يلتقى الاسلام والجاهلية وودوا أن يدهن
فيدهنون.

إتحاد الاعتداء: وبدأوا اعتداءات ضد النبي صلى الله عليه وسلم وقامولها
صفا واحداً رئيسهم أبولهب هو عم الرسول الله، وامرأته حمالة الحطب،

²² سيد قطب/ في ظلال القرآن/ من تفسير سورتي المزمل والمدثر

ونفر من القریش آذوا الرسول كالحكم بن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن جمراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلي، وغيرهم، حتى قام منهم أشقى القوم - عقبة بن أبي معيط - وجاء بسلا جزور فوضعه على ظهر محمد اذل سجد، فيضحكوا جميعاء حتى يتمايل بعضهم على بعض - مرحا وبطراً، ورسول الله ساجد أمام الرب العزيز المقتدر، وصف وراء هؤلاء نفر آخر - وهم أبو جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، واخوه أبي بن خلف همزود ولمزود وشمود وغمزود به، وصف الله قبيحاته بقوله: ولا تطع كل حلاف، مهين، همار، مشاء بنميم، مناع للخير، معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم.

4. دعوة من رضي الله عنهم ورضوا عنه

ما كانت هذه الاعتداءات خاصة على الرسول - وبالنسبة هو ابن أخ لأبي طالب الذي أعظم رجل محترم في مكة - فأمل المسلمون - الضعفاء منهم - فإجراءتهم عليهم أشد وأخزى وأعظم وأمرء فعذبوهم عذاباً نكراً. وأذوهم إيذاءً خزياء واضطهدوا ألواناً من التعذيبات يفرع الذاكر منها مغشياً، حتى أن يكون الأمر حزيناً كئيباً لكل صبار شكور.

" كان أبو جهل اذل سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه، وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة في المال والجاه وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به"²³

²³ ابن هشام/ سيرة النبوية ج 1/ص 230

وكان عم عثمان بن عفان يلفه في حصير من أوراق النخيل ثم يدخته

من تحته²⁴

لكل هذه والكعبة شاهدة، والصحابة شاهدون لها، وكذلك المشركات

أكثر من المشركين، بهذه الاجراءات يقدمون الرجال، "ولما علمت أم مصعب

بن عمير بإسلامه أجاجته وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشا

فتخشف جلده تخشف الحية²⁵

²⁴ حمد سليمان المنصور فوري / رحمة للعالمين جـ 1/ص 57

²⁵ المباركفوري / رحيق المختوم ص 89

وكان بلال مولى أمية بن خلف، يضع في عنقه حبلًا ثم يسلمه إلى الصبيان يجرونه في جبال مكة حتى كان يظهر أثر الحبل في عنقه، ويدعه إلى حر الشمس، ويكرهه على الجوع، ويخرجه في الظهيرة في بطحاء مكة، ثم يوضع على صدره الصخرة الحارة: ثم يصرخ: واللهم واللهم تزل هكذا حتى تموت أو تكفر. بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول بلال، الله، الله، أحد، أحد، حتى مر به يومًا أبوبكر. وهم يصنعون ذلك به، فاشتراه بسلام أسود وقيل، بسبع أواق أو بخمس من الفضة، واعتقه²⁶

وكان عمار بن ياسر كذلك يوذى ويعذب في حر الشمس. يطرح إذا حميت الرمضاء، فلما مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا قال: صبرا آل ياسر، فإن موعدك الجنة، فمات ياسر في العذاب - والكعبة شاهدة لهذا - وطعن أبو جهل سمية - أم عمار - في قبلها بحربة فماتت، وهكذا كانت أول شهيدة في الإسلام. وشددوا العذاب على عمار بن ياسر بالحر. تارة وبالصخرة الحامة يوضع على صدره تارة، وبالتغريق بالماء أخرى، ثم يقولون: لا نتركك حتى تسب محمدًا، أو تقول " في اللات والعزى خيرًا، فوافقهم باكراههم، " لما نجح من أيديهم جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم باكية معتذرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى: " من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم. "²⁷

ونذكر خباب بن الأرت مولى لأم أنمار. صبر من المشركين. تنكيلا

²⁶ المرجع السابق ص 90
²⁷ سورة النحل / آية رقم 106

شداداء وكانت زنيرة والنهدية وابنتها وأم غبيس إماء أسلمن يعذبن بأنوع شتى من الإيذاء والنكال، وابتاع أبوبكر جارية لبنى مؤمل واعتقت كما اعتق بلالا وعامر بن فهيرة وغيرهما وبعض الصحابة أذوي شديداً وهكذا قائلون بالعذاب والمعذبون كثيره فآمن منهم من آمن يعذب بلا ريب والكعبة باكية على محبيها عن المؤمنين وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ولكن لكل شئ عند الله بمقدار إذ أراد وشاء وسيأخذ أخذ عزيز مقتدر.

5. يودعون كعبتهم

بعد ما اشتدت اضطهادات المشركين نزلت صورة الكهف ترشد فيها إلى الهجرة خلال ثلاث قصص فيها فهي إشارة بليغة من الرحمن الرحيم والهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة البلاء على الدين متوكلاً على الله إلى بلاد الله وهي قصة أصحاب الكهف والخضر وموسى وقصة ذى القرنين تدل هذه القصص أن الأرض لله يورثها من عباده وهي واسعة فتهاجروا فيها ثم نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة أيضاً لما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ملك الحبشة - أصحاب النجاشي - عادل لا يظلم أحداً ولا يظلم عنده أحد فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهاجروا إلى الحبشة فراراً بدينهم من الفتن فهاجر من فوج الصحابة إلى الحبشة هم اثني عشر رجلاً وأربع نسوة رئيسهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسللوا وتودعوا كعبتهم -

هي قطعات أكبادهم- في دجى الليل، في سفينتين تجارتين أبحرتا إلى الحبشة، فأقاموا في البلد السلام في الحبشة في أحسن جوار، فلما قرع آذان المشركين كلام الجبار " بسورة النجم " من لسان النبي الطاهر فسجدوا في آخر هذه السورة مع سجود رسول الله لأنهم لم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجدًا لأن كلام الإلهي رائع خلاب، قد تروع قلوبهم روعة الحق فما تمالكوا أن يخرولوا لله ساجدين، فلما بلغ هذا الخبر إلى مهاجرى الحبشة، فظنوا ان قريشا قد أسلموا، فرجعوا إلى مكة المكرمة.

1. المحنة إلى الذروة: ولكن الأمر قد انقلب فاشتدت المحن من جبابرة قريش أشد من قبل، فأشار رسول الله لهم بالهجرة إلى الحبشة مرة ثانية، فكانت هذه أشق من سابقتها، فيسرا لله لهم سيرهم، هم ثلاثة وثمانون رجلا وثمان عشرة امرأة، فشق في قلوب المشركين أن يجد المهاجرون مأمنًا لأنفسهم ودينهم، فاختروا وفدًا إلى النجاشي، وقدموا له الهدايا، ثم وشاه إليه، ولكن الملك العادل تتسائل فريقين، وتتفارق الحق والباطل، وتعارف وترشد لب الموضوع، ورد هداياهم، وأعطى الأمن والسلامة للمهاجرين، فانخسرت كيد المشركين، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين.

2. التهديد الأخير: فلما جاءت قريش إلى أبى طالب وهدده إهدادًا أخيرًا، أن يمنع دعوة محمد إجبارًا، فقال أبو طالب لابن أخيه: يا بنى " ولا تحملنى من الأمر ملا طاقة لى " فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمه سيخذ له في اللحظة الأخيرة، فقال بقول رصيد: ياعم! والله لو وضعوا

الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهر الله أو أهلك فيه. ما تركته، ثم استعبر- وبكى- وقام- فلما ولي- ناداه أبو طالب فأقبل- فقال له: اذهب يا ابن أخى- فقل- ما أحببت- فوالله لا أسلمك لشيئ أحدًا، ثم أنشد بقول حنون رصيد:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر وقر بذاك منك عيوناً²⁸

3. فتى بدلا للبدل: جرت الأمور- مثل- ما قبل- فجاءت- قريش- عند أبي طالب مرة أخيراً، فقالوا له: يا أبا طالب إن هذا الفتى أنهد فتى في قريش وأجمله فخذم فلك عقله ونصره، واتخذم ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالع دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم، فنقتله، لأنما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسوموننى، اتعطونها منكم اغذوه لكم، وأعطيكم ابنى، تقتلونه، هذا والله ملا لا يكون أبدًا، فقال- المطعم بن- عدى- بن- نوفل- بن- عبد مناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص- مما تكره، فما أراك تريد أن- تقبل- منهم شيئاً، فقال: والله ما أنصفتمونى، ولكنك قد أجمعت خذلانى، ومظاهرة القوم على، فاصنع ما بدالك.

4. الطغيان في البلدة الطبية: قد تفكرت طغاة قريش- لإعدام- الرسول

أزلياً أبدياء فاشتدوا عداوتهم وتنكيلهم على المسلمين، وعلى الرسول صلى

²⁸ المباركفورى/ رحيق المختومص 97

الله عليه وسلم وارتعدت أفئدة قريش باعترافهم للإسلام- حمزة بن عبد
المطلب، وعمر بن الخطاب- بطليح الجليلين، بسبب ضرورة عتبة بن أبي
لهب على رسول الله، جهد على أن يقتل رسول الله، فإله أنجاه عن كيد
مرة، وأبو لهب أراد أن يقتل الرسول صلى الله عليه وسلم بحجر أن يلقى
على رأسه حينما يسجد، فأخزيه الله أمام القريش، وجعل الله مكيدته خسرًا،
فنجح رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المرة، تشهد هذه البلدة الطيبة،
والكعبة المشرفة، طاغية كبرى فهي ما روي:

" عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص، أخبرني بأشد
شيء صنع المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم. قال: بينا النبي صلى
الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبه بن أبي معيط، فوضع
ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فاقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبيه، ودفعه
عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟"²⁹

²⁹ صحيح البخاري ج 1/ص 544 (باب ذكر ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة)

الفصل الخامس تبكي الكعبة بانقطاع محبيها

1. الحصن العظيم ينقض

ألح المرض بأبي طالب، وتوفي هذا الحصن العظيم بعد الخروج من شعب أبي طالب، بعد ما نقضت صحيفة الميثاق بستة أشهر، سنة عشر من النبوة، ثم توفيت خديجة رضي الله عنها بعد موته بثلاثة شهور، هكذا فانخسف ضوء الأرض وانقض حصن الدنيا لمحمد صلى الله عليه وسلم، فكان هذا العام عام حزن شديد، وكان أبو طالب حيطاناً ومنيعاً تحتمى به الدعوة الإسلامية من هجمات الكبراء والسفهاء، ولكن بقي على ملق الأسيخ من أجداده، فلم يفلح كل الفلاح، "عن العباس بن عبد المطلب، قال للنبي صلى الله عليه وسلم، ما أغنيت عن عمك، فانه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: هو في ضحاح من نار، ولو لا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار."³⁰

كانت خديجة من نعم الله الجليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، عاشت مع رسول الله ربع قرن، كانت له مؤزرة ومعينة راسخة، وتشاركه في مغارم الجهاد المرء وتواسبه بنفسها ومالها. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "أمنت بى حين كفر بى الناس، وصدقني حين كذب الناس وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها، وحرم ولد غيرها"³¹

³⁰ صحيح البخارى / باب قصة ابى طالب ج 1/ص 548
³¹ رواه أحمد في مسنده ج 6/ص 118

وقعت هاتان من الحادثتان المؤلمتان خلال أيام معدودة فاهتزت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فازداد غم على غم حتى يئس منهم فخرج إلى الطائف رجاء نصرتهم واجابتهم لدعوته ولكن ما رأى نصرا ولا إزرلا ولا معاونا بل آذوه مع ذلك أشد الإيذاء، ونالوا من أهل الطائف ما لم ينله من قومه.

ولما اشتدت وطأة أهل مكة على النبي صلى الله عليه وسلم ،أشتد على أصحابه أيضا حتى أراد رفيقه أبوبكر الصديق أن يهاجره ولكن أرجعه ابن الدغنة في جواره، ثم زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة، كانت ممن أسلم قديما، فكانت أول امرأة تزوجها بعد وفاة خديجة.

ثم عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين على القبائل والأفراد الذين يجيئون إلى الحج، فانتهز هذه الفرصة ودعاهم فعرض على بني عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفة وفزارة وغسان ومرة وحنيفة وسليم، وعبس وغيرها كثيرة فأمن منهم بعضهم، وترك بعضهم، وكما عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام والقبائل والاشخاص من غير أهل مكة، فمنهم سويد بن صامت، إياس بن معاذ، أبو ذر الغفاري، طفيل بن عمرو الدوسي ضماد الأزدي وغيرهم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى القبائل في ظلام الليل، حتى لا يحول بينه وبينهم أحد من أهل مكة المشركين، فهكذا أجاب بنو شيبان بأرجى الأجوبة، ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعقبة

منى، فسمع أصوات رجال يتكلمون، فأراد رسول الله لحقهم وهم ستة نفر كلهم من الخزرج من أهل المدينة، فلما كلمهم وعرض عليهم الإسلام وشرح لهم حقيقة الإسلام، فقال بعضهم بعضاً: تعلمون والله يا قوم، إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأسرعوا إلى اجابة دعوتهم وأسلموا، ولما رجعوا هؤلاء إلى المدينة حملوا إليها رسالة الاسلام.

ثم اتصل هؤلاء رسول الله عند العقبة في السنة التالية، فبايعوا مع رسول الله بيعة العقبة وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من النساء البيعة أيضاً، فأرسل معهم سفير الإسلام الأول مصعب بن عمير رضي الله ليعلم المسلمين دين الإسلام، ثم وقعت بيعة العقبة الثانية في الموسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة، فقد جرت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم اتصالات سرية، أدت إلى اتفاق الفريقين وتشكلوا عقد البيعة بشروط، وكثير من الصحابة هاجروا إلى المدينة قبل ذهاب رسول الله إلى المدينة.

2. إنتقال الإسلام إلى الحركة

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية، انتقل الاسلام إلى الحياة والحركة، ونجع الإسلام في تأسيس وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة، أذن الله تعالى لرسوله وصحابته بالهجرة إلى المدينة المنورة.

بدأ المسلمون يهاجرون، وكان أول المهاجرين أبو سلمة وزوجته وابنه، ثم صهيب، ثم عمر بن الخطاب، ثم تتابع تواجهاوا عظيم من الإيذاء، ولما رأى المشركون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تجهزوا وخرجوا

مع أموالهم، وقعت في نفوسهم قلاقل والأضراب والخوف، فخافوا نصره
الأنصار لهم في المدينة لا سيما قبائل العرب من الأوس والخزرج من القوة
والمنعة فتعارفوا بتفاهم الخطر فتشاوروا الأمر في دار الندوة وعزموا أن
تنفذ القضاء سريعاً على حامل لواء الدعوة الإسلامية وينقطع نورها عن
الوجود نهائياً.

فأجمعوا أمرهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ووقعوا في
العقد مع رؤساء قبائل قريش جميعاً وقال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة فتى
شاباً جليداً نسيبوسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا
إليه، فيضربوه بهل ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فانهم إذا فعلوا
ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم
جميعاً، فرضوا من بالعقل، فعقلنا لهم، ثم صمموا على تنفيذ هذا القرار
فوراً.³²

نزل الجبريل بالوحي فأذن له في الخروج، وحدد له وقت الهجرة،
قائلاً: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، وذهب النبي
صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر، فقال له إن تصاحب معه. فأما أكابر
قريش في الإستعداد التام لتنفيذ خطتهم، فلما كانت عثمة الليل اجتمعوا
على بابهم يرصدونه متى نام، فيثبون عليه، فباتوا مستيقظين ينتظرون ساعة
السفر، ولكن الله غلب على أمره وقال: "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو

³² ابن هشام/ سيرة النبوية/ ج 1/ ص 481, 480

يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله، والله خيرا الماكرين"³³

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب بأن ينام في فراشه وكان رسول الله نام في برد على رضي الله عنه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واخترق صفوفهم وأخذ قبضة من التراب فجعل يذره على رؤوسهم وقد أخذ الله أبصارهم عنه فلا يرونه فلم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا ومضى إلى بيت أبي بكر فخرجوا من خوخه في دار أبي بكر ليلا حتى لحق بغار ثور في اتجاه اليمن والمحاصرون ينتظرون حتى بان لهم الحق فخبثوا وخسروا وأول عليا في فراش محمد صلى الله عليه وسلم، فسألوه عن رسول الله فقال لا علم لي به.

ثم غادر إلى غار ثور وكمن فيه ثلاث ليالٍ، وعبد الله بن أبي بكر بيوت عندهما فيصبح مع قريش بمكة كبائث، ويسمع منهم ما يقولون متى ياتيهم بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل حتى ينق بهما عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك كل ليلة من الليالي الثلاث. والقريش أعلن مكافأة كبيرة لمن أخذهما، ولكن ... فلما يُست القريش طلبهم، تهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه للخروج إلى المدينة، وارتحل على طريق الساحل حتى اذا وصل إلى طريق لم يألفه الناس، ثم سلك طريقا لم يكن يسلكه أحد إلا نادرا. ولاقيا لاقيا في الطريق

³³ سورة الانفال الآية رقم 30

حتى وصلوا بخيمتي أم معد الخزاعية، فحلب رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة خلفها الجهد عن الغنم. فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ضرعها، فتفاجت عليه ودرت حتى ملأت بإناء، وسقى رسول الله وأصحابه، وهم لا يعرفون هذا رسول الله وأصحابه، ثم لما غادروا عرفوا أنه رسول الله، فقال أبو معبد: والله هذا صاحب قریش الذي ذكروا من أمر ما ذكروا، لقد هممت أن أصحابه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا.

فاصبح صوت بمكة عاليا يسمعون، ولا يرون القائل:

" جزى الله رب العرش خير جزائه رفيقي- حلا خيمتي
أم معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به —ه وأفلح- من- أمسى- رفيق
محمد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم به- من- فعال- لا يجازى
وسؤدد

ليهن بنى كعب مكان فتاتهم ومقعدهما- للمؤمنين
بمرصد

سلوا أختكم عن شاتها وانائها فانكم إن تسألوا الشاة تشهد³⁴

ثم نزل بقباء وأهل المدينة ينتظرونه كل ليل نهار، حتى أن يسمعوا صوت صارخ يهودي في المدينة: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون،

³⁴ صفى الرحمن المباركفوري/ رحيق المختوم ص 170

فشار المسلمون إلى السلاح: يقول ابن القيم: " وسمعت الرجفة والتكبير في بني عمرو بن عوف، وكبر المسلمون فرحاً بقدمه، وخرجوا للقائه، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة، فأحد قوابه مطيفين حوله، والسكينة تغشاه، والوحي ينزل عليه³⁵: " فان الله هو موليه وجبريل وصالح المؤمنين، والملائكة بعد ذلك ظهير"³⁶

نعم، وهكذا ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة المشرفة والبقعة المباركة والمكة المكرمة مؤقتا التي ولد فيها، وأكل منها، وتنفس منها، وشرب مائها، وسكن في ترابها، ودعا إلى الله جل وعلا، وطاف بيته، وسعى بين الصفا والمروة، وقلبه متعلق بجدرانها، وروحه ترتاح حولها، وكان حياته عندها راضية هادئة، ولا يستطيع في لحظة أن يفارقها، ولكن الأسف الشديد، وهو مخرج قومه منها، والا لن يتركها لحظة واحدة، ولا ثانية واحدة، ولا حرم لي حزن، وألم، وليس الندم إلا بالفراق، وهو باكي حينما أخرجه من هذه البلدة الطيبة، أظهر بقاع الأرض تحت عرش الرحمن، وتحت بيت المعمور لرب العالمين، وبيت بني أول مرة في الأرض للناس، بأمر من الله قبل آلاف سنة، خليل الله إبراهيم عليه السلام.

3. تبكي الكعبة بانقطاع محبيها

ولما ارتحل أشرف الخلق من بقعة المباركة، تبكى الكعبة بانقطاع مجها، والشرك والكفر، والعناد ترتقص حولها، ولا أحد أن يردها، والله تعالى

³⁵ ابن القيم/ زاد المعاد ج 2/ ص 54

³⁶ سورة التحريم الآية رقم 4

أسس- هذه الكعبة المشرفة لعبادته وحده، وما خلقت الجن والانس- إلا ليعبدون، ولكن بنو إبراهيم واسماعيل- يعبد الأصنام- ويعتكف على الأوثان، ويعملون- القبائح والسيئات حول- هذه، ويطوفون- حول عريانيين- ويجتمعون جوارها فخرا وكبرا، ويسقون- الحجاج للرياء والسمعة والكرم، ولا يعظمون شعائر- الله، وينذرون- للآلهة المتعددة، وينادونها، ويتوسلون- بها، ويستغيثون إليها، وما صلاتهم- عند البيت- الا مكاء- وتصديةء ورقصا- وسكرانا- للخمور، ويقومون باللات والعزى بدلا لرب العالمين.

وكان جنبها رجلا واحدا يقول- ربي الله، وقال- " اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" ، وكان يطوف- حوله خشوعا وورعا، ويدعون- إلى الله ليل- نهار- بكلمة رب العالمين، ويتحنث لرب السموات والأرض، ويقرأ عليهم آيات الله، وأخبار السماء، ولكن هذا العظيم قدودعها مؤقتا وفارق منها.

وشهدت- الكعبة- المعظمة- إيذاء- شديدا- وعذابا- نكرا- على- هؤلاء المساكين- من- المؤمنين- وحينما بكوا- شديدا- سمعت- الكعبة- هذا البكاء والعيول- من هؤلاء عباد رب العالمين، ولكن صبرت وحلمت رجاء لمستقبل طيب راضي، لأن الرسول- الكريم الرؤوف الرحيم، رسول- أمين- من أنفسهم عزيز- عليه ما عنتم- حريص- عليهم- بالمؤمنين- وأشد على الكفار- ورحماء بينهم، ولكن الكعبة عاجزة لنصر- هؤلاء المبرئين- المطهرين- الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وهؤلاء قطعات أكباد الكعبة، والكعبة كانت تقشع- حينما

يدعوا الله وحده، ويطوفون حولها، والحين قد خلا حرمها من المؤمنين الصالحين، وبقي هناك أظلم الظالمين حولها، وأكذب الكاذبين في الأرض، وأشقى الخلائق في الدنيا، هم الذين أخرجوا من هذه البقعة المباركة أظهر رجل من الإنسان، وأرحم الإنسان وأحسنهم.

4. القریش ألد عنفا ضد الإسلام

وبقى في مكة المكرمة أكابر مجرمي قریش هم أبو جهل، الحكم بن أبى العاص، عقبه بن أبى معیط، النظر بن الحارث، وأمیه بن خلف، وزمعة بن الأسود، وطعیمه بن عدي، وأبو لهب وأبى بن خلف، ونبيه بن الحجاج، واخوه منبه بن الحجاج، هؤلاء الذين اجتمعوا على باب الرسول، يرصدونه متى نام، والذين عزموا أن يقتل محمدا بضرب السيف الواحد، فبكت الكعبة على إبقائهم، وعولت على فراق حبيب الرحمن من رحاب هذه الكعبة المعظمة، كانت الكعبة كما قال: فإن أشد ضد الإسلام هي قریش، كانت قد جربت منذ عشرة أعوام- حينما كان المسلمون تحت يديها- كانوا مضطهدون بأنواع من كل أساليب الأرباب والتهديد والمضايقه وسباسة التجويع والمقاطعة، وذاقتهم التنكيلات والويلات، وشنت عليهم حربا نفسية مضنية مع دعاية واسعة منظمة، ثم لما هاجر المسلمون إلى المدينة صادرت أرضهم وديارهم وأموالهم، وحالت بينهم وبين أزواجهم وذرياتهم بل حبست وعذبت من قدرت عليه، هم لم تقصر على هذا بل تأمرت على الفتك بصاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم والقضاء عليه، وعلى دعوته، ولم تأل

جهدا في تنفيذ هذه المؤامرة.

وبعد هذا كله- - لما نجا المسلمون إلى أرض تبعد عنها خمسمائة كيلومترا- قامت بدورها السياسي لما لها من الصدارة الدنيوية والزعامة الدينية بين أوساط العرب، بصفتها ساكنة الحرم ومجاورة بيت الله وسدنته، فأغرت غيرها من مشركي الجزيرة ضد أهل المدينة، حتى صارت المدينة في شبه مقاطعة شديدة، قلت مستورداتها، في حين كان عدد اللاجئين يزيد يوما فيوما. إن "حالة الحرب" قائمة يقينا بين هؤلاء الطغاة من أهل مكة، وبين المسلمين في وطنهم الجديد، ومن السفه تحميل المسلمين أوزار هذا الخصام³⁷

تبكي الكعبة كما بكت امرأة على بعير لها أضلته، وللكعبة فقد حبيبها العتيق الذي تعرفه منذ ولادته، والذي وضع الحجر الأسود عليها بمكان الذي أراد الله بدون إراقة الدم بين القریش، وهو الذي بكى حينما قال خباب بن الارت والرسول متوسدا برده في ظل الكعبة. "وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعوا رسول الله فقعده، وهو محمر وجهه، فقال: لقد كان من قبلكم يمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله- زاد بيان الراوي- والذؤب على غنمه وفي رواية: ولكنكم تستعجلون"³⁸

³⁷ محمد الغزالي / الكلمة الأخيرة في فقه السيرة ص 162
³⁸ صحيح البخاري ج 1/ص 543

تبكي كما بكى الأسود بن المطلب الذي أصيب ثلاثة من أبنائه يوم
بدر وكان يحب أن يبكى عليهم، وكان ضرير البصر. فلم يتمالك الأسود نفسه،

وقال: أتبكي أن يضل لها بعيـر

ويمنعها من النوم

السهود

فلا تبكي على بكر ولكن

على بدر تقاصرت

الحدود

على بدر سراة بنى هصيـص

ومخزوم ورهط أبى الوليد

وبكى إن بكيت على عقيل

وبكى حارثا أسد

الأسود

وبكيهم ولا تسمى جميعا

وما لأبى حكيمة من نديد

ألا قد ساد بعدهم رجال

ولو لا يوم بدر لم يسودوا³⁹

³⁹ المباركفوري/ رحيق المختوم ص 226

الباب السابع
الحركات الأدبية المتعلقة بالكعبة

المعظمة

الفصل الأول:

في العصر الجاهلي

الفصل الثاني:

في العصر الإسلامي

الفصل الثالث:

في العصر الأموي

الفصل الرابع:

في العصر العباسي

الفصل الخامس:

في العصر الحاضر

الباب السابع الحركات الأدبية المتعلقة بالكعبة

المعظمة

كلمة أدب من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية، وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدينة والحضارة، وقد اختلفت عليها معانٍ متقاربة حتى أخذت معناها الذي يتبادر إلى اذهاننا اليوم، وهو الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين، سواء أكان شعراً أم نثراً، وإذا رجعنا إلى العصر الجاهلي ننقب عن الكلمة فيه لم نجد ما تجرى على ألسنة الشعراء، إنما نجد لفظة أدب بمعنى الداعي إلى الطعام، فقد جاء على لسان طرفة بن العبد.

"نحن في المشتاة ندعوا الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقر"¹

ومن ذلك المأدبة، بمعنى صنع مأدبة أو دعا إليه.

كانت الكعبة مركزاً للأدب العربي في الجاهلية – بحثناه من قبل – كما كانت مركزاً لحياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها. فالمأدبة الحلوة الأدبية قد توزعت في المائدة الشعراء والأدباء في العصر الجاهلي حوار الكعبة، فعلقوا منها ما اختاروا من الجودة والحسن بجدار الكعبة المعظمة، فيحترمونها مهابة وإكراماً، كالمعلقات. فواضح أن تاريخ الأدب لأمة من الأمم، إما أن يلتزم فيه المؤرخ المعنى العام لكلمة أدب،

¹ دكتور شوقي ضيف/ العصر الجاهلي ص 7

فيؤرخ للحياة العقلية والشعورية في الأمة تاريخا عاما، وأما أن يلتزم المعنى
الخاص، فيؤرخ للشعراء والكتاب تاريخا خاصا بالأدب ونشأته وتطوره وأهم
أعلامه.

الفصل الأول في العصر الجاهلي

1. الأدب العربي والجزيرة العربية

نعرف تاريخ القديم للجزيرة العربية، والجزيرة سماها أهلها لأن الماء يدور بها من ثلاث جهات في جنوبها وغربها وشرقها، فهي شبه جزيرة، يشتمل عليها العربية الصحراوية والصخرية والعربية السعيدة، فتمتد بلاد الشام غربا، وتمتد شرقا إلى العراق والحيرة، وشبه جزيرة سيناء والمرتفعات الجبلية المتصلة بها في شمال الحجاز وجنوبى البحر الميت، فاتسعت الجزيرة العربية من حدود إفريقية ثم يطل في الجنوب المحيط الهندى، وفي الشرق بحر عمان وخليج العرب. وفي الشمال على حدود فلسطين وسوريا غربا والعراق وبلاد الجزيرة شرقا. فتكون موقع مكة وسطا ومركزا جغرافيا. لأن جغرافيي العرب الجزيرة إلى خمسة أقسام هي: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن. وتضمن في الجزيرة أماكن حار شديد الحرارة، وفي الجنوب أماكن تهطل فيها الأمطار كثيرا، وأماكن تكثر الزروع والثمار والفواكه والأشجار، وأماكن سواحل البحر، وأماكن جبلية والصخرية. فالشعراء والأدباء والخطباء متوفرة في جزيرة العرب. لأن طبيعة الجزيرة العرب متكثفة بجميع أنواع أوصافها نذكر ما ورد في كتاب العصر الجاهل لدكتور شوقى ضيف، نصه:

"ومناخ الجزيرة في جملته حار شديد الحرارة، وتكثر في نجد رياح

السموم التي تهب صيفا، فتشوي الوجوه شيئا، وألطف رياحها الرياح الشرقية ويسومونها الصبا، وأكثر شعرائهم من ذكرها، أما ربح الشمال فباردة وخاصة في الشرق إذ تتحول إلى صقيع في كثير من الأحيان.

والأمطار عامة قليلة الا في الجنوب حيث تهطل أمطار الرياح الموسمية في الصيف، وإلا في الشمال الغربى حيث تهطل أمطار الرياح الغربية شتاء، وكثيرا ما يتحول المطر إلى سيول حارفة في اليمن وشمال الحجاز، وقد وصف امرؤ القيس في معلقته سيلا جارفا حدث بالقرب من تيماء، حيث كانت منازل بنى أسد، وثقل الأمطار في الداخل ولقنتها سموها غيثا وحيا - من الحياة - واستنزلها الشعراء على ديار معشوقاتهم وقبور موتاهم. ومتى احتبست الأمطار جفت الأرض وأجدبت وحلّ الهلاك والفناء على القطعان والرعاء. ولطال ما كان يحدث لهم من ذلك سموا الجذب سنة، فيقولون: أصابتنا سنة أتت على الأخضر واليابس. ومن أجل ذلك كثرت عندهم الرحلة في طلب العشب والكلأ. فترحل القبيلة بإبلها وأغناقها إلى مراعى جديدة، وليس في الجزيرة بحيرات إلا ما يقال من أن هناك بحيرة مالحة في الربع الخالى. وليس بها كذلك غابات ولا أنهار جارية.

وفي الجنوب والشرق، وقرى الحجاز واليمامة تكثر الزرع والثمار وتتناثر بعض الفواكه، وقد اشتهرت اليمن وما والاها قديما بأشجار اللبان والطيب والبخور، كما اشتهرت حديثا بأشجار البن، وتشهر الطائف بالكروم، ولم يكونوا يعتمدون عليها وحدها في الخمر بل كانوا يعتمدون أيضا على

مدن الشام. والنخلة أهم الأشجار في الجزيرة كلها، ويتردد على السنة شعراء نجد ذكر طائفة من الأزهار على رأسها القرار والخرامى وطائفة من الأشجار على رأسها الغضا والأثل والأرطى والسدر (الطلح) والحنظل والضال والسلم. اما الحيوان فقد صور شعراؤهم كثيرا من أليفه مثل الخيل والإبل والأغنام ووحشيه مثل الأوعال والظباء والنعام والغزال والزراف وحمار الوحش وأتانه وثور الوحش وبقرة، ومثل الأسد والضبع والذئب والفهد والنمر، ودارت الطيور الجارحة على أسنتهم مثل الحدأة والصقر والنسر والغراب، وقلما وصفوا منهلا دون أن يذكروا القطا وهو يشبه الحمام، وذكروا كثيرا الجراد، وتحدثوا عن النحل واشتهرت به هذيل التي كانت تعني بيتوته وخلاياه، ومن زواحفهم الثعبان والعقرب والوزل، والضبّ، وفي أمثالهم "أعقد من ذنب الضب"²

2. الأدب قبل الإسلام والكعبة والمكة

تحديد العصر الجاهلى صعب، ولكن يحد الأدب الجاهلى إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية، هي الحقبة التي تكاملت للغة العربية منذ أوائلها خصائصها، والتي جاءت عنها الشعر الجاهلى. كما أشار إليها "الجاحظ" وقال: أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر، ومهلل بن ربيعة... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة)

² المرجع السابق ص 20،21

(150) عام، واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام³ وهي ملاحظة دقيقة، لأن ما قبل هذا التاريخ في الشعر العربي مجهول، وقد حمل الينا العرب كثيرا من الأخبار من إمارات الروم والفرس عن السامية والغساسنة والمنادرة وكندة، وعن أمرائها الذين كانوا يستولون فيها على الحكم، وكما حملوا إلينا كثيرا من الاخبار عن مدن الحجار وخاصة مكة المكرمة وبيت الله الحرام الكعبة المشرفة وعن القبائل وما كان بينها من أيام وحروب. "وينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفة والنزق، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله جل وعز، وما يطوى فيها عن سلوك خلقى كريم. ودارت الكلمة في الذكر الحكيم والحديث النبوى والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب، ففي سورة البقرة⁴.

"قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين" وفي سورة الأعراف⁵ "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" وفي سورة الفرقان⁶ "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما"

وفي الحديث النبوى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى

³ المرجع السابق ص 38

⁴ سورة البقرة الآية رقم 67

⁵ سورة الاعراف الآية رقم 199

⁶ سورة الفرقان الآية رقم 63

ذر وقد عير رجلا بأمه: إنك امرؤ فيك جاهلية، وفي معلقة عمرو بن كلثوم
التغلبى

"ألا لا يجهلن أحد علينا ونجهل فوق جهل الجاهلينا"⁷
وكما قال أبو العلاء المعري:

"لما رأيت الجهل في الناس ماشيا تجاهلت حتى قيل إنني لجاهل

3. واد غير ذى زرع، ولكن

دارت آداب الحجاز وأهل مكة حول الكعبة الشريفة بالوصف والمدح
في الشعر والنثر والخطب. كانت مكة أرض جبل، كما هي الموصوفة بواد
غير ذي زرع، وهي تتراءى لنا أكبر مركز ديني للوثنية الجاهلية، وكان يسكنها
في غابر الأزمنة قبائل جرهم وبقايا من الأمم البائدة ثم الفزاعة، ثم القصي
ومعه قبيلة قريش فيستولى عليها ويخرج منها خزاعة، وقد تقدس العرب
مكة المكرمة والكعبة المعظمة إعظاما ورأوها رمز عزتهم وقوتهم، ولم تدن
لأي ملك أجنبي، وفي ذلك يقول حرب بن أمية:

"أبا مطرهم إلى صلاح فتكفيك الندامى من قريش

فتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطر هديت لخير عيش

وتنزل بلدة عزت قديما وتأمن أن يزورك رب جيش"⁸

وكانت راعية الكعبة أصنامها وأوثانها، وبذلك كان أهلها أشرف العرب

وكان كثير منهم يعترفون لهم بالسيادة يقول ابن الفقيه، "إن أهل مكة لم

⁷ د شوقي ضيف/العصر الجاهلى ص 39

⁸ الجاحظ/الحيوان 3/141

يؤدوا في الجاهلية إتاوة قط، ودانت لهم خزاعة وثقيق وعامر بن صعصعة،
وفرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم، وهم بعد
أعز العرب، يتأمرن عليهم قاطبة"⁹

فعزة العرب بعزة الكعبة يؤكد مكانتها وزعامتها على العرب، فهي
بيت تجارتهم وبيت كعتبهم المقدسة. فيها يقيمون أعيادهم الدينية، كما
يقومون أسواقهم التجارية كسوق عكاظ ومجنة وذو المجاز، ولم تكن أسواقا
تجارية فحسب، بل كانت أسواقا أدبيا أيضا، تعرض فيها سلع الشعر،
فيتنافس الشعراء ويقوم بينهم المحكمون من أمثال النابغة فيحكمون
للمتفوق ببراعته وفصاحته وبلاغته وبذلك هيأت لحركة أدبية واسعة النطاق،
سيطرت فيها لغة الأدب الرفيعة، فكانت مكة أهم مدينة عربية في الجاهلية
إذ كانت مثابة للعرب وأمنا، وكان مجتمعها يتألف من قريش البطاح الذين
ينزلون حول الكعبة وهم هاشم، وأموية، ومخزوم، وتيم، وعدي، وجمح، وسهم،
وأسد، ونوفل، وزهرة.

وكانت القبائل البدوية على قسمين قسم عدناني مضري، وقسم
قحطاني ينحدر من قحطان، يجد في شعرهم الفخر باليمينية والقحطانية
والعدنانية والمضرية، لهذه القبائل فروعا وشعبا مختلفة في الجزيرة العربية،
وكان بينهم أنساب شديدة، وكانوا يتمسكون بهذه الأنساب التي ورثها أبناؤهم
في الإسلام، وهي تؤلف علما واسعا عند العرب هو علم الانسان، هو فن من

⁹ ابن الفقيه/كتاب البلدان ص 18

فنون الادب العربى، فكل قبيلة تؤمن بنسبها وتعزز به وبأنها تعود إلى أصل واحد، ومن أجل ذلك عبروا عن القرابة باللحمة كما عبروا عن عسائرتهم وفروعهم بالبطن والفخذ.

4. الكعبة في الشعر العربي القديم

وقد حفل الشعر الجاهلى في مواضع عدة منه بالإشارة إلى الحج والحجيج فمن ذلك في القصيدة اللامية المعزرة إلى أبي طالب عم رسول الله من قوله:

أعوذ برب الناس من كل طاعن
علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن حج بيت الله من كل راكب
ومن كل ذى نذر ومن كل راجل

كما ذكر الحج شاعر عامري، مشيراً إلى موقف الحجاج على 'إلال'

جبل عرفة:

فاقسم بالذى حجت قريش
وموقف ذى الحجيج إلى إلال

وكذلك أشار النابغة الذبياني إلى حجاج بيت الله الحرام الذين

يبتهلون ويتضرعون بعرفة في أثناء قضائهم مناسك الحج وشعائره:

فلا لعمر الذي أثنى عليه

وما رفع الحجيج إلى إلال¹⁰

قال عمر بن أبي ربيعة عن الحج، ووصف فيه أحوال الحجاج في

الليل المظلمة المدلحمة فأنشد

مع الليل في الحج

وكم من قتيل لا يباء به دم ومن غلق رهنا إذا ضمه منى
ومن مالى عينيه من شئ غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
يسحبن أذيال المروط بأسوق خدال وأعجاز مآكمها روى
أوانس يسلبنى (1) الحلیم فؤاده فياطول ما شوق ويا حسن مجتلى)

(2)

مع اليل قصر (3) رميها بأكفها ثلاث أسابيع تعد من الحصى

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كلياى الحج أفلتن (4) ذا هوى¹¹

1. الحلیم: العاقل، 2. المجتلى: المنظر، 3. القصر: الحبس، 4. أفلتن: ظللن، أغوين

ظبي من عرفات

صاد قلبى اليوم ظبي مقبل عرفات
في ظباء تتهادى عامدا للجمرات
وعليه الخر والقز ووشي الحبرات
إننى لست بناس ذلك الظبي

صياتى¹²

¹⁰ مجلة الحرس الوطنى/ مقالة د. عبد الغنى الريتونى/ على عنوان في الشعر العربى القديم العدد 81/1409 هـ/1984م.

¹¹ فوزى عطرى/ ديوان عمر بن أبى ربيعة ص 19

¹² فوزى عطرى/ ديوان عمر بن أبى ربيعة ص 68

لولاك لم أحج

أومت بعينها من الهودج لولاك في ذا العام لم أحج
أنت إلى مكة أخرجتني ولولا تركت الحج لم أخرج¹³

¹³ فوزى عطرى/ ديوان عمر بن أبى ربيعة ص 72

1. الكتاب الذي وجد في الركن

"قال ابن اسحاق: وحدثت ان قريشا وجدوا في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من زفر فاذا هو:
أنا الله ذو كعبة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض، وصورت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشابها، مبارك لأهلها في الماء واللبن."¹⁴

2. الكتاب الذي وجد في المقام

قال ابن إسحاق: وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتابا فيه "مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل لا يحلها أول من أهلها."¹⁴

3. حجر الكعبة المكتوبة عليه العظة

قال ابن اسحاق: وزعم ليث بن أبي سليم، أنهم وجدوا حجرا في الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة، إن كان ما ذكر حقا مكتوبا فيه: "من يزرع خيرا يحصد غبطة، ومن يزرع شرا يحصد ندامة، تعملون السيئات وتجزون الحسنات؟ أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب"¹⁴

5. العرب والملاحم الشعرية بالكعبة

معنى الملحمة في اللغة هي الواقعة العظيمة القتل؛ وقيل موضع القتال. والحمم القوم اذا قتلتهم حتى صاروا لحما، وفي الحديث الشريف

¹⁴ أحمد جاد/ وصف الكعبة المشرفة وتاريخها ص 48

"اليوم يوم الملحمة" يعنى يوم فتح مكة. والجمع ملاحم. وقد ذكر ابن خلدون في المقدمة أن لفظ "ملحمة" يعنى ذكر حدثان الدول.

وفي الدراسات الأدبية الحديثة لونا من القصائد عن الحروب، وكان شعر العرب ملنا بالملاحم التي تتحدث عن الحروب وقصصها وأبطالها كقصائد عنتره، ودريد بن الصمة، ومهلهل بن ربيعة والحارث بن عباد وغيرهم. وتعتبر ملحمة - جلجاميش - في بابل أول الآثار الأدبية الرائعة في العالم، كما في إلياذة هو مبروس والأديسا، والمعروف عند الأدباء لأن الآثار الأدبية في بابل ذات صلة وثيقة بالعقلية العربية، ثم انتشر من بابل القديمة إلى آسيا، وإلى البوتان، وغيرها من الأقطار العالم. ومع ذلك فإن الشعر العربى القديم ملئ بأخبار البطولات ووصف الحياة البدوية، والشعر مرآة لحياة الجماعة، فنرى أن أدباء الكعبة المشرفة وأهلها يعترفون بالملاحم الشعرية اعترافا خاصا. كما ذكر شوقي ضيف "وللأستاذ اليعربى محمد محمد توفيق - وهو من مواليد المدينة المنورة - ملحمة باسم "المعلقات الإسلامية" أو المعلقة الكعبة وقد ضمنها تاريخ الكعبة والمسجد الحرام وكثيرا من أحكام الحج وفضل العرب على غيرهم ومزايا الإسلام، وتشمل هذه الملحمة على المقدمة ثم المعلقة التي تضم عدة قصائد متفاوتة في الطول، ولكنها على بحر واحد هو الطويل، وقافية واحدة هي الدال وعدد أبياتها 850 بيتا ما عدا الأخيرة "خادم البيت"

لعل أهم ما يميز حياة العرب في الجاهلية، أنها كانت حياة حربية

تقوم على سفك الدماء حتى لكأنه أصبح سنة من سننهم، فهم دائما قاتلون
مقتولون، لا يفرغون من دم إلا إلى دم، فهم لا يرضون بالدية ويرونها ذلا، فالدّم
لا يشفيهم عنه إلا الدم، فجميعهم يطيطون إلى المستغيث بخيولهم ورماحهم،
وتدور رحى الحرب فيقتلون من أعدائهم ويشفون حقدهم ويقتل منهم
أعداؤهم ويشفو غليلهم، يقول دريد بن الصمة:

وإنّا للحمّ السيف غير نكيرة ونلحمه حيناً وليس بذى نكر
يغار علينا واطرين فيشتفي بنا إن أصبنا أو تغيّر على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضي إلا ونحن على

شطر¹⁵

6. الكعبة المعظمة والكعبات الجاهلية

كان دبن الجاهلية وثنيا، يؤمن بقوي إلهية كثيرة، وقد آمن الجاهليون
بقوي خفية كثيرة في بعض النباتات والجمادات والطيور والحيوان، وكانوا
يشركون مع الله آلهة أخرى، اتخذوا الأوثان رمزا لآلهتهم، وأن عبادة النجوم
والكواكب دخلت عندهم من قديم، القمر والشمس والود، واللات، والعزى،
والنار كلها آلهة لهم، والمجوسية كانت متفشية بين القبائل العربية أيضا،
وعبادة الأصنام منتشرة بينهم انتشارا واسعا، وكانت من آلهتهم ود، سواع،
يغوث، يعوق، نسر: هبلى ذو الكفين وغيرها كثيرة، وينسب أسماءها
بأسمائهم حين يسمى.

¹⁵ د. شوقي ضيف/ العصر إلى هلى ص 64

كانت تتعبد لها قريش والقبائل العربية في الجاهلية، ويقال إنه كان في الكعبة عند فتح مكة ثلاثمائة وستون صنما، ومن أصنام قريش إساف ونائلة، ومناف.

ويقول ابن الكلبي: "واشتهرت العرب في عبادة الأصنام، فمنهم من اتخذ بيتا، ومنهم من اتخذ صنما، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجرا أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت، فكان الرجل اذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها، فاتخذها ربا وجعل ثلاثة أثافي لقدره، واذا ارتحل تركه، فاذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك، وكانوا يخرون ويذبحون عند كلها ويتقربون إليها"¹⁶

وهذه البيوت التي اتخذوها لأصنامهم كان منها كعبات كبيرة يحجون إليها لكعبة ذي الخلصة، وهي الكعبة اليمانية، وكعبة الطائف وهي بيت صنمهم اللات، وأشهر كعباتهم كعبة مكة حارسة الوثنية في الجاهلية، وهي التي وصلتنا عنها تفاصيل كثيرة توضح ما كانوا يتخذون في حجهم إليها من شعائر، وكانوا يطوفون بها أسبوعا ويسعون بين الصفا والمروة، ويظن أنه كان على كل منهما صنم، وفي الكعبة الحجر الأسود وكانوا يتبركون به ويتمسحون بأركان الكعبة جميعها، وقد أبطل الإسلام جميع التقاليد.

7. الكعبة والنثر الجاهلي

وليس عندنا وثائق جاهلية صحيحة تدل أن الجاهليين عرفوا الرسائل

¹⁶ ابن الكلبي/ الأصنام ص 33. والمصدر السابق ص 92

الأدبية وتداولوها، لأن صعوبة وسائلها جعلتهم لا يستخدمونها في الأغراض الأدبية الشعرية والنثرية، ومن ثم استخدموها فقط في الأغراض السياسية والتجارية، "ولا ينقض ذلك ما جاء في السيرة النبوية من أن سويد بن الصامت قدم مكة حاجا او معتمرا.. فتصدى له رسول الله حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام. فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله: وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان: فقال له رسول الله: أعرضها علي فعرضها عليه، فقال له: ان هذا لكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا: قرآن أنزله الله على، هو هدى ونور، فتلا عليه رسول الله القرآن. ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه، وقال: ان هذا القول حسن.¹⁷

يدل هذا الخبر، كان عندهم صحيفة بها بعض أمثال وحكم ومقال مما كانوا ينسبونهم إلى لقمان، ووجود مثل هذه الصحيفة لا يدل على أنهم استخدموا الكتابة في التعبير عن وجدانهم نثرا وشعرا، وبعدهم انتشار بينهم، ولكن نجد عندهم ألوان مختلفة من القصص والأمثال والخطابة والمقال وسجع الكهان، وكانوا يقصون كثيرا عن ملوكهم من المنادرة والغساسنة وأبطالهم وعن كهانهم وشعرائهم وسادتهم، وعندهم مقال. كمقال مرشد الخير، ومقال سبيع بن الحرث، ومقال ميثم بن مثوب، ومقال لطريف بن العاص والحرث بن ذبيان يتفاخران عند بعض مقاول حمير وغيرهم.

¹⁷ ابن هشام/ السيرة النبوية 2/ 68

الفصل الثاني في العصر الإسلامي

بدأت الحياة في مكة بعد الفتح تأخذ شكلا جديدا غير الشكل الذي كانت تعرفه قبله، وقد هذبها القرآن تدين بالاخاء لله وتعتقد بسيادة الدين وانه لا فضل لعربي على عجمي، فأصبحت الصدارة في رأيها لأصحاب التقوى، وأثر هذا في عقليتها العامة، فارتسمت لها أخلاق جديدة، وتفتحت أمامها آفاق من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ونسيت نخوتها الجاهلية، وعصبيتها للقبيلة واستتبع ذلك أن ضاقت بها دائرة الشعر، فلم تجد لها فيه مجالا واسعا الا ما استمد روحه من الدين واصطبع بلون من اخلاق القرآن - كما قال تعالى: والشعراء يتبعهم الغاؤون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا الخ.¹⁸

1. نواحي الدينية والاجتماعية والعلمية

فاستتبع ذلك في الناحية الاجتماعية شملت كل تقاليدھا وعاداتھا بتبدل جديد كما حدوده القرآن وفصلت تعاليمه السنة، ألغى جميع العادات الخبيثة الذي شاع بين قبائل قريش كوأ البنات ونكاح المقنت، وتحدد تعدد الزوجات إلى أكثر من أربع، ومنح للمرأة كثير من حريتها التي كان العربي ينكرها، وحدد لها حدودا، وحدد ملابس النساء فهي لا تبدى زينتها إلا أمام من

¹⁸ سورة الشعراء. الآية رقم 224-227

أباح الله لهن، وكذلك في أمر الزواج والطلاق والميراث، وحدد العبودية، وحرّم الربا، والميسر، وألغى جميع نظم البيوع الفاسدة والباطلة، وحرّم جميع الخبائث، وكذلك ارتفعت درجة الناحية العلمية والثقافية، فانتشر تعليم الكتابة وتدرّس القرآن والسنة، قد بدأت هذه منذ نزول الوحي بأمر الله: "اقرأ" ويعلمهم الكتاب والحكمة، ودون القرآن على بين الأمة عامة، واصطحب بعض رجالها إلى المدينة من مكة المكرمة، ليواصلوا التدوين حتى استفاد الأمة كافة.

وإن كتب السيرة والمغازي ومدونى كتب الطبقات يحدثوننا في أخبار على ابن مسعود، وابن عباس، وأبي ذر الغفاري، وابن عمر وأبي الدرداء أنهم كانوا من ملابسات هذا، أن مكة كانت تستفيد من علومهم وتتوسع معارفها الجديدة بحكم اتصالات المستمرة بمكة والمدينة، وكانوا قطب الرحي للعلوم جميعا، فالجيل الجديد تثقفوا وتزكوا وتعلموا بثقافة الإسلام وتزكيتهم وتعليمهم، فتغيرت الأمور كلها من البداية حتى النهاية جل المجالات.

2. عهدا الخلفاء الراشدين

إن النبي صلى الله عليه وسلم ولى أمر مكة بعد الفتح عقاب بن أسيد، وهو من أفاضل بنى أمية ينتهى نسبه إلى قصي بن كلاب القرشى، وقد ظل في إمارته مدة حياة النبي صلى الله عليه وسلم مثالا للسيرة الحميدة التي أوصاه النبي بها في قوله: أتدرى على من وليتك يا عتاب؟ على جيران بيت الله فاستوصى بهم خيرا فلما ولى الخلافة بعد وفاة

الرسول صلى الله عليه وسلم أبابكر، أقرعتا في إمارته فضل بها طيلة عهد
أبى بكر رضي الله عنه حتى توفي في يوم الذي توفي فيه أبوبكر.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولى أمر مكة في أول
خلافته المحرز بن حارثة من بنى عبد شمس القرشى ثم وليها فنفاذ بن عمر
بن جدعان، ثم نافع بن عبد الحارث الخزاعي، ثم أحمد بن خالد بن العاص
بن هشام بن المغيرة بن المخزومي ثم طارق بن المرتفع، ثم الحارث بن
عبد المطلب من بنى هاشم.

فارتفعت قدر مكة في العلم والثقافة والأدب ارتفاعا كبيرا والأدب
العربي صار طاهر نقيه في مكة وحول الكعبة المشرفة، بأن الأدباء والشعراء
تحت تحديد من حدود الإسلام والتورع والتقوى والخشوع، وتزكي نفوسهم
بالإيمان فتأدبوا بأداب الدين الحنيف، فظهرت قلوبهم وخيالهم وأسنتهم.

وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد الفاروق عمر كان كثير
العزل لولاته في مكة فقد تنقلت الإمارة فيها لعهد بين علي بن عدي بن
ربيعة وهو من بنى عبد شمس وخالد بن العاص وهو مخزومي والحارث بن
نوفل وهو من بنى عبد المطلب وعبد الله بن خالد بن أسيد بن عبد شمس
وعبد الله بن عامر الحضرمي ونافع بن عبد الحارث من خزاعة.¹⁹

لما اشتدت الفتنة في عهد عثمان انتقلت حركة الادبية طبعيا حول
الكعبة، والناس تحت ظل الخوف والرهب، وكذلك في عهد علي رضي الله

¹⁹ الغاس/ شفاء الغرام 2/165

عنه زمن الفتنة الطويلة مع حركة عائشة حينما قتل عثمان فوقعت واقعة الجمل، إبان هذه الفتنة توقف جميع حركات الأدبية بين المسلمين -لا سيما في مكة المكرمة وجوار الكعبة.

ثم تولى الخلافة إلى معاوية فظل الشام بقيادة معاوية ثم وقع ما وقع من صفين وغيرها من الانقلابات والتحكيم، فانتحل وحدة الأمة فضعفت التحركات الأدبية من التقدم، فلا نجد شيئاً مذكوراً خلال هذه السنوات إرتقاء أدبية.

فالنواحي العامة في عهد الخلفاء الراشدين الدينية والعلمية، توسعت ثقافة مكة في هذا العهد على ضوء دينها الجديد، "وظل المسجد الحرام على صغره يزدحم في هذا العهد لرجال الحديث والقراء وأصحاب الفتوى، وظلت حلقاتهم تناقش تفسير الآيات وتقرن بينها وبين ما عرفت عن قواعد في لغة آبائهم من قريش ويتضاعف إتساع الحلقات في مواسم الحج، ويشتد تنافس الطلب كلما هبط من المدينة أحد الصحابة المشهورين بترددهم على مجالس رسول الله²⁰

3. حسان يرثى محبوبه

حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوجه إلى القبر الشريف، فيسأل الله له وللبلد الذي أكرمه بإقامة نبيه فيه حيا وميتا، ويذكر البيت الحرام، والأصحاب الذين أخرجوه عنفا - هي

²⁰ أحمد السباعي/ تاريخ مكة ص 80

أطهر بقاع الأرض وأحب أرض الله إليه – ويصف ساعة دفنه فيذكر كيف
كانت الأيدي ترد عليه التراب، في حين كانت لأعين تذرف عليه الدموع،
وكان موت رسول الله صلى الله عليه وسلم نذيرا بانقطاع الوحي الذي أضاء
وجودهم، ونور طريق الانسانية جميعا، ويقول شاعره وخليله يرثى عليه
بقوله:

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت بلاد ثوى فيه الرشيد

المسدد

وبورك لخدمتك ضمن طيبا عليه بناء من صفيح منضد

تهيل عليه التراب أيد وأعين عليه وقد غارت بذلك

أسعد

ثم يقول:

تقطع فيه منزل الوحي عنهم وقد كان ذا نور يغور وينجد

ثم يقول:

وأمست بلاد الحرم وحشابقاها لغيبة ما كانت من الوحي

تعهد

فبكى رسول الله يا عين عبرة ولا أعرفنك الدهر دمك

يجمد

الفصل الثالث في العصر الأموي

تنسب الدولة الأموية إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان أمية هذا سيدا من سادات قريش في الجاهلية، وكان هو وعمه هاشم ابن عبد مناف متنافسين على الرياسة والشرف. قد تجمع لأمية عناصر السلطان في الجاهلية وله مال كثير وعشرة من الأولاد النجباء، وإذا تجمعت هذه الأركان لشخص في الجاهلية ضمن الشرف السؤدد.

ولما جاء الإسلام تغيرت العلاقة بين بنى أمية وبين أبناء عموماتهم بنى هاشم، وبنو أمية وقفوا موقفا حازما ضد الرسول والإسلام، وأما بنو هاشم فقد عاونوا الرسول وحرسوه سواء منهم من دخل الإسلام ومن لم يدخل فيه، ولكن لم يدخل بنو أمية الإسلام إلا بعد أن لم يبق طريق غير الدخول فيه، وبعد ما دخلوا فيه فكانوا أظهر بطولة وحماسة بالغة وكأنما يريدون أن يعوضوا ما فاتهم من سبق، وأن ينسوا الناس بموافقهم السابقة ضد الإسلام، فقد أبتلوا بلاء حسنا في الحروب الردة وغيرها.

1. خلفاء بني أمية

وكان أبو سفيان زعيم بني أمية، فقد إحدى عينيه وهو يشترك مع الرسول في مغازيه، ثم فقد الأخرى في موقعة يرموك، وقد رغب بنو أمية في الخلافة منذ عهدا الباكر، ولكنهم لم يكن أمل فيها في عهد أبي بكر وعمر، فلما طعن عمر وأسند الشورى من الصحابة إلى عثمان بن عفان ظهر أمل

بني أمية ونما رغبتهم فيه، فأيدوا ترشيح عثمان سرا وعلانية، وفاز عثمان فاتحه بنو أمية إلى تأسيس خلافة أموية منذ ذلك الحين. وكان جهد معاوية متجها في عهد عثمان إلى تقوية نفسه. واعداد الشام ليكون لها مستقبل السلطان الإسلامي؛ ولم ينزل معاوية عن سلطانه بعد مقتل عثمان، وظل يصارع عليا حتى خر علي رضي الله عنه، وانتقلت الخلافة رسميا إلى معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية.

"ولبني أمية فرعان كانت فيهما الخلافة هما فرع حرب بن أمية، وفرع ابي العاص بن أمية، واكثر الخلفاء من الفرع الثاني، فاما الفرع الأول فليس منه إلا معاوية، وابنه يزيد، وحفيده معاوية الثاني، ولكن لم ينعم ليزيد بالملك لحظة، فأما معاوية الثاني فلم يبق بالملك إلا بضعة أيام، وهكذا ناضل معاوية نضالا طويلا من أجل الخلافة؛ ولما مات لم تستقر الخلافة في أولاده، وبذل معاوية جهدا ضخما ليبيع ابنه يزيد من بعده، ولكن المشكلات الجسم كانت في انتظار الابن، فلم يضعه أبوه فوق السلطان، ولكنه وضعه فوق الرchy التي استمرت تدور به دون استفرار حتى سقط ميتا، فسبحان الله مالك الملك"²¹

2. من هو الذي تعرفه الكعبة

الفرزدق بن غالب بن صعصعة، أحد أمراء الشعر الاموى الثالث
اشتهر بالفخر والهجاء، وله من المدح للخلفاء والامراء، وأجود مدائحه ما قاله

²¹ موسوعة التاريخ الإسلامي/الدكتور أحمد شبلى ج 2 ص 32

في اهل البيت المطهر، وقد قبل فيه "لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة"

لما جاء ابن الزبير في البيت الحرام لم يلتفت اليه الناس ولكنهم

عظموا وأكرموا شخصا، هو زين العابدين بن حسين بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنه فسأل عنه سخرية من هو؟ فأجاب الفرزدق بقوله:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل

والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم

هذا النقي التقي المفرد

العلم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله

بجده أنبياء الله قد

ختموا

وليس قولك 'من هذا' بصائره

العرب تعرف من أنكرت

والعجم

إلى أن قال:

مشتقة من رسول الله نبعته طابت مغارسه والخيم والشيم

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم²²
جمع علي بن عبد القادر الطبري المكي عمن بني الكعبة هم أحد
عشر في قصيدة رائحة وينشد بقوله:
بنى البيت خلق وبيت الإله مدى الدهر من سابق
يكرم
ملائكة آدم وولده خليل عمالقة وجرهم
قصي قريش ونجل الزبير وحجاج بعدهم يعلم
وسلطاننا الملك المرتجى مراد هو المحاجد
الأعظم²³

وقال محمد طاهر عبد القادر الكردي عن صفة بناء عبد الله بن الزبير
الكعبة:
وابن الزبير بعدهم بناها حين وهت
وضعت قواها
على أساس ما بنى الخليل حيث له قد ثبت
الدليل
في عام أربع وستين بنى وشكر الله على
هذا البنا
فزادها طولاً إلى السماء سبعا وعشرين بلا امتراء

²² محمد المجذوب/ نخبة اللبيب من ثقافة الأديب ص 121
²³ حسين بن عبد الله بإسلامه/ تاريخ الكعبة ص 55

وجعل الأركان فيها أربعة كانت إلى مماته مستلمه
في كل ركن فتحة بسطحها للنور والهواء فافهم
ما بها

عمل سطحي لها أقامه بينهما قياس نحو
قامه

ووضع الميزاب فوق سطحها موضعها الأول من
مصبتها

يصعد فوق سطحها بالدرجة عملها من خشب معرجه
وجعل البابين مصراعين كليهما بالأرض لا صقين
فبابها الشرقي للدخول وبابها الغربي
للأفول

عطرها بعنبر ومسك داخلها وخارجا بالمسك
ثم كساها كسوة معتبره لائقة بالكعبة المطهرة
وهللوا وكبروا تكبيرا واعتقوا ونحروا كثيرا
وخرؤا المسجد التنعيم لعمرة تكملة

النعيم²⁴

3. جامعة ابن عباس رضي الله عنه في الحرم الشريف

يذكر المؤرخون أن مكة غصت في العهد الأموي بجمهرة كبيرة من
الذين زهد والحياة فانقطعوا للعبادة والعلم بسبب عصف بهم الفتن فهرعوا

²⁴ الكردي / تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص 239

إلى مهبط دينهم يشدون الإطمئنان بعيدا عن القلاقل. فكثير سوادهم وامتألت
برجال العلم منهم حلقات الدروس في المسجد.

"ولقد لحق ابن عباس بهم في أوائل العهد الأموي فرارا من

الاختلافات السياسية فاتخذ مقعده في دار زمزم على يسار الداخل إليها
يذيع معارفه وينشر علومه . ونحن في غنى عن أن نصف ابن العباس فليس
من يجهل أنه من أجلاء الصحابة وأنه من أوسعهم علما وأكثرهم اطلاعا
وأفضلهم عقلاء وأنه حبر هذه الأمة ومفسر كتاب الله وترجمانه، وأن عودته
إلى مكة ليضطلع بالتدريس فيها كان كسبا ما ظفرت مكة بعده كسبا يضاھي
ربحها العلمي منه"²⁵

²⁵ الأزرقى/ أخبار مكة وأحمد السباعى/ تاريخ مكة ص 115

الفصل الرابع في العصر العباسي

1. لغتهم لغة القرآن والكعبة

وقد أسرع من أسلموا من الشعوب المفتوحة جميعا إلى تعلم لغة القرآن الكريم والحديث النبوي، فلم يمض نحو حتى أخذت العربية تسود في كل أنحاء العالم الإسلامي لا بين المسلمين وحدهم بل بين غيرهم ممن بقي على دينه القديم، لا في البيئات التي كانت قد أخذت تستعرب في العصر الجاهلي، بيئات العراق والجزيرة والشام وإيران وخراسان ومصر وبلاد المغرب، وهى بيئات لم يكن لها بالعروبة عهد من قبل، فاذا هي تتعرب، وتتعرب معها الأطراق الغربية للقارة الأوربية في الأندلس لأن اللغة القريبة إنتشرت بانتشار الإسلام، وكانوا يتكلمون من قبل اعتناقهم بالإسلام لغات مختلفة.

مثل أن أهل إيران كانوا يتكلمون الفهلوية، وفي العراق والجزيرة يتكلمون الآرامية، وما انبثق منها من النبطية والسريانية، وفي الشام كانوا يتكلمون اللغة السامية، وفي مصر القبطية، والمغرب البربرية، واليونانية واللاتينية ينصرفون في العراق والجزيرة والشام ومصر وشمال إفريقية والأندلس أيضا، ولكن لما دخل الإسلام في هذه البلاد، دخل معه لغة القرآن وتسلط عليهم لغته الدينى سلطنة عظيمة، لأنهم كانوا يستقبلون خمس مرات إلى جهة واحدة، لعبادة ربّ واحد، وإلى قبله واحدة مع إنتماء نطق الحروف

العربية، وكلماتها، يستعملونها لمناجات ربهم في كل أندية ودعاء وعبادة وفي كل لحظة، حتى ملكت السنة الناس وقلوبهم في جميع أنحاء القريية والبعيدة، فاصبحت شعوبها جميعا عربية اللغة والتفكير والشعور والثقافة والأدب والحضارة.

فكاد جمهور العلماء والأدباء والكتاب والشعراء في العصر العباسي يقبلون على درس الشريعة الإسلامية، وقبلوا تصانيفهم أصول النحوية عن سيبويه، ولصناعة الكتب أحكام ابن المقفع، وأخذ الشعر من بشار وأبي نواس وغيرها. ولكن ما هجروا لغاتهم الأخرى تماما، ولكن اعتموا العربية باعتبار خاص فاستبدلت لغتهم لغة القرآن كلها مركزهم الوحيد الكعبة المشرفة لا غيرها. وقد توحدت الكعبة بهذه الوظيفة كما بينا من قبل.

2. مساجدهم دائرة الأدب العربي

كانت المساجد في العصر العباسي ساحات العلم الكبرى، فلم تكن بيوتا للعبادة فحسب، بل كانت معاهد التعليم الشباب المسلمين الجيل الجديد حول أساتذة يستندوب إلى أسطوانة في المسجد، وكان لكل فرع من المعرفة حلقة، تصرف هناك جميع الفنون العلمية، فللمفسرين والفقهاء والشعراء واللغويين حلقات خاصة، يجوز الإلتحاق لكل من يشارك فيها من الوافدين ويأخذون ما يريدون من العلوم والفنون، فازدهرت الحركات العلمية بالمساجد، فيعطى العطايا وافرة من الوزراء والخلفاء ما يحتاج الطلبة من الرواتب والمكافآت وغيرها من المؤونة، فشاع بينهم الكتب، والتأليفات

العديدة والتضيقات النادرة، فنشأوا منهم أجلاء العلماء والنبلاء والأعلام
والفهاء والمحدثون وغيرها، فكثرت مع ذلك المكتبات تمتلئ بالكتب،
والأسفاط والرقوق والقماطير والدفاتر والمساطر والمحابر، كمكتبة اسحاق بن
سليمان العباسي ومكتبة يحيى بن خالد البرمكي وغيرهما، وتنعقد على
ترويس الخلفاء والوزراء والعلماء والأدباء والأمراء ندوات علمية أيضا يتناظر
فيها العلماء من كل صنف حتى المتكلمين والمتفلسفين وغيرهم.

ونشأت العلوم الدينية في العصر العباسي في ظلال القرآن والحديث
النبوي، تدون الاحاديث وأنشأ علوم الحديث فنا واسعا، قد بدأ بالموطأ -
لامام مالك - ثم ورد تصنيفات الكتب الحديث والتفسير للقرآن الكريم
وعلوم القرآن وكتب الفقه. جميعا تترى وإزدهرت إزدهارا عظيما، ونشأت
أئمة المذاهب بنتيجة هذه التحركات، وإزدهرت الشعر والشعراء، وازدحمت
صفوفهم لا يطيق نحصيههم عددهم، وكذلك للغويون الشعراء كحماد الراوى،
والخليل بن أحمد، و خلفا الأحمر، والأصمعي وغيرهم ومن الشعراء أبو نواس،
والجاحظ، والبشار بن برد والحطيئة، والأخطل والفرزدق، وأبوالتمام،
وأبوالعتاهية ومسلم بن الوليد ومن شعراء الدعوة العباسية أبو دلامة؛ ومروان
بن ابي حفصة، ومن شعراء الشيعة: السيد الحميري ومنصور النمري ودعبل
وديك الجن. ومن شعراء البرامكية: أبان بن عبد الحميدى اللاحقي، أشجع
بن عمرو السلمي ومن شعراء الوزراء والولاة والقواة: أبو الشيص، عبد الله
بن أيوب التيمي وعلي بن جبلة الخريمى. ومن شعراء الهجاء: أبو عيينة

المهلبى، وعبد الصمد بن المعذل. ومن شعراء الغزل: العباس بن الأحنف، وربيعة الرقي. ومن شعراء المجون والزندقة: حماد عجرد، ومطيع بن إياس، وصالح بن عبد القدوس. ومن شعراء الزهد: عبد الله بن المبارك، ومحمد بن كناسة ومحمود الوراق. ومن شعراء الاعتزال: العتابي، وبشر بن المعتمر، والنظام. ومن شعراء النزعات الشعبية: أبو الشمقمق وغيرهم كثيرة.

3. مكة والكعبة والحج في أشعار العباسيين

ولعل أطول قصائد الشيعة شعر السيد الحميرى التي تسمى المذهب، وقد عني بها الشيعة وشرحوها مرارا يقول فيه عن البلد الحرام، وهو يستهلها بذكر الأمويين ومسير عائشة رضي الله عنها إلى البصرة مع طلحة بن الزبير، يقول:

أين التطرف بالولاء وبالهوى إلى الكواذب من بروق الخلب
إلى أمية أم إلى الشيع التي جاءت على الجمل الخدب
الشوقب

تهوى من البلد الحرام فنبهت بعد الهدو كلاب أهل
الحوأب.²⁶

وهو يثير فيه إلى أن كلابا نبحت أم المؤمنين عند بئر الحوأب، وكان من شعراء البرامكة ابن مناذر وهو يمدح ليحيى، وله فيه قصيدة كانت فاكهة اهل الأدب لجودة ألفاظها ومعانيها وفيها يقول مشيدا به وبابنيه

²⁶ د. شوقى ضيف/ العصر العباس الاول من الجزء الثالث من صفحات مختفلة

الفضل وجعفر يقول:

أتانا بنو الأملاك من آل يرمك فيا طيب أخبار ويا حسن منظر
لهم رحلة في كل عام إلى العدا وأخرى إلى البيت العتيق المستر
إذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر¹
وكان هارون الرشيد يكثر من حجه إلى البيت الحرام ومن جهاده
العتيق للروم، فصور ذلك أشجع بن عمرو السلمى تصويرا بديعا في قصيدته
استقبله بها في يوم قدوم له من حج بإحدى السنوات وفيها يقول:

ألف الحج والجهاد فما يند فك من سفرتين في كل عام
سفر للجهاد نحو عدو والمطايا لسفرة الإحرام
طلب الله فهو يسعى إليه بالمطليا وبالجياد السوام
فيداه يد بمكة تدعو ه وأخرى في دعوة الإسلام¹

وكان عبد الله بن المبارك يتجر ليكسب معاشه، ويلبى دائما نداء
الوطن ويتقدم الصف المجاهدة طلبا للاستشهاد في سبيل الله، فيقدم لنا
نفسه وثيقة طريفة توضح ذلك، وأنه أرسل رسالة إلى الفضيل بن العباس
الناسك المشهور، وكان مجاورا بمكة المكرمة، وقال فيها:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك في العبادة

تلعب

من كان يخضب جيده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب
أركان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الصبيحة

تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا وهج السنايك والغبار

الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا قول صحيح صادق لا

يكذب

لا تستوى أغبار خيل الله في أنف امرئ ودخان نار

تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا ليس الشهيد بميت لا

يكذب¹

كان صفوان الأنصاري تلميذ واصل بن عطاء شاعر من شعراء الاعتزال

في فاتحة هذا العصر، وهو يتصدى لبشار بن برد حين عرف فيه أستاذه

إلحاده، ونادى في الناس أن يقتلوه، لقوله بالرجعة، ولتفضيله النار على

الطين، وبالتالي إبليس على آدم معذرا له عن عصيانه لربه حين طلب اليه

السجود له، فمن قوله مما يدل دلالة ناصعة على عظمة الخالق. ويشد:

زعمت بان النار أكرم عنصرا وفي الأرض تحيا بالحجارة والزند

وتخلق في أرحامها وأرومها أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد

وفي القعر من لج البحار منافع من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد

ثم يقول:

وكل يواقيت الأنام وحليها من الأرض والأحجار فاخرة المجد

وفيهما مقام الخل والركن والصفاء ومستلم الحجاج من جنة

الخلد¹

4. شعراء العصر العباسي الثاني و الكعبة

من شعراء الشيعة محمد بن علي بن عبد الله أحد أحفاد العباس بن

علي بن أبي طالب، وكان في أيام المتوكل، وهو يكثر من الافتخار بأبائه

وبنسبه الطاهر إلى الرسول الكريم، أنه يردّد في أشعاره نظرية بيته العلوي

في الخلافة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بها إلى جده علي

صبي نزل بغدير 'خم' إذ قال له: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى؛ وإلى

ذلك يشير بقوله:

وجدّ وزير المصطفى وابن عمه على شهاب الحرب في كل

ملحم

وأول من صلى ووحد ربّه وأفضل زوّار الحطيم وزمزم

وصاحب يوم الدوح إذ قام أحمد فنادى يرفع الصوت لا تبهمهم

جعلتك مني يا علي بمنزل كهارون من موسى النجي

المكلم.²⁷

²⁷ د. شوقي ضيف/ العصر العباسي الثاني ج 4 ص 386

ومن شعراء الثورات السياسية، والقرامطة، شاعرهم أبوطاهر الجناني صاحب الإحسان والبحرين، يسفك الدماء، طاغى الحجاج بيت الله، وقاتل المبرئين بدون حق، وتطغى انتصاراته على ضد الخلافة ويغر بالله الغرور، فتلك دماء المؤمنين يوم التروية وهم مليون مهللون، وهو وأنصاره ينحرون فيهم - والقصة بيننا قبل - وجرى أبو طاهر الكعبة من كل ما كان بها من تحف أهداها الخلفاء على مر السنين، وهذا الوحشي الفظيع يترنم بأشعار له مبتهجا التي يحادّ بها الله ورسوله من مثل قول عن الكعبة المعظم:

"ولو كان هذا البيت بيتا لربنا
لصب علينا النار من فوقنا
صبا

لأنا حججنا حجة جاهلية
محللة لم تبق شرقا ولا
غربا

ولكن رب العرش جل جلاله
ولم يتخذ بيتا ولم يتخذ
حجبا"²⁸

وكان من شعراء الوزراء والولاة والقواد أبو على البصير اسمه الفضل بن جعفر بن الفضل بن يوسف من أصل الأنبار، أسرته فارسية الأصل وكان ضير البصر، وكان يشارك أحيانا في الخمر والمجون واللهو، وله دعاية نظمها وهو يريد الحج، وهو في الكوفة فخرج وقال:

خرجنا نبتغى مك
ة حجاجا وزوارا
فلما شارف الحير
ة حادى جملى

²⁸ المرجع السابق/ ص 406

حارا

فقلت احطط بها رحلى ولا تحفل بمن

سارا

ففضينا لبانات لنا كانت

وأوطاروما ظنك بالحلفا ء إن

أشعلتها ناراً²⁹

وكان موسى الهادي من محمد المهدي على سنن أبيه في كراهة الزنادقة فالتفت إليهم ونكل بهم تنكيلا، انه حينما خرج إلى الحج فنظر إلى الناس في الطواف يهرولون، فقال ما أشبههم إلا ببقرة قدوس في البيدر، وله يقول العلاء بن الحداد الأعمى:

أيا أمين الله في خلقه ووارث الكعبة والمنبر

ماذا ترى في رجل كافر يشبه الكعبة بالبيدر

ويجعل الناس اذا ما سعوا حمرا قدوس البر

والدوسر³⁰

روى الطبرى: قال دخل عيسى بن دأب على موسى بن عيسى عند منصرفه في فخ فوجده خائفا يلتمس عذرا من قتل، فقال: أصلح الله الأمير، أنشدك شعرا كتب به يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة يعتذر فيه من قتل الحسين ابن علي رضي الله عنه قال، أنشدنى فأنشده:

²⁹ المرجع السابق/ ص 418
³⁰ الشيخ محمد خضرى بك/ محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ص 96

يا أيها الغادي لطيته على عذافرة في سيرها

قحم

أبلغ قريشا على شحط المزاربها بيني وبين حسين الله

والرحم

وموقف بغناء البيت أنشده عهد الإله وما ترعى به

الذم

... إلى أن قال:

فانصفوا قومكم لا تهلكوا بذخا قرب ذى بذخ زلت به القدم³¹

صفة بناء السلطان مراد الرابع الكعبة في شعر محمد طاهر الكردي:

يقول:

وآخر البناء جا بالوصف في عام أربعين بعد الألف

بسبب السيل الذي قد دخلا للمسجد الحرام

حتى وصلا

لقفل باب الكعبة المشرفة فوقعت منها الجدار

المتلفة

فقام بالتعبير سلطان الورى مراد بن أحمد فحررا

من آل عثمان الكرام النجبا فقد روى التاريخ

³¹ المراجع السابق ص 99

عنهم عجباً

الثقفى الحجاج فاز

فكان ما بناه وفق ما بنى

بالمنى

روى لنا التاريخ ذا بالنص

من غير ما زيادة أو نقص

ما قد جرى شيئاً لبیت ربنا

ومنذ ذاك العصر حتى يومنا

وقد حمى حدوده

أحاطه الله بثوب العظمه

وحرمه.³²

³² محمد طاهر الكردى/ تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص 242

الفصل الخامس في العصر الحاضر

نقدر هنا عصر الحاضر منذ عهد الفاطميين أو حكومة الأشراف، وكانت علاقة الفاطميين بمكة علاقة قوية ثم عهد السليمانيين ثم الهواشم ثم قوى عهد الدولة الزنكية، جميعهم عنوا المسجد الحرام والكعبة المشرفة عناية بالغاء، وأصلحوا إصلاحات كثيرة، ثم جاء الأيوبيون وحكموا الأرض ما قدر الله لهم، ثم سقطت الأيوبيون، ثار عليها مماليك الأتراك، واعلنوا سقوطها في سنة 648 هـ وأسسوا حكومة جديدة بالمماليك الأتراك، فزالت العصر الذهبي الإسلامي، وحكم على مكة أبو نمى الأول وحكم على مصر أيضا، ولما توفي سنة 801 هـ تنازع أولاد أبي نمى للامارة، فدام النزاع من سنة 701 - إلى سنة 737 هـ فانتهى الأمر.

1. عهود وعصور مختلفة

ظلت البيوت المتخصصة للعلم في مكة على أمرها في عهد الفاطميين والأيوبيين تنشر العلم على طلابها في حلقات عامة في المسجد الحرام، وكذلك عنت الشراكسة بالإصلاحات في مكة وفي المسجد فعملوا أعمالا تجديديا، في المروة وعرفات ومزدلفة ومنى، وأزال أشجار الشوك والصخور الكبيرة من طريق عرفات لأن اللصوص كانوا يختفون وراءها ويكرونها على حجاج بيت الله. وكانت العين من نعمات إلى عرفات خربة انقطع ماءها من عهد المماليك الأتراك، فاصلحوا مجراها في عام 748 إلى أن عاد

ماؤها بروي الحجيج"

ثم في عهد الترك العثمانيين فكانت علاقتهم بمكة المكرمة علاقة قوية تواصلوا بأصحاب مكة وكان السلطان محمد الأول جعل أمواله جزءا وقفه على فقراء الحرمين، ثم ابن السلطان مراد الثاني، رتب لفقراء الحرم من ماله الخاص راتبا سنويا بمبلغ كبير يرسله إلى مكة سنويا، ثم فتح العثمانيون عام 923هـ مكة مرة ثانية، وسقط حكومة الشراكسة في مصر. هجمت البرتغال على شواطئ العرب في عام 948 هـ، ولكن دافعهم أبو ندى الثاني مع معاونة القبائل العرب وهزمهم وأخسروهم وفي عهد الحسن فقد مفتاح الكعبة سنة 996هـ من حجر سادنها عبد الواحد الشيبى، فوقعت الضجة، وأغلقت أبواب المسجد وفتش الناس فلم يظفروا به، وكان مصفحا بالذهب، ثم وجدوه مع أعجمى في اليمن مع مسروقات أخرى في بيت له، فأعيد المفتاح إلى مكة³³ وكان الحسن شديد الفراسة فارط الذكاء، وكان جوادا ويشجع المؤلغين ويمنح الشعراء، وقد تربو جوائزه عن الألف؛ ثم نقل الأمور إلى العهد السعودى الأول بعد نهاية العهد العثماني فكانت عمت أكثر بلاد نجد ووجدت آل سعود في الدرعية خير معوان لنصرتها، وكان في منتصف القرن الثانى عشر الهجرى، ودعوته اشتهرت وقام بنصرتها في الدرعية جد العائلة السعودية المالكة واشتد الاقبال عليها بعد ذلك، وكثر أتباعها من إحياء

³³ احمد السباعى/ تاريخ مكة ج 1 ص 349

العرب حتى قوى أمرها وأصحابها آل سعود، وكانت أحبار دعوتهم قد وصلت إلى مكة في عهد الشريف مسعود بن سعيد بن زيد.

بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، صالح بين غالب والسعوديين ورد المنع للنجديين من الحج، وأن يعاملوا معاملة طيبة، فبدأ حجاج نجد يفتدون إلى مكة في موسم عام 1213هـ ورأسهم علماء آل الشيخ، ثم عاهد بين غالب ونجد، وحج السعوديون في العامين 1214، 1215هـ في جموع بالغة تحت رئاسة سعود الكبير بن عبد العزيز، وقد أهد سعود غالباً هدايا عظيمة من الخيل والنوق، وقابله غالب بمثلها، ولم يدخل سعود مكة قبل الوقوف بل نزل بجنده في عرفة، فقد اتصلت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجنوب الحجاز فانضم كثير من الخلق فغضب غالب فقاتلهم قتالاً شديداً، ولكن تتابع العصيان من القبائل على غالب في جنوب مكة وجنوبها الشرقي فعاد الأمر بين غالب وسعود إلى ما كان عليه من التناوب والقتال، حتى عزمت السيوف النجاح الأخير السعوديين.

2. مساهمة الكعبة بالأدب الحاضر

العربية المعاصرة قد تحققت عروبته، وتعلقت قوامها، بالكعبة المعظمة، لا شك لأن تشير المسلمات العلمية في المجال الأناسى الحديث، إلى أن اللغة الرسمية هي المقوم الأول والأساسى في تشكيل الهوية الحضارية لأي أمة من الأمم، ومسار التطور الفكرى والعلمى للمجتمع، وبالمقابل فان ترقية اللسان وجعله مواكبا لمستجدات العصر، يضمنان

للجماعة اللغوية حق الانتماء والمشاركة والانتاج، والقدرة على مغالبة التحديات العصرية.

وبهذه الواجهة، إذا بحثنا عن علاقة الكعبة والأدب العربي فنجد أن اللغة العربية ليست لها أية قيام بدون مركز عالمي، فهي الكعبة المشرفة، لأنها قبلة المسلمين، ومهوى الأمن والعبادة، وثقافتهم ودينهم وحضارتهم ورئاسة فكريتهم الأدبية والعلمية تدور حولها. كما تدور الأرض حول مدارها المغناطيسية الجلابة إلى مركزها، فتساهم حق كعبة الله العظيم للغة العربية وآدابها ظاهرة، ولو لم تكن الكعبة لانخلى نسيجها وانقضى وثاقها من بعد قوة أنكاثا، فنثبت لأن اللغة العربية وآدابها قادرة أن يخلد قوامها في الأرض حتى تقوم الكعبة في مقرها، و حتى المسلمون يبقون في الأرض مع دينهم وثقافتهم، وعلى نظر هذا للغة العربية علاقة قوية بالكعبة المشرفة في العصر الحاضر، كما ثبتناها في الفصول المتقدمة منذ بناء الكعبة حتى يومنا هذا، لأن اللغة العربية لغة الكون، لها مستقبلا بعيدا للبشرية جميعا. والكعبة المعظمة واللغة العربية تجريان في قلوب الانسان بصفحة كما قال الشاعر ابن زمرك،

ألم تر أن الماء يجري بصفحةا ولكنها مدت عليه المجاريا

3. الكعبة تفخر بلغتها

لكل أمة مستعمرة، لغتها الخاصة وهي تعتز بلغتها وتشرف بها، فأما أعداء هذه الأمة وأعداء لغتها من الأوربيين لا يزالون جاهدون تدمير لغة

الآخرين، ويستهدفون للقضاء على الإسلام ذاته، واخراج أهله منه، وما أصدق القرآن حين قال: "ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا" (البقرة 217) ولكن خاب فآلهم، وطاش سهمهم، فإن الفصحى القرآني باقية أبداً، وستبقى خالدة، محافظة على أصالتها وجمالها ورونقها، وعذوبة ألفاظها إلى ما شاء الله لها ان تبقى، إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها، وإلى ما شاء الله لها أن تبقى بيت الله إلى الأبد الأبد، وجعلهما الله متعلقة بعضها ببعض.

جعل الله لغة القرآن لغة بيته العتيق، واختاره هدى للعالمين، فيه آيات بينات خالدة كما أخلد الله كتابه العزيز ولغته المتين، فانتقى رب العزة اللغة العربية الفصحى للقرآن الكريم، كما اختار بيته مثابة للناس وأمنا، وعهد لسانديه أن يطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود، وجعل هذا البلد آمناً، ورزق أهله من ثمرات الدنيا والآخرة، ويقضي أهل القرآن عبادتهم ونسكهم في لغتهم السماوى، العربية البليغة الفصحى، ومطوف حوله بهتاف واحد "لبيك اللهم لبيك! فالقرآن محفوظ بحفظ الله، واصطفى لرسالته محمداً نبيه الأمين أفصح العرب، فالكعبة محفوظة حامية بقدرته الباهرة المعجزة، منذ بناه الله تعالى حتى يومنا الحاضر. والقرآن محفوظ بحفظ الله. قال تعالى: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (الحجر 9) فلغة القرآن محفوظة طبعاً لحفظ كلامه جل شأنه، فعلاقتهم كالدائرة المستديرة، فالمسلمون العالم شاهدون الجلّ سبحان الله جل وعلا. ورحم الله شاعر

محمود محمد شاكِر يقول:

لنا العراق والشام ومصر والبيت الحرام
نمشى على الموت الزؤام نحن الشباب إلى

الأمم

نبني ولا نتكل نفنى ولا نتخذل
لنايد والعمل لناغد والأمل³⁴

³⁴ محمود محمد شاكِر/ مجلة الفيصل، رقم 312 سبتمبر 2002م ص 64

"أن اللغة العربية اليوم هي اللغة العربية بالأمس، وما قبل الأمس،

بل ما قبل آلاف من السنين لغة جميلة رقيقة حلوة، عذبة الوقع على

الأسماع كما قال الشاعر:

لغة اذا وقعت على أسمعنا كانت لنا بردا على الأكباد

سقطل رابطة تؤلف بيننا فهي الرجاء لناطق بالضاد³⁵

وكما قال الشاعر:

كعبة اذ تقوم على أنظارنا كانت لنا أمنا على الفؤاد

ستضحى رابطة تؤنس أرواحنا فهي النداء لطائف ولساجد

تقوى بها بحسورها بينهما لغة الحكيم لقارئ ولراشد

ولو كان واحد من النبلاء يقوم بوصف الكعبة أو اللغة العربية فتزدحم

في ذاكرته وحيا من ألفاظ المترادفة التي تؤدي معنى واحدا عن هذه اللغة،

وتوacula إلى البيت الحرام ليتسع له إليها بأسهل، لان شاعر النيل حافظ

ابراهيم الذي رد على هؤلاء الأدعياء أول نشأتهم على لسان اللغة العربية

المظلومة حتى قال:

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آله وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفات.

فاللغة التي استوعبت منهج الله لعباده في كتابه الكريم وقرآنه

³⁵ المرجع السابق ص 65

العظيم بألفاظه ومعانيه، كما استوعبت آيات الله البيئات لعباده المخلصين والطائفين والساجدين والراكعين والمتوجهين إلى كعبته العظيمة، خمس مرات يوميا، فعلاقتهما قوية ظاهرة وباطنة، فأدت المطلوب منهما بإعجازات نادرة.

ونحن نعلم أن القرآن الكريم طرق في بيانه المعجز موضوعات شتى: عقيدة، وعبادة، ومعاملات، وتشريع، وتاريخ، وبيئة، إنسانية، ونفسية، وكذلك نعرف أن الكعبة المعظمة قبلة، ومهوى، ومقر أمن وسلامة، ومرجع لأواه منيب، ومحضر دعاء وإنابة، ومركز رجاء وفداء، ومحل نذر ووفاء، وبقاع مقدس، وهدى للعالمين. فسبحان الله رب هذا البيت علقه إلى كلامه وربطه إلى لغة تنزيله والحمد لله، وأنا عرفنا أن الله أمر إبراهيم الخليل ليرفع قواعد البيت ليكون أول بيت وضع للناس، كما علمنا أن القرآن ولغته المعجز أنه كلام الله الخالق العظيم الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وعلم آدم الأسماء كلها، ليكون آخر كلام ووحى من السماء وختاما لوصية رب العالمين لعباده في الأرض، فتقوم بقائهما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إن شاء الله.

4. ذكريات الحجاج في لوحة أدبية

1. الحج في أدب الرحلات

لقد استمر اهتمام الأدباء والمؤرخين بأدب الرحلات عبر مختلف العصور، والحقب التاريخية بسبب طابعها الأدبي الشائق، ولرحلات ذخائر

نفيسة، فهي من أهم فنون الأدب العربي، وكان لأسلافنا رحلات برية وبحرية تتنوعت بتنوع أسبابها وحوافزها السياسية والدينية والاقتصادية، واهتم الرحالة المسلمون بوصف البلاد التي دخلت مع فتوحاتهم، فتحدثوا عنها في كتاباتهم التاريخية ودعاهم ما في القرآن الكريم من إشارات إلى الأمم السابقة أن يطلعوا عند أهل الكتب السماوية قبلهم من أخبارها، وأصبحت كتبهم التاريخية والجغرافية كتباً أدبية نعتد على المشاهدة، وهي من هذه الناحية.

كما يقول الدكتور شوقي ضيف أقرب إلى أن تكون كتب رحلات

يغلب عليها الطابع القصصي، وتجد لذة في قراءتها.

الرحلت الأدبية: دكتورة عائشة عبد الرحمن نموذج - بنت الشاطئ

- تبدأ الحديث قائلة: "كنت في المغرب الأقصى مشغولة بدراسة القرآن في جامعة القروين أرى فيها الجهاد والعبادة وقومنا هناك مشغولون بوداع خمسة عشر ألفاً من الحجاج المغاربة، في حفلات شملت ربع البلاد في الريف والصحراء والعواصم، وفي الثغور على حافة البحر وساحل المحيط.... وسيطرت هذه الحفلات على الأفق كله، بمراسمها وثواشيعها ... فارهفت شوق القاعدين، وأنا منهم وشهدت الموسم مع مليون وخمسين ألف حاج، وسعتهم الأرض المباركة، حيث يقضون معاً مناسك حجهم...³⁶ ثم تأخذ في الحديث عن الكعبة وعن هذه البقاع المباركة ... حيث تقول:

³⁶ المجلة العربية/ مقال: عبد الله بن حمد الحقييل/ على عنوان الحج في ادب الرحلات 7 ص 86 عدد 311/27 مارس 2003 م ذى الحجة 1423 هـ.

والكعبة تستبدل كل عام كسوة جديدة بأخرى قبلها، وتبقى حقيقتها بمنأى
عن طوارئ التغيير والتبديل: مثابة الحج ومهوى الافئدة، وبيت الله المطهر
للطائفين والعاكفين والركع السجود... الخ³⁷

كما قال حافظ بك إبراهيم شاعر مصر:

أثنى الحجيج عليك والحرمان وأجل عيد جلوسك الثقلان
أرضيت ربك اذ جعلت طريقه أمنا وفزت بنعمة الرضوان
وجمعت بالستور حولك أمة شتى المذاهب حجة الأضفان
فغدوت تسكن في القلوب وترتقى حباتها وتحل في
الوجدان....³⁸

وكما قال شاعر إسلامي "عبد الله بلخير" وهو شاعر الاصاله
والملاحم العربية، يوقع على شعره إعلام الموقعين بكلامهم. يقولون:
"والحق أن أبا سبأ من رواد الأدب، وشاعر شهدت له حلبات القريض بالسبق
والتفوق" (د. يوسف عز الدين)

"عبد الله بلخير فارس من فرسان أمته، جعله عصره يعتصر قلبه ويستنزف
دمه إحسانا عميقا" (عبد الرحمن الشيبلي)
"إن استمرار حفظ روائع الشاعر الكبير الأستاذ عبد الله بلخير دليل اعتراف
جيلي ... بالشاعرية المميزة العالية له... (عبد الله عمر خياط)

وينشد في قصيداته عن الاتجاه الإسلامي، واهتمامه بالأندلس، والأدب

³⁷ نفس المرجع صفحة السابقة.
³⁸ الادب الإسلامي. رقم 39/1424 هـ/ 2002م

الرحالة، وعن شهداء على عصره، وبلخير الاعلامى، ووحى الصحراء، وعن
ملاحم الإسلامية، وعن البعد الوطنى الإسلامى وغيرها. ويقول عن جفوة
حدثت بين حكومة السعودية ومصر بسبب كسوة الكعبة بقوله:

"وازهت مكة بذلك حتى عمر الإنس نجدها

والسهولا

وهي إن تحتف بكم تحتف بال مجد مجد الإسلام عرضا

وطولا

لو مشت مصر نحو مكة شبرا لمشت مكة إلى مصر ميلا.³⁹

من ملحمة شعر عبد الله بلخير بعنوان "لبيك يا أم القرى": يقول:

أم العواصم والمدائن والقرى لبيك يا لبيك يا أم القرى

لباك من صلى وحج ومن دعا وسعى وكبرجاشعا واستغفرا

تتداول القمم الشواهد في الذرى كيما ترى في أفق مكتنا "حرا"

عال على القمم المنيفة حوله تزهو السراة به علا وتكبرا

يسموالغمام له يطوف بغاره في الأفق مستلما ذراه مزمجرا

فتراه في السحب التي التفت به مزملا بين الذرى مدّثرا

وتكاد تسمع سورة القلم التي نزلت عليه تهزاهمات الذرى

قم واستمع صوت الأذان مهللا في الأرض من أم القرى ومكبرا

تتجاوب الدنيا صداه تماوجت فيها مآذنها به مقكرا

³⁹ المرجع السابق/ ص 24

فاذا به بعث يشع ضياؤه وجحافل ومشاعل تهدي

السرى

وهدى تفيض الجامعات بفيضه بحر ترامي بالمعارف

أبحر⁴⁰

قال الشاعر السورى مصطفى أحمد النجار عن الحجيج وعرفات ومشاعر

الحرم:

بنفسى يا رب عيد الحجيج أكحل عينى بأنوار بيتك

أمتع سمعى بأيات ذكرك واملأ صدرى بفيض الأريج

أطوف مع الطائفين بروحي أردد،

لبيك...لبيك.

بنفسى يا رب عرس التلاقى

على عرفات

تهل الي الرؤى

أمد يدي شراع البصيرة

أرجوك يا خالق الكائنات

فيوضات عفوك

فيوضات خيرك للعالمين

فارجوك يا خالق الكائنات

⁴⁰ المرجع السابق/ ص 37

النقاء الثبات

وأرجوك ان تزهر الكلمات

بعرس هنا أو بعرس هناك

ترفرف في سماء القلوب

وتكتب في النصر ما أعطمك⁴¹

2. ضيوف الرحمن في منظور الشاعر

شاعر عراقي حكمت صالح يصف الحج والحجاج والمشاعر الحرم

المكية بلسانه الجلابه وبلغته الأدبية الحديثة: يقول:

⁴¹ المرجع السابق/ في عنوان أشواق ص 64

أسبح في شواطئ الفيض الإلهى،
مع الملائك انتشاء
فتحتوينى نشوة التسبيح في
الصباح،
تحوم بن حول 'الخطيم' خفقة
الجناح،
يقدح الخزامى
في خاصر الشمس
قتبتل محارم الحجيج
ثم يندى لونها ضياء
فانثنى مقبلا أستار بيت الله
في انشراح
تقلنى.. حيث الزمان
نقطة معدومة الأبعاد
امتد في الماضى ابتداء
واذرع المستقبل انتهاء
وحينما أمسك بالملتزم
وارفع الدعاء
أذرب في التوهج الروحى
في الشوق الظمى

غزيرة هي الدموع في
المدرج القدسية
خاشعة أبقارنا حيارى
تنعطرا لقلوب خشعا
لعل ربنا الغفارا
يستنزى الرحمة من يديه
في ميزانها مدرارا
تشمخ في السماء
مآذن التهليل
والتكبير
والدعاء
باهادي التائه في مغاوز الحيرة
والضياع
هب ومضة
يخفق على جنبي من سراجك
الشعاع
يا غامر القلوب بالطهر بالنقاء
يا غاسل الوجيب بالتوبة والإنابة
نحن أتيناك
وهذا الزمن المفعم بالكآبة
ينشب في عقولنا أنياه
يوصد في وجوهنا أبوابه

فبجمل المؤمن فوق ظهره محرابه
مهاجرا إلى حماك
حيث يفنى في التقى سبابة

نحن أتيناك ملبين
وقد أدركنا الليل الجهنمي
في هاجرة النهار
فاقتنص الفرصة
ثم روج التجار
في سوقهم بضاعة اليمين
واليسار

لكنه - ما كان للمؤمن أن يحار
أن شد رحله إليك
قبل أن يفوته القطار
نحن أتيناك

فلا تردنا يا رب خائبين⁴²

ويقول الشاعر عبد الله موسى بيلا في عنوان "عاصمة المجد" عن

مكة المكرمة ورحلاته إلى الحرم الشريف والكعبة المعظمة: هو يبدأ

⁴² المجلة الأدب الإسلامي / كاتب: حكمت صالح العراق/ عدد 39/1424 هـ 2003 م. ص 12

قصيدته:

يرنو إلى أبجادهما الفخر ويغار من تاريخها الدهر...
وقال: يا خير أرض انبتت أدبا وثقافة يصغى لها العصر...
: توحى البقاع بها بكل فتى مجدا يغيض أمامه البحر
ذه كعبة غراء شامخة فيها يطيب الانس والذكر
قد رد عنها الله أبرهة فارتد في احشائه الشر⁴³

5. مرايا الحج في منظور النبلاء

(1) ملكوم إكس. ناشط سياسى أمريكى مسلم ينظر الحج في لسانه: وثو
يكتب في كتاب "ملكوم إكس سيرة ذاته": ويقول: "وكننت في
عرفات قد جلست في خيمة كبيرة مع حوالى عشرين حاجا، كنت
محط اهتمامهم، بوصفى مسلما من أمريكا - وكانوا قد سألوا عما لفت
انتباهي في الحج، فبدأت أرد على أسئلتهم، وراحة القلة التي تنهم
الإنجليزية تترجم للآخرين وفاجأتهم اجابتي ولكنهم وجدوها في
الصميم. قلت لهم: الأخوة ووحدة هذا البشر المنتمى إلى كل لون
وجنس أكدت لي قدرة الله الواحد.
".... .. وأنها سيفهم أن الله هدانى في أرض محمد وابراهيم إلى
الإسلام الحقيقي وفهم المعظلة العنصرية في أمريكا. فهما
أفضل"

⁴³ المرجع السابق/ ص 98

"في حياتى لم أشهد أصدق من هذا الاخاء بين أناس من كل الألوان
والاجناس، اذهلونى خلال الأسبوع الماضى بما رأيته منهم من
لطف"

"... .. والذين يمثلون كل درجات الألوان البشرية، من الشقر
ذوي العيون الزرق، إلى الأفارقة السود، فأديت معهم المناسك نفسها
في إحاء ووحدة، كنت أحسب من تجربتى في أمريكا أنهما أمران
مستحيلان بين الانسان الأبيض والأسود."

إن أمريكا في حاجة إلى فهم الإسلام، لأنه الدين الوحيد الذي يملك
حل مشكل العنصرية فيها، وخلال سفرى في العالم الإسلامى قابلت
وكلمت بل وأكلت مع رجال كانوا سيعدون "بيضا" في أمريكا، ولكن
الإسلام محا الموقف "الأبيض" من سلوكهم، ورأيت لأول مرة في
حياتي أناسا من كل الألوان، لا ينظرون إلى ألوانهم ويعيشون في إحاء
صادق وحقيقي."

(2) كتب الأديب المورى 'محمد مصطفى ناصيف' في المجلة الحج
والعمرة:

"لو لم تكن خير البقاع جميعها ما كان بيت الله فوق
ترابها"

"كم كنت أختبئ تحت أستار الكعبة لا ستنشق ذاك العبق الذي
عمرنى في الطواف والسعى وأثناء الرمل بين الميلين الأخضرين."

"ان الكتابة عنك أيتها المكرمة المطهرة، إحتضان للحضارة العربية الإسلامية"

"يكاد العيد يعانقنى وأنا بعيد عن الحبيبة "مكة المكرمة" إثر حياة متواصلة دامت ستة عشر عاما دونما انقطاع

فكانت هذه الزفرات الحرى. إلى المكرمة التي لا يفارقنى الشوق والحنين إليها ما حييت، فإليك - مكتى - قبلتى - أيتها المضاءة دوما بالنور. المغتسلة دائما بالطهر المتشحة أبدا بالإيمان.⁴⁴

(3) من ذكريات الحاج عبد الماجد الملايوى سنة 1923 م. على عنوان

"لوحة أدبية عن الحجاز وتوثيق بديع لرحلة الحج"

- لا تقل رحلة الحاج عبد الماجد إلى الأراضى المقدسة وملاحظاته الشخصية من مآثر الحجاز أهمية عن رحلة ابن بطوطة التي وثقها في "تحفة النظائر في غرائب الانصار" وتماثل في طرافتها أيضا رحلة العباشى الموسومة: "ماء الموائد"، وتضاهى في موثوقيتها رحلة أمير البيان "شكيب أرسلان المدونة في كتابه المشهور ب"الإرتسامات اللطاف" -

لا يقيم الحاج أكثر من يومين في جدة لأن توفير احتياجاته لمدة أطول يكلف المطوفين مصاعب جمه"

"بعد أنتهاء الحجاج من مناسكهم يقوم المطوفون بالباسهم العمامة"

⁴⁴ المرجع السابق/ عنوان "الارتقاء شوقا إلى سيدة المدائن. ص 28

يصف فيه، رحلة المعاناة إلى مكة؛ ثم الرحلة إلى المدينة المنورة،
والطريق إلى مزدلفة ومنى، ورحلة العودة إلى أرض الوطن ...⁴⁵ ...

⁴⁵ المرجع السابق. ص 52-55.

الخاتمة

تم بعون الله المنان وتوفيقه تأليف أبواب السابعة للبحث عن 'الكعبة المعظمة وتأثيرها في الأدب العربي' في غرة جماد الأولى 1429 الهجرية والموافق مايو 2008 الميلادية . وأقدم أطروحتي لدرجة الدكتوراه إلى جهة المختصة بجامعة كالكوٲ، كيرالا، الهند .

وقد راجعت كثيرا من الكتب والتفاسير والأحاديث والسير والمعاجم والتواريخ والموسوعات والمقالات المتنوعة من الإصدارات الحديثة والقديمة وغيرها بقصد الوصول إلى أي فائدة علمية أو تاريخية أو نقدية أو بحوث تتعلق بالكعبة المشرفة وتأثيرها في الأدب العربي، حاولت بأقصى جهدي لتنظيم محتوياته ومعلقاته ومباحثه ومراجعاته بما يربو على مأتي وعشرين مؤلفة . ومع الأسف الشديد إبان هذا الجهد لم أعر على كتاب خاص عن الكعبة متعلقا بالأدب العربي لا قديما ولا حديثا كما علمت، إلا نادرا من القطعات والإشارات والرموز إليها حيث أن تاريخ الكعبة المعظمة مذكورة في معظم تواريخ مكة المكرمة وفي بعض التأليفات والسير وغيرها من الكتب الإسلامية، أخذت من خلال البحث ما يتعلق بموضوعي هذا وأضفت إليه ما وجدتها من التعليقات الأدبية العربية مع تاريخها . ولاسيما تناولت أكثر النقاط الأدبية منها من إعداد المجلات 'الحج والعمرة' التي تصدرها

من المملكة العربية السعودية بمكة المكرمة ومن الأوراق والمجلات
العصرية والصور الفوتوغرافية التي أرسلها إلي مركز الملك فيصل للبحوث
والدراسات الإسلامية بالرياض .

فقد ذكرت أسماء الكتب التي نقلت منها جملاً صالحة لهذا التأليف
تحت عنوان 'قائمة المصادر والمراجع' وتركت ذكر أسماء بعضها بخوف
الإطالة، وأرجو من الله العليم القدير أن يرزقني التوفيق والثبات والمزيد من
العلم والفهم، وأرغب من إخواني الأعزاء الإعتبار نحو هذا التأليف المبارك
بالنقد والبحث والإرشاد إلى السوي السبيل .

وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب
العالمين .

المقدم / كوبا كوتي تي . وي .

قائمة المصادر والمراجع

كتب التفسير

1. ابن كثير، عماد الدين الحافظ. تفسير ابن كثير
2. أبي محمد البغوي. معالم التنزيل في تفسير القرآن
3. الرازي، إمام فخر الدين. تفسير الرازي
4. رشيد رضا، سيد. تفسير المنار
5. السعدي، عبد الرحمن ابن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان
6. سيد قطب. في ظلال القرآن
7. الطبري، محمد بن جرير. تفسير الطبري

كتب الأحاديث

8. أحمد بن حنبل. مسند أحمد
9. الألباني، محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الصحيحة
10. البخاري، إمام محمد بن اسماعيل. صحيح البخاري
11. البيهقي، حافظ. سنن البيهقي
12. الترمذي، أبي عيسى. صحيح الترمذي
13. الدارقطني، حافظ الحجة. سنن الدارقطني
14. الدارمي، إمام الحافظ. سنن الدارمي
15. العسقلاني، ابن حجر. فتح الباري بشرح البخاري
16. القزويني، أبي عبد الله. سنن ابن ماجه
17. مالك بن أنس. كتاب الموطأ
18. المباركفوري، صفى الرحمن. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي
19. مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم
20. النسائي، إمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب. سنن النسائي
21. النووي، إمام محي الدين بن شرف. شرح مسلم

كتب التاريخ والسير وغيرها

22. ابن أبي الحديد. شرح ابن أبي الحديد
23. ابن الأثير الجزري. النهاية
24. ابن الأثير الجزري. كتاب الكامل
25. ابن الفقيه. كتاب البلدان
26. ابن الكلبي. الأصنام
27. ابن جبير الأندلسي. رحلة ابن جبير
28. ابن سعد. الطبقات الكبرى
29. ابن قتيبة. كتاب المعارف
30. ابن قيم الجوزي. زاد المعاد
31. ابن كثير، حافظ. البداية والنهاية
32. أبو القاسم زين العابدين. الكعبة والحج في العصور المختلفة
33. أحمد السباعي. تاريخ مكة
34. أحمد بن علي بن أحمد الفزاري - الفلقشندي. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب
35. أحمد جاد. وصف الكعبة المشرفة وتاريخها
36. أحمد دحلان. خلاصة الكلام
37. أحمد زكي. جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة
38. أحمد شبلي. موسوعة التاريخ الإسلامي
39. أحمد قنديل. مكتي قبلتي
40. الأزرقى، أبي الوليد. تاريخ مكة
41. الأزرقى، أبي الوليد. في أخبار مكة
42. الاصفهاني، أبي الفرج. كتاب الأغاني
43. تقي الدين الفاسي. شفاء الغرام
44. الجاحظ. تاريخ الإسلام

45. الجاحظ. كتاب الحيوان
46. جامعة أم القرى- بمكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين. البلد الحرام فضائل وأحكام
47. جواد علي. تاريخ العرب قبل الإسلام
48. جوزيف هل. الحضارة العربية (نقل من الإنجليزية)
49. حسين عبد الله باسلامة. تاريخ الكعبة المعظمة
50. حسين عبد الله باسلامة. تاريخ عمارة المسجد الحرام
51. حسين محسن. الكعبة المشرفة والعدوان عليها
52. زبير بن بكار. كتاب النسب
53. سعد المرصفي. الكعبة مركز العالم
54. السنجاري. منائج الكرم
55. السيد سائد بكداش. فضائل زمزم
56. شاه ولي الله الدهلوي. حجة الله البالغة
57. شوقي ضيف. العسر الجاهلي
58. الشيباني، محمد بن إبراهيم خراب الكعبة من أشرطة الساعة الكبرى
59. الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الطبري
60. عبد العزيز محمد اللميلم. رسالة المسجد في الاسلام
61. عبد القدوس الأنصاري. الكعبة قبل الإسلام
62. عبد الملك بن هشام المعافري. السيرة النبوية
63. علي محمد مطاوع. الكعبة والعلم الحديث
64. الغازي المكي، الشيخ عبد الله بن محمد. إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام
65. الغوابي، الشيخ عبد الله. الصراع الرهيب حول البيت العتيق
66. فؤاد علي رضا. تاريخ أم القرى
67. الفاكهي. تاريخ في أخبار مكة

68. فايز بدر. وقفة أمام الكعبة
69. فوزي عطري. ديوان عمر بن أبي ربيعة
70. القزويني. عجائب المخلوقات
71. قطب الدين الحنفي المكي. الاعلام باعلام بيت الله الحرام
72. مأمون غريب. بيوت الله
73. المباركبوري، صفي الرحمن. تاريخ مكة المكرمة
74. المباركبوري، صفي الرحمن. رحيق المختوم
75. محمد الغزالي. الكلمة الأخيرة في فقه السيرة
76. محمد المجذوب. تحفة اللبيب من ثقافة الأديب
77. محمد جار الله بن طهيرة المخزومي. الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها
78. محمد خضري بك. محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية
79. محمد سيد أحمد المسير. الرسول حول الكعبة
80. محمد طاهر الكردي المكي. تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه
81. المسعودي. مروج الذهب
82. المغربي، علامة السهيلي. الروض الأنف
83. مقدمة شرح المعلقات العشر.
84. منصور بن الحسن السخاوي الكازروني. الضوء اللامع
85. المنصورفوري، حمد سليمان. رحمة للعالمين
86. ناصر عبد الله الحميض. الإنسان والعمران
87. نجم الدين فهد القرشي الهاشمي. إتحاف الورى بأخبار أم القرى
88. الندوي، أبو الحسن. سيرة النبوية
89. النووي، إمام محي الدين بن شرف. تهذيب الأسماء واللغات
90. الهيثمي. مجمع الزوائد
91. هيكل، محمد. حياة محمد

92. ياقوت الحموي. معجم البلدان
93. يوسف عبد الكريم العسائي. مكة المكرمة عبر التاريخ

المجلات العربية

94. جامعة أم القرى. مكة المكرمة: كلية الدعوة
95. جندي المسلم.
96. العربي
97. مجلة الأدب الإسلامي
98. مجلة الحج والعمرة. صادرة مكة المكرمة: المملكة العربية
السعودية.

99. مجلة الحرس الوطني

100. مجلة الرابطة

101. مجلة الرسالة

102. مجلة العربية

103. مجلة الفيصل

104. مجلة المنهل

الجرائد العربية

105. جريدة الرياض

106. جريدة الندوة بمكة المكرمة